آراء المستشرقين في الفتوحات الإسلامية خلال العصر الأموي

رسالة تقدمت بها

شيماء حسين علي

إلى مجلس كلية التربية / الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

آداب في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور رشيد عبد الله الجميلي

١٤٢٦هـ بغداد ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

[لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله
سميع عليم # الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى
الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون]

صدق الله العظيم

((سورة البقرة ٢٥٦-٢٥٨))

إقرار المشرف على الرسالة

اشهد أن إعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ / كلية التربية/ الجامعة المستنصرية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في التاريخ الاسلامي...

التوقيع:
الاسم: الأستاذ الدكتور
رشيد عبد الله الجميلي
التاريخ: / /٢٠٠٥

بناءً على التوجيه أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :
الاسم: الدكتور حقي العاني
رئيس قسم التاريخ/ كلية التربية/
الجامعة المستنصرية
التاريخ : / /٢٠٠٥

اقرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة وقد ناقشنا الطالبة شيماء حسين علي بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير((جيد جداً)) ....

التوقيع	**التوقيع**
الاسم:أ.د.بهجت كامل التكرتي	**الاسم:أ.م.د.احمد محمد الشحاذ**
رئيس اللجنة	**عضواً**

التوقيع	**التوقيع**
الاسم:أ.م.د.عبد الرضا كامل محمد	**الاسم:أ.د.رشيد عبد الله الجميلي**
عضواً	**عضواً ومشرفاً**

صدقت من قبل مجلس كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

التوقيع

د.رشدي علي الجاف

عميد كلية التربية



إلى نبي الرحمة ورسول الإنسانية والأمة

محمد بن عبد الله (ﷺ)

والسائرين بهديه وسيرته إلى يوم الدين

إلى والدي ....احتراماً

إلى الشقيقتين الصغيرتين

لمياء وعلياء ....وفاءً واعتزازاً بحسن الجميل

اهدي جهدي المتواضع هذا

شكر وتقدير

((إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر))

الإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)

إن واجب الوفاء بالفضل والعرفان يدعوني إلى أن أتقدم بعظيم امتناني وخالص شكري إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور رشيد الجميلي المشرف على رسالتي وأضفى عليها الكثير من توجيهاته القيمة وارائه الصائبة فاسال الله تعالى أن يجزيه عني كل خير ، وبوفاء عالٍ وامتنان صادق وشكر يعجز اللسان عن تأديته إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور طاهر البكاء الذي كان له الفضل الكبير في تحديد موضوع الرسالة فجزاه الله عني كل خير ووفقه لرضاه........

وارى لزاماً تقديم الشكر إلى أساتذتي في قسم التاريخ ابتداءً بالأستاذة الدكتورة أمل السعدي لما أبدته من عناية كبيرة بموضوع رسالتي تجسد بتزويدي بالعديد من المصادر المهمة فجزاها الله كل خير .

ويطيب لي أن أتوجه بالشكر الخالص للأستاذ الجليل الدكتور حسين الداقوقي والأستاذ الدكتور بهجت التكريتي والدكتور محمود اللهيبي ، لما أبدوه من اهتمام برسالتي فقد زودوني بمجموعة من المصادر والآراء القيمة فجزاهم الله عني كل خير ويقتضي الوفاء مني وعرفاناً بحسن الصنيع أن أقدم شكري الخالص للآنسة مثال حمزة في قسم المراجع / المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية فجزاها الله عني كل خير ومنحها رعايته بقدر عملها .

وأتقدم بالشكر لأسرة دائرة البعثات وعلى رأسها السيد عامر سليم الأمير وشكري الخالص للآنسة فرح عباس لإنجازها طباعة هذه الرسالة فجزاهم الله عني كل خير ، وأتقدم بوافر شكري لكل من آزرني في إعداد هذه الرسالة من صديقاتي وهن أخوتي حقاً وصدقاً لما أبدينه من إسناد معنوي في دعم جهدي هذا فجزاهم الله عني كل خير ووفقهم لرضاه اللهم آمين........

فهرست الموضوعات



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد.

فقد مثلت الفتوحات الإسلامية ميداناً واسعاً لكتابات المستشرقين ، منذ نشوء الاستشراق في العصور الوسطى الاوربية وحتى الان ، اذ انجز الغرب الكثير من المؤلفات التي تناولت الفتوحات الاسلامية وليس الهدف منها اظهار انها اهتمت بنشر الدين الاسلامي في ارجاء العالم كافة وانما رغبة في ايجاد ثغرات وعثرات يمكن من خلالها تشويه وطعن الاهداف النبيلة للدين الاسلامي باختلاق الاباطيل ونسبها اليه، نتيجة لشعور الكنيسة المسيحية بخطر الدين الاسلامي على مستقبلها ، فقد اندفع المستشرقون لدراسة الاسلام فكراً وثقافة وحضارة ، ثم الكتابة عن هذا الدين وعن كل ما يخصه ، ومن الطبيعي فان الفتوحات الاسلامية كانت من بين المواضيع الاسلامية التي اراد بها المستشرقون ان يخفوا حقيقتها السامية باختلاق تصورات سيئة ومشوهة لها، وقد توجهت مؤلفات عربية عديدة للرد على افتراءات المستشرقين واباطيلهم في الفتوحات الاسلامية وخصوصا خلال العصر الاموي، ومن هنا جاء دافعنا لاختيار موضوع الرسالة قاصدين بذلك تحقيق هدفين:

الاول :تقديم صورة واضحة لآراء المستشرقين وافتراءات الكثير منهم والنظرة الاستشراقية لهذا الهدف النبيل وهو الفتح الاسلامي.

ثانياً :ابراز ردود المؤرخين العرب ومناقشة افتراءات المستشرقين وتحقيق الهدف والغاية من تلك الفتوحات.

ولاجل ذلك وسمت رسالتي بـــ((اراء المستشرقين في الفتوحات الاسلامية خلال العصر الاموي)).

وكما هو الحال في كل دراسة علمية ، كان لهذه الرسالة مشاقها وصعوباتها،و كانت اهم هذه الصعوبات هي الحصول على معلومات كافية لجانب مهم من جوانب الرسالة وهي اراء المستشرقين في الفتوحات الاسلامية خلال العصر الاموي و لاسيما ان هذه المعلومات شحيحة حتى في المصادر الاجنبية، و لقد اقتضت طبيعة مادة الرسالة ان تنقسم الى مقدمة و اربع فصول مع خاتمة.

خصص الفصل الاول للتعريف بالاستشراق بشكل عام وكان على مباحث:
تناول المبحث الاول :التعريف اللغوي والاصطلاحي للاستشراق والمفهوم الجغرافي للشرق بوصفه ميداناً للدراسات الاستشراقية.
اما المبحث الثاني : فقد تناول ايجابيات الاستشراق وسلبياته.

وخصص الفصل الثاني عرض للفتوحات الإسلامية خلال العصر الاموي وتم تقسيمه الى مبحثين ، تناول المبحث الاول تعريفاً لحروب التحرير والفتوحات الاسلامية واهدافها ونتائجها.

اما المبحث الثاني فقد تناول استعراضاً لفتوحات المشرق والمغرب خلال العصر الاموي.

وقد خصص الفصل الثالث لابراز الاراء الموضوعية للمستشرقين كمبحث اول ورد المؤرخين العرب كمبحث ثانٍ، اما الفصل الرابع فقد تضمن المبحث الاول افتراءات المستشرقين واراءهم السلبية والمبحث الثاني رد المؤرخين العرب على تلك المزاعم في انتشار الاسلام بحد السيف واسباب القتال ، وموقع الغنائم من الفتوحات الاسلامية اما المبحث الثالث ففيه مناقشة مشكلة الموالي والجزية في الفتوحات الاسلامية.

واختتمت هذه الرسالة بعرض موجز لاهم ما توصلت اليه من نتائج مع بعض التوصيات المقترحة التي ارجو ان تكون ذات فائدة لمن يهتم بدراسة الاستشراق والمستشرقين مستقبلاً، واستكمالاً للفائدة .

ولقد اعتمدت في اعداد هذه الرسالة على مجموعة من المصادر المتنوعة العربية والاجنبية التي اختصت بموضوع الاستشراق والفتوحات الاسلامية خلال العصر الاموي ، فاحتلت كتب المستشرقين مكان الصدارة ،وقد حتمت طبيعة الموضوع اجراء دراسة تحليلية لمجموعة من المصادر الاجنبية المترجمة وغير المترجمة وهي الدولة الاموية والمعارضة ل(فان فلوتن Fan Flootin).

وكتاب الفتوحات الاسلامية في فرنسا ايطاليا وسويسرا ل (جوزيف رينو- Josif Renoo)، وكتاب الدولــة الاموية وسقوطها ل (فلهاوزن Fillhawisn) ، وشمس العرب تسطع على الغرب (زيغريد هونكه Zekred Honka)، وقد اقتضى الرد على مزاعم جملة من المستشرقين وافتراءاتهم الرجوع الى مصدرنا الاول هو كتاب الله المختار (القران الكريم)، فضلاً عن كتب التفسير وكتب السيرة والتاريخ ، ولم نغفل ايضاً الرجوع الى الدراسات العربية الحديثة التي احتوت على معلومات وتفسيرات قيمة استفدنا منها كثيراً في الفصلين الثالث والرابع.

وبعد... فان هذا البحث المتواضع ما هو الا محاولة لتتبع الراي الغربي بغية مناقشته ودحض ما فيه من مزاعم وأباطيل ، ولا يسعنى الا ان اسال الله سبحانه وتعالى ان يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وان ينفعني به يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وخير ما اختتم به هو الدعاء بكلام الله تعالى جل وعلا﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملتهُ على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به﴾...

الفصل الاول

الاستشراق

المبحث الأول: تعريف الاستشراق واهدافه.

المبحث الثاني: المواقف السلبية للاستشراق والايجابية في الفكر الاسلامي.

الاستشراق لغة:

الاستشراق كلمة مشتقة من الشرق ، والتي تعني شروق الشمس وشروق الشمس بمعنى طلوع الشمس(١).

اما الاستشراق كمصطلح :

فهو يعني علم الشرق او علم العالم الشرقي(٢)، وكذلك طلب الاخرين للمعرفة المتعلقة بالشرق(٣).

كما يمكن القول بانه الفكر الذي حمل بين طياته افكار المستشرقين المسرفين الذين لم يتجردوا من يهوديتهم او نصرانيتهم او عرقيتهم حين كتبوا عن الاسلام والعرب(٤).

ولا يخفى علينا ان الاستشراق هي عملية بدات منذ امد بعيد ثم اتخذت مسارات متعددة واتجاهات متنوعة اختلفت موضوعاتها واهدافها.

وهو ما ذهب اليه احد الباحثين في وصفه للاسشراق (ان الاستشراق عملية قديمة بدات منذ قرون ثم تطورت ولبست اثوابا شتى واستعملت اساليب مختلفة وتحكمت بها نوازع متباينة وقد قاموا بترجمة القران ابان الحروب الصليبية بقصد الحصول على مطاعن يطعنون بها الاسلام)(٥).

وكذلك وصف الاستشراق بانه ((في اول امره محاولة انفعالية لتصوير الاسلام والبلاد الاسلامية بصورة مشوهة ، وكان الدافع الاول الذي دفعها الى نشاطها هو العداء التي احدثه اختلاف الدين وما تركته الحروب الصليبية وراءها من مخلفات فاخذ العداء يعمل عمله في النفوس ويدفعها الى التفنن في ضروب التعصب))(٦).

وقد عرف الاستشراق بانه ((اشتغال نفر من العلماء الغربيين باحوال الشرق))(٧).

١-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، ت٧١١هـ ، لسان العرب،ج١، (بيروت، بلا)،ص١٧٣، مادة شرق.
٢-رودي بارت ، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الالمانية ، ترجمة مصطفى ماهر،(القاهرة -١٩٦٧)، ص.١١
٣-ابراهيم عبد الكريم : الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل،(فلسطين ١٩٩٣)، ص.١٩
٤-قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط١،(الرياض- ١٩٨٣) ، ص.١٧
٥-عبد المجيد اللبان ، المستشرقون والاسلام، مجلة الازهر،العدد التاسع عشر، (مصر، ١٩٨٧) ، ص٣١.
٦-المرجع السابق ، ص٣١.
٧-عمر فروخ، المستشرقون مالهم وما عليهم، مجلة الاستشراق ،العدد الاول ،(العراق ١٩٨٧) ، ص٥٤.

وهناك من يعرف الاستشراق بانه((موقف غربي تشكل باطار ديني صرف، مشبع بالتعصب والتشنج والانفعال المليء بالحقد والغضب والكراهية ، تحيطه الجهالة العمياء ، متعمداً حيناً ، وغير متعمد احيانا ضد الاسلام))(١).

وعند الغرب عرف الاستشراق بانه ((الالمام باللغات الشرقية))(٢).

وقد ورد في ((The American Peoples Encyclopedia))، ان كلمة (Orient) تعني ((المنطقة التي تتضمن بلدان اسيا، وهي مشتقة من كلمة (Oriens) اللاتينية التي تعني(Rising- طلوع الشمس) ، والتي بدات في العصور الرومانية. حيث خصت مناطق شرق وجنوب شرق البحر المتوسط الى المنطقة التي تشرق عندها الشمس(٣).

وقد ورد ان الاستشراق ((هو اسلوب غربي للسيطرة على الشرق، وامتلاك السيادة عليه ، فهو وجودي قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب))(٤).

وقد عبر عنه ((بانه ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي والتي شملت حضارته واديانه وادابه ولغاته وثقافته) (٥).

والغرض من ذلك انشاء خزانة معرفية واسعة هادفة عن الشرق عامة وعن العالم العربي الاسلامي خاصة، والاستشراق في العالم الاوربي الحديث هو ((موضوع او منهج علمي معترف به من الجميع ويوشك ان يكون ممثلا في جامعة من الجامعات الاوربية بكرسي يشغله استاذ)(٦).

وقد عرفه باحثون اخرون ((انه ممارسة عقلية غربية تكشف لنا مظهراً من مظاهر العقل الغربي ضد الحضارة والشخصية العربية))(٧).

١-عماد الدين خليل: في التاريخ الاسلامي مواقف ودراسات، ط٢،(بغداد -١٩٨٥)ص.١١٨

2-The Compact Edition Of The Oxford English Dictonar y, (New Yourk 1971), Vol-1, P-2009.

3-The American Peoples Encyclopedia ,(New Yourk-1962) , Vol –14, P-903.

٤-سالم حميش ، الاستشراق في افق انسداده ، ط١، منشورات المجلس القومي للثقافة ، (الرباط -١٩٩١) ، ص٧.

٥-عرفان عبد الحميد : دراسات في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، ط١،(عمان-١٤١٢/١٩٩١)،ص١٠٧،كذلك ينظر عبد الامير الاعسم،الاستشراق من منظور فلسفس عربي معاصر ، مجلة افاق عربية،(بغداد-١٩٨٧م).

6-AJ.Arberry, British Orient alisfs,(London-1946),P.7,8.

كذلك ينظر: زكي الصراف:الادب الفارسي المعاصر،(بغداد-١٩٧٨)،ص.١٥٣

٧-عبد الله ابراهيم: المركزية الغربية والاستشراق، مجلة افاق عربية ، العدد التاسع، (بغداد-١٩٩٣) ، ص٢٦.

ولا يمكـن التجاهـل وان يغيـب عـن انظارنـا ان هـذا التيـار اسـهم بصـياغة وتصـدير التصورات للاراء الغربية عن العالم الاسلامي وتصديرها، وان الاستشراق فلسفة استمدت قوتها ومصدرها من الغرب، فعبرت عن رايه ومفاهيمه بعيدا عن المنهجية في التحليل والتفكير الاماندر.

ولايمكن اعتبار الاستشراق ظاهرة كما يدعيها بعضهم لكونه لم تسطع لظرف معين لتزول بزوال الظرف نفسه، بل هي حرب غربية صنعتها ايادي غربية لكبح الفكر العربي الاسلامي وتصوير التاريخ الاسلامي والدين الاسلامي بابشع الصور لخدمة المصالح الغربية .

لذلك يعد الاستشراق كياناً فكرياً موروثاً في الذهنية الغربية والمختزن في اعداد كبيرة من التنظيرات والاشعار والرحلات والمؤسسات ، ولم يدخر الفكر الغربي ذلك الجهد المتفاني في الاستخدام والتطوير والتخزين والبحث عن الحق الصحيح نتيجة لعمق الفكرة العصبية في ذهن المفكر الغربي.

المستشرق:

ويراد به ((كل من تجرد من اهل الغرب في دراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي ادابها طلبا للتعرف على شان امة من الامم الشرقية من حيث اخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها او علومها وادابها))(١).

اطلقت صفة المستشرق على كل من درس احوال الشرق وابدع فيه سواء كان سياسياودينيا اواقتصاديا، وهذا ما يؤيده بعض بالقول (المستشرق هو دارس الشرق كله اقصاه واوسطه وادناه، ويطلق على دارسي لغاته وادابه وحضارته واديانه) (٢).

في حين عرف (بانه الاداة الاستعمارية في اظهار الغرب المسيحي بمظهر المحبة والسلام والعلم والنور واتهام التاريخ والاسلام بالعداوة والجهل والظلام)(٣) .

في حين يؤكد باحث اخر((ان مؤرخي الغرب انقسموا الى فئات منهم:

***الفئة الاولى:مؤرخون نسبوا تدهور اوربا البيزنطية اقتصاديا وحضاريا الى ظهور الاسلام واشهر مؤرخي الفئة البلجيكي هنري بيرين(Henri Pireen)، صاحب كتاب (شارلمان ومحمد)(٤).**

***الفئة الثانية: اصرت على ان الاسلام كان عاملا جوهريا في الحد من تقدم المدنية الغربية لان باستيلائه على شمال افريقيا البيزنطية ، واسبانيا القوطية وشغل الامبراطورية بالحرب وانهكت قواها ونسب هؤلاء حركات الاصلاح عند لوثر الى الاسلام فوصفوها بالزندقة والالحاد(٥).**

***الفئة الثالثة: انصفت ما وسعها الانصاف وهؤلاء كانوا اقرب للحق ولم يجعلوا التعصب الديني حاجزا بالاعتراف بالحق(٦) .**

١-محسن جمال الدين : المتشرقون والاماكن المقدسة،ط٢،(بغداد-١٩٦٧م)،ص١٢.
٢-اسحق موسى الحسيني: الاستشراق، (بيروت-١٩٦٧) ـص١.
٣-عبد القهار العاني، الاستشراق و الدراسات الاسلامية ، ط١(الاردن-٢٠٠١) ، ص٢٩.
٤-قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية الافتعالية، ص٣٢.
٥-المرجع السابق، ص٣٣.
٦-المرجع السابق ، ص٣٣.

اذن فالمستشرق هو كل من اخذ حركته العلمية في اجتياز ميدان ما من الميادين الشرقية سواء الميدان السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي ، وبرع فيه وانتج نتائج اما ان تكون سلبية ومشوهة او ايجابية واضحة او يمكن اعتبار المستشرق هو ذلك المؤرخ او الكاتب الاوربي الذي اتجه اتجاهاً سياسياً او دينياً او كلاهما معا في سبيل التعرف على الشرق بكل ما فيه ولتحقيق مطالع غربية بحتة.

وهنالك من اعماه التعصب العرقي فاتخذ من ما دونه المبشرون من اساطير بداية للطعن في الحضارة العربية الإسلامية وهذا ينطبق على عدة مؤرخين مثل (جولدتسيهر)(١٨٥٠-١٩٢١) ذلك اليهودي المجري(١) ، والالماني (فلهاوزن)(٢).

ولا يخفى ان هنالك متشرقين دفعتهم الاحوال والحالة الاقتصادية لرسم خطى وضعتها الكنيسة الغربية ، غير ان هنالك مجموعة من المستشرقين سواء كانوا بريطانيين ام غير بريطانيين. بحثوا بعلمية صادقة وحققوا بموضوعية منصفة ادت بهم الى فهم هذه الحضارة والدين الحنيف حتى ان بعضهم اعتنق الاسلام سرا او جهرا ، زيفا ام حقيقة ، امثال بوركهات(٣) ، وهناك ايضا المستشرق كويلم(٤).

وهناك الكثير ممن حملوا لواء التزييف والتغيير ضد الاسلام ، لذلك يمكن القول بان المتشرقين هم مجموعة من العلماء والمؤرخين والكتاب الاجانب الذين اهتموا بالفن الشرقي عامة والاسلامي خاصة وتراث الحضارة العربية الاسلامية وتاريخ الشرق الاسلامي وكتبوا في محاوره المختلفة واظهروا نتاجاتهم التي ليس فيها من الانصاف والاحسان للتاريخ الاسلامي الامانذر اضافة الى ان المستشرق هو سر الحرب الدينية الغربية والمرض الذي لم يعد خفيا والحدث الجلي الذي لم يعد يهدد اعتاب هذه الحضارة الاسلامية العريقة .

١-ينظر:رشيد العبيدي، الحركة الاستشراقية مراميها واعراضها،ط١،(بغداد-٢٠٠٣)،ص١٤٠-١٤١.
٢-المرجع السابق، ص١٤١.
٣-جوهن لويس:مستشرق بريطاني اتقن اللغة العربية وقرا القرآن وتفقه بالدين الاسلامي واعتنقه واسمه بعد الاسلام ابراهيم بن عبد الله ، ادى مناسك الحج وقضى بمكة ثلاث شهور وتوفي في القاهرة بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٣٢هـ، وله مؤلفات اهمها رحلة الى الجزيرة العربية، ينظر:عبد الجبار ناجي : تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي،(بغداد-١٩٨١)،ص٤٣.

٤-اسمه عبد الله الانجليزي بعد اسلامه ، له من الاثار مثل العقيدة الاسلامية ونقلت الى العربية، ينظر :عبد الجبار ناجي ، تطور الاستشراق ، ص٤٣.

الفرق بين المبشر والمستشرق والمستعرب:

على الرغم من الهدف الجلي والواضح فيما سار اليه كل من المستشرق والمستعرب والمبشر وان اختلفت مسمياتهم وقراءة الطبول لديهم ، الا انه يبقى لنا اظهار الفرق بين هؤلاء والاشارة الى ابرزهم في شن حملات الطعن والافتراء ضد الاسلام.

فالمبشر :هو الشخص الذي استخدم دين المسيحية كغطاء لتحقيق اهداف سياسية واقتصادية موجهة ضد الاسلام ومن امثال هؤلاء المبشر زويمر(١).

اما عن تعريف التبشير فالتبشير خبر يفيد السرور الا انه بحسب اهل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في البشر ، ويستعمل معنى للفرح والحزن(٢).

وقد اطلق التبشير في الكتب الحديثة على المنظمات الدينية التي تستهدف نشر الدين المسيحي وتعليمه في دولة ما ،وقد استهدف هؤلاء العرب المسلمين لغرض افساد دينهم وحرفهم عن طريق الرسالة السماوية التي رسمت لهم لذلك فالتبشير هو منهج تخريبي يراد به تنصيل المسلمين من عقيدتهم ومبادئهم وهذا منافٍ لما جاء به الانجيل عن عيسى(عليه السلام)(٣).

ان وضوح اهداف المبشر في نشر المسيحية ومحاولة غلبتها على الاسلام، واضح في قول احد المبشرين الالمان:((ان الاسلام لما انبسط في العصور الوسطى اقام سدا بوجه النصرانية ثم امتد الى البلدان التي كانت خاضعة لصولجان المسيحية))(٤).

اذن الخوف من قوة الاسلام الذي عرف بمبادئه واخلاقه فكان حاجزاً منيعاً بوجه النصرانية التي طالما استبدت العالم بمسيحيتها.

اما المستشرق فقد ظهر جليا تعريفه سابقا والذي ارتبط نوعا ما ارتباطا وشيجا عند بعض المؤرخين الغرب على الرغم من اختلاف القابهم.

١-رشيد العبيدي: الحركة الاستشراقية،ص.١٠

٢-الزبيدي هو محب الدين ابي الفياض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي: ت ٤٥٨هـ : تاج العروس من جواهر القاموس، (مصر- ١٣٠٧) ج٣،ص.٥٤٦

٣-رشيد العبيدي: الحركة الاستشراقية،ص.١٠

٤-عمر فروخ ومصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٣ ،(بيروت-١٩٦٤) ،ص٣٦.

اما المستعرب:

فهو المؤرخ او العالم الاوربي الذي توجه الى اتقان اللغات الشرقية وخاصة العربية للوصول الى اهداف قد اختلفت عن اهداف المبشر والمستشرق بحسب ادعائهم الا انهم يلتقون في حقيقة الامر عند هدف واحد وهو الطعن بالاسلام(١).

نشاة الاستشراق:

لم يحدد الباحثون بدء انطلاقة الاستشراق ، وذلك لتفاوت الآراء والازمان حول تاريخ نشاة الاستشراق، فقد ظهرت تارة مبعثرة ، وتارة اخرى منظمة ومهما كان الامر يبقى تحديد نشاة الاستشراق مجهولاً .

فقد حددت بداية للاستشراق على يد (فلافيوس اريان) الذي الف كتاب عن (الاسكندر المقدوني) ذكر فيها منطقة الخليج العربي والهند ورحلة (القائد اليوناني نيرخوس)،في الخليج العربي ايضا ، ثم نجد براعة سترابون في كتابه (جغرافيا)، شرح فيه مدن العرب وقبائلهم ومعطيات حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والتجارية(٢)**، الا انه يمكن تحديد مرحلة من مراحل بداية الاستشراق اثناء احتكاك اليونان بالفرس عبر الاراضي العربية فسطعت ثروات الشرق انذاك.**

الا ان بروز مدلول الاستشراق تاريخيا ونشأته ظهر بعد الاتصال الاوربي بالحضارة العربية الاسلامية واستقرار العرب المسلمين في الاندلس وصقليه(٣).

لقد اسهم هذا التدخل في انتقال مجد المسلمين العرب بكافة الميادين من طب ورياضيات وفلك وعلوم الى الاوربيين التواقين للانتشال من جهل مدقع (٤).

لاسيما وان اوربا كانت تجثوا تحت سلطة الاقطاع والكنيسة، فادى بهم الى بلوغ منابع العلم والمعرفة ومحاولة شق اولى المعايير نحو الشرق.

١-شوقي ابراهيم علي عبد الله: في الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ،ط٣،(بغداد-١٩٨٨) ، ص.٩٨

٢-عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، ص ١١-١٣.
٣-علي حسن الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الاسلامي ، (مصر-١٩٨٨) ، ص٢٧،وكذلك البير نصري نادر، اهتمام المتشرقين بالفكر العربي الاسلامي القديم ، مجلة الاستشراق ، العدد الاول، (بغداد١٩٨٧)، ص١٠٦.
٤-علي حسن الخربوطلي، المتشرقون والتاريخ الاسلامي ، ص٢٧، وكذلك البير نصري نادر ، اهتمام المتشرقين بالفكر الاسلامي القديم ، ص١٠٦.

فاستطاع العديد منهم ان يدخل مضمار الترجمة ونقل العلوم العربية الى اللغة اللاتينية ، فنجد الراهب الفرنسي (جربرت الاويالكي) الذي اصبح فيما بعد باسم (البابا سلفستر الثاني) سنة ٩٩٩م ، وقد رحل هذا الراهب الى الاندلس فقضى مدة من الزمن ثم رجع الى اوربا بعد ذلك ورحل نحو مدينة اندلسية يطلق عليها الغرب اسم (كاتولونيا الاندلسية) فدرس الرياضيات وبقى فيها ثلاثة اعوام ليقتبس من علومها(١).

وكذلك الراهب بطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م)، والراهب جيرادي الكريموني(١١١٤-١١٨٧م)(٢).

وقد واصل الغرب انغماسه بشمس الشرق فنجده يتطور الى بعثات اوربية منظمة والتي كان منها بعثة برئاسة الاميرة (اليزابيث) ابنة خالة لويس ملك فرنسا ، وبعثة اخرى كانت انكليزية وعلى راسها الاميرة (دوبان) ابنة الامير جورج صاحب مقاطعة ويلز ، وثالثة من مقاطعة سفوا واليافاريا وسكسونيا والراين(٣).

وهنالك من يشير الى ان حركة الاستشراق بدات مع استيلاء (الفونسو السادس) على طليطلة عام ٤٨٨هـ/١٠٨٥م، والتي كانت اكثر مدن اسبانيا ازدهارا وقد انشئ فيها دير سمي (دير كلوني) الذي اصبح مركزاً لاستقطاب طلاب العلم والترجمة الذين واكبوا على نشر توجيهات اللاهوت ورهبان النصرانية الاسبانية (٤).

تعاون هؤلاء الرهبان مع الملوك في استمالة السياح وتوطينهم وتكوين جيش هاجم طليطلة قبل عشر سنوات من اول حملة صليبية(٥).

يذهب بعض الباحثين في قولهم عن بداية الاستشراق ترجع الى القرنين العاشر والحادي عشر وهي الفترة التي بدات تنظم خلالها الدراسات العربية في اوربا وتوسعت حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية .

١-مونتغمري وات، تاثير الاسلام على اوربا الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ، ط -بلا، (الموصل١٩٨٢)، ص٩٥-٩٦، ، وكذلك عمر فروخ ، المتشرقون ما لهم وما عليهم ،ص٥٤-٥٥

٢-مصطفى السباعي: الاستشراق والمتشرقون مالهم وما عليهم ،(الكويت —١٩٦٨)،ص١٦، وكذلك : محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الاسلام ، ط١، (طرابلس-١٩٨٣)، ص٦٤.
٣-الخربوطلي،المستشرقون والتاريخ الاسلامي،ص٢٩.
٤- عبد الباسط عبد الصمد الشاوي، الغزو الاوربي للفكر العربي الاسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد -١٩٨٧،ص٨٨ وكذلك قاسم السامرائي ، الاستشراق، ص.٢١
٥-قاسم السامرائي: الاستشراق، ص٢٢.

وبذلك استفاد العقل الغربي من المخطوطات العربية وخاصة في ميداني الطب والفلسفة وقد احصيت التراجم من العربية الى اللاتينية بحوالي ٣٠٠ مخطوط في العلوم(١).

في منتصف القرن الثاني عشر ظهرت لاول مرة ترجمة للقران الكريم بايعاز من رئيس اساقفة (ديركلوني) على يد راهب انكليزي يدعى (روبرت الرتيني) ، وكان ذلك عام ١١٤٣م الا ان هذه الترجمة لم تر النور واخفيت خوفا من الحقائق التي تهدد الامبراطورية المسيحية واهميتها في انتشار الاسلام والحضارة العربية الاسلامية، ولم تظهر تلك النسخة الا في عام ١٥٤٣م، ثم اتلفت بامر من البابا(بولس الثالث) ولم يطبع القران باللغة اللاتينية الا في عهد البابا(الكسندر السابع) عام ١٥٥٥-١٥٦٧م(٢).

مما تقدم نجد ان البدايات الاولى والحقيقية للاستشراق كانت عن طريق انتقال علوم العرب وحضارتهم الى الغرب الذين لم يكونوا سوى امام موقفين دفعهم للنهل من علوم العرب فكان الموقف الاول يتصدر بإعجابهم الشديد والحقيقي بتلك الحضارة الاسلامية الوليدة مقارنة بالامبراطورية المسيحية الغربية على حد تفكيرهم .

اما الموقف الثاني يتصدر بالخوف مما يمكن ان تصدره تلك الحضارة من علوم وفنون ومواقف وحقائق مهمة تثبت اوهام ودجل الغرب ودجلة الذي كان وما زال غارقا باوهام القضاء على رموز الحضارة العربية الاسلامية بافكاره وغزواته، الا ان هنالك من عد الاستشراق ناتجاً عن اثر الحملات الصليبية على اراضي الدولة العربية الاسلامية ، وهي عبارة عن تلك الغزوات التي توجه بها الغرب الاوربي المسيحي نحو الشرق الاسلامي واطلق عليها (الحرب الدينية)(٣).

هذا وقد اسهمت هذه الحملات وبشكل فعال في تفعيل وتنمية عملية الاستشراق خصوصا بعد الهزائم التي مني بها الغرب على يد المسلمين ومحاولة الانتقام من هذه الامة فنشر الاستشراق في هذه الفترة الكثير من التزييف والتشويه للدين الاسلامي (٤).

١-سالم البيض، من الاستشراق الى نهاية التاريخ ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٩ (بغداد-١٩٩٦) ، ص١٩.
٢-محمد صالح البنداق:المستشرقون وترجمة القران ، (بيروت-١٩٨٠)، ص٩٠وما بعدها.
٣-محمد البهي، الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ط٦، (بيروت-١٩٧٣) ،ص٥٣٢.
٤-رشيد العبيدي: الحركة الاستشراقية، ص١٤، كذلك ينظر: ستيفن رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني،(بيروت-١٩٦٧)، ثلاثة اجزاء، وكذلك ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، (بيروت١٩٦٧)، كذلك سعيد عبد الفتاح عاشور :حركة الصليبية ، (القاهرة -١٩٦٣)، جزايين.

وهو ما اكده عدد من الباحثين بالقول (ان الشر الذي يبثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ولكن كان قبل كل شيء شرا ثقافيا)(١).

ومن هنا يمكن القول ان الحروب الصليبية هي التي انضجت ثمار الاستشراق اذأن اسبابها كانت دينية قبل ان تكون سياسية ، كما ادعت الامبراطورية المسيحية وهدفها تدمير الاسلام وكسر شوكته(٢).

و يظهر الحق على لسان المستشرق (غاردنز) الذي يقول ((لم يستطع الصليبيون انتزاع القدس من ايدي المسلمين ليقيموا دولة تحمل الصليب المسيحي هناك، والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة وانما كانت رياح موجهة ضد الاسلام والمسلمين))(٣).

وان الصدمة التي تلقاها العالم الغربي في الحروب الصليبية ادت الى نتائج يقول عنها بعض المستشرقين ((ان تحامل المستشرقين على الاسلام هو غريزة موروثة وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الاوربيين))(٤).

وقد اتفق الكثير من المؤرخين على ان الحروب الصليبية هي بداية الاستشراق واعمقها يظهر ذلك من خلال ما يرويه ابن الاثير ((ان بطرك بيت المقدس خرج مع الكثير من مشهوري الصليبين وفرسانهم حين فتح صلاح الدين بيت المقدس، لبسوا السواد واظهروا الحزن على ذهاب بيت المقدس من ايديهم ودخلوا بلاد الافرنج يطوفونها ويستنجدون باهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الاخذ بالثار لبيت المقدس وصوروا المسيح وجعلوا صورة رجل عربي امامه والعربي يضرب المسيح وجعلوا صورة المسيح وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد(ﷺ) نبي المسلمين وقد جرحه وقتله))(٥)

١-محمد اسد:الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين ، (بيروت-١٩٤٦)، ص٥٨.

٢-عبد المنعم النمر،الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء،ط١،(مصر-١٩٨٧)،ص.١٤٧
٣-تمبلر: مستشرق تعلم اللغة العربية وهدفه التصدي الى العقيدة الاسلامية فرحل الى مصر مرتديا لباس القس عام ١٩٠٤، واختار بيت عرابي للاقامة فيه فاستاجره من القوات الانكليزية واخذ يعقد فيه الاجتماعات و يلقي فيه المحاضرات ضد الاسلام . ينظر، التبشير والاستعمار، لفروخ والخالدي، ص١١٥.
٤-محمد اسد، مستشرق بريطاني اسمه ليوبولس فايس اسلم وتسمى باسم محمد اسد له كتاب (الاسلام على مفترق الطرق) لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد البهي: الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص٥٠٧-٥٢١.
٥-ابن الاثير هو عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ،(بيروت-١٩٦٥)،ج٩،ص٢٠١، كذلك ابن واصل : جمال الدين سالم ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب،بتحقيق جمال الدين الشيال،(القاهرة ،١٩٥٧) ،ج٢،ص٢٨٨.

في حين يروي القاضي بهاء الدين بن شداد ((انهم صوروا قبر المسيح وعليه فارسا عربيا مسلما وقد وطا قبر المسيح وبال على القبر وانهم اظهروا هذه الصورة في بلادهم (وراء النهر) وفي الاسواق والمجامع والقسوس يحملون تلك الصورة ورؤسهم مكشوفة وعليهم المسوح وينادون بالويل والثبور))(١).

وهذا اقل ما فعله الغرب لدعم سياسته وابرازها بالبرواز المثير والمفتون لاجل الوصول الى الغاية المنشودة ، فقد بدات حركة جادة وسريعة لتعلم اللغات الشرقية ، وقد كان الرهبان هم الاوائل في هذا المجال ، حيث اصدر البابا (اكلمنتس الخامس) قرارا يقضي بان تؤسس في باريس واكسفورد وبولون دروس عربية وعبرانية وكلدانية وهي ما اطلق عليها كراسي الدراسات الشرقية(٢) .

الا ان الاستشراق ارتبط بالحروب الصليبية ارتباطا وثيقا من خلال صياغة الاكاذيب والتي دفعت العالم نحو الجنون على الاسلام وبما ان الحروب الصليبية هي ظاهرة تاريخية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ً فقد حملت مصطلحاً مناقضاً لحقيقتها من خلال ارتباطها بالصليب، فالمتتبع لصفحات تلك الحملات العدائية يجد مزيجا من القسوة والوحشية والتدين العاطفي الذي يحيطه التعصب وهو يكشف التناقض مع الصليب الذي هو رمز التضحية والفداء ولم يكن رمزاً للقتل والدمار، فالحركة الصليبية في الواقع هي انعطاف خطير في تاريخ الغرب الاوربي سواء من حيث مجالها الجغرافي واطارها الزمني او من الذين شاركوا فيها فهي اول حرب يخوضها الغرب تحت راية ايدولوجية بعينها (٣).

ان هذه الهزائم المتكررة لتلك الحروب دفعت الكثيرين الى تشويه الفكر الاسلامي ومحاربته وان تلك الهجمات الاستشراقية الصليبية ما هي الا احداثيات رسمتها الكنيسة الكاثولكية دفعها الحقد على الاسلام(٤).

ثم توالت هزائم الصليبيين ختمت بكارثة محققة تمثلت بانتصار العرب المسلمين في معركة حطين في ربيع الاول ٥٨٣هـ -تموز١١٨٧م.

١-هو القاضي بهاء الدين يوسف(ت٦٢٢هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال ،(القاهرة-١٩٦٢)، ص١٢١.

٢-ادوارد سعيد : الاستشراق (المعرفة- السلطة- الانشاء)، الطبعة العربية الاولى(بيروت-١٩٨١)، ص.٨٠

٣-رشيد عبد الله الجميلي- العرب والتحدي الصليبي، (بغداد-١٩٩١)، ص.١٢

٤-عائشة عبد الرحمن ، تراثنا بين ماض وحاضر، (مصر- ١٩٦٨) ، ص٥٣.

الذي يعد ايذاناً بانتهاء اخطر استعمار استيطاني عرفته العصور الوسطى ومن بعده تحرير القدس على يد القائد صلاح الدين الايوبي في رجب عام ٥٨٣هـ – اكتوبر ١١٨٧م، ولا غرابة فيما وصف بان الغزاة في الشام واصلوا الفرنج في صقليه ودعوهم لنصرهم على الرغم من الامكانيات الكبيرة التي حشدها الغرب وذلك لايمانهم ان الحدود العربية فكرا او جغرافيا وعلما كانت مصدر قلق مثير للغرب الذين حملوا شراسة العدو في كل شيئ(١).

هذه الاراء الغربية عبرت بصدق عن حقيقة الحروب الصليبية بانها مشاريع استهدفت الكنيسة من ورائها بتحقيق اطماع شخصية ومكاسب مادية ، وتحقيق اهداف تدميرية ضد الفكر العربي المسلم والشرق بصورة عامة، لذلك جاءت هذه الاصوات التي نادت ببطلان شرعية هذه الحروب وتاكيد عدوانيتها وقد حاول الغرب جاهدا ان تكون مرحلة ما بعد الحروب الصليبية هي بداية حرب فكرية ضد العرب بعد ان عجزوا عن السلاح امامهم .

١-المقريزي هو تقي الدين ابو العباس احمد، ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ، (القاهرة ، ١٩٣٤-١٩٥٨) ، ج١، ص١٠١.

اهداف الاستشراق:

الهدف الديني:

سيطر التبشر والاستشراق على هدف مفاده محاربة الاسلام ودعوته للقضاء على الحركات الداعية للاسلام ، فقد عمل الاستشراق على اظهار الغرب المسيحي بمظهر الدول المحبة للسلام والعلم واتهام الاسلام فكرا وتاريخا بانه مصدر تسرب الجهل والظلام ضد اشعاعات النور للكنيسة الغربية(١).

لذلك عمد الغرب على تشويه الديانة الاسلامية والمقدسات الاسلامية وشخصية الرسول(ﷺ) بعد انتشار الاسلام وزيادة قوته الامر الذي سبب بشعور الكنيسة بالخطر(٢)، لاسيما ان الغرب عاش في تلك الفترة في حالة من الجهل والضياع على عكس الدولة العربية الاسلامية.

لذلك كان من السهل ان يتبع الناس ما تمليه الكنيسة على اسماعهم ، وان كان فيها هلاكهم ، ساعد ذلك على بقاء الاسلام دينا غامضا في اوربا جمعاء(٣).

فالفكر الغربي كان وما زال سموماً لتشويه نتاجات الدين والعالم الاسلامي ناهيك عن محاولة ابراز الخلافات المذهبية وتاكيد الفجوات والثغرات بين الطوائف والشعوب،ومحاولة تعميقها بشكل ينهك من قوة الفكر العربي وتغليف المفاهيم الاسلامية بالغلاف النصراني(٤).

وقد قال غلادستون ((مادام هذا القرآن موجودا في ايدي المسلمين ، فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ولا ان تكون هي نفسها في امان))(٥).

ذلك الخطر الذي ارعب الكنيسة فحاولت جاهدة تشويه القران الكريم وما انزل فيه ، علاوة على انهم وجدوا في الاسلام الجدار الوحيد في وجه مطامعهم ليس ذلك فقط وانما هو الخطر الوحيد في بلادهم لذلك نادوا دمروا الاسلام وابيدوا اهله،

١-عبد القهار العاني، الاستشراق ،ص.٢٩

٢-المرجع السابق ، ص٢٩، وكذلك : جواد علي: تاريخ العرب في الاسلام، (بغداد-١٩٨٣)، ص.١٠

٣-الخربوطلي: المتشرقون والتاريخ الاسلامي،ص٣٥-٣٧.

٤-عبد القهار العاني، الاستشراق، ص٣١.

٥- محمد اسد، الاسلام على مفترق الطرق،ص٣٩.

ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ ((ليست الشيوعيه خطرا على اوربا فيما يبدو لي ، ان الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الاسلامي ، فالمسلمون عالم مستقل عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم ، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة ، فهم جديرون بان يقيموا قواعد عالم جديد)) ويضيف ((اننا نحن الفرنسيين حاولنا خلال حكمنا الطويل للدول العربية حاولنا محو الشخصية العربية المسلمة ، لكن الاخفاق الكامل كان نهايتنا))(١).

ولقد نادى الغرب بضرورة محو الاسلام والحيلولة دون وحدة المسلمين العرب ، لان قوة العرب تتصاحب مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره(٢).

لذلك كانت الدوافع الدينية احدى اهم بواعث الاستشراق الذي حمل على عاتقه محاولة القضاء على الفكر العربي الاسلامي والعقيدة الاسلامية.

ثانيا: الدافع الاقتصادي:

يعد الدافع الاقتصادي احد اهم المحفزات للاستشراق والتبشير وقد سبق بعهد طويل الدافع الاستعماري وذلك لان سيطرة الاستعمار غايتها التسلط على مقدرات الشرق والتحكم بها، ويوضح هذا الكلام المؤرخون الغربيون فيصرحون ان من اهم اسباب اهتمام المستشرقين بالشرق وجود الثروات الاقتصادية الهائلة(٣).

فضلاً عن ذلك نجد ان بداية القرن السابع عشر الميلادي برزت حاجة التجارة الشرقية التي دفعت بالتاجر الى تحصيل النفع المادي من علاقته بالشعوب الشرقية، والذي كان يدفع بالاستشراق لدراسة تلك الشعوب والتعرف عليها اكثر(٤).

واهتم الغرب بالتجارة واستثمار الموارد الطبيعية استثمارا متناهيا مبالغا فيه بحيث استغلوا المعادن في التصنيع والمتاجرة .

١-مجلة روز اليوسف،(القاهرة-١٩٦٣)، كذلك ينظر :رشيد العبيدي، الحركة،ص٣٢-٣٣.
٢-محمد البهي: الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي،ص.١٩
٣-ينظر: عمر فروخ والخالدي، الاستعمار والتبشير، ص.١١٤
٤-ينظر: اسحق موسى الحسيني ، الاستشراق،ص١٠-١٢، كذلك ، مشتاق الغزالي، تطور الاستشراق في دراسة السيرة النبوية الشريفة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، بغداد-٢٠٠١،ص٤٦.

واتخذوا من البلاد التي فرضوا سيطرتهم عليها اسواقا لتجارتهم ولاستهلاك ما ينتجون من مصنوعات وملبوسات الامر الذي ساعدهم على انشاء شركات المقامرة للتجارة والسياسة معا(١) ، هذا الدافع احدث ضجة عند الغرب استسلمت امامها مقدرات هذه الامة ليكون طريقا جديدا لتطويق العالم الاسلامي.

ثالثا: الدافع السياسي(الاستعماري):

لقد كانت الدول الغربية السباقة في السيطرة على الشرق ، وقد حظيت بمكان في الشرق العربي على الرغم من المحاولات الجاهدة للتخلص من تلك السيطرة، وقد كانت هذه الدول جادة في الحفاظ على ما رسمته في تثبيت مصالحها والسعي لتحقيق اهدافها تحت أي غطاء او مسميات استعمارية(٢).

وارتبط المستشرقون بدولهم ليمدوهم بمعلومات عن الشرق وثرواته وكنوزه ومعلومات عن الاسلام وطوائفه وعقائده(٣).

الامر الذي سهل على المستعمر وضع الفواصل والفوراق بين شعوب المسلمين ومزقوا هذه الامة دويلات سهلة الاغتصاب واصبحت مرتعا للافكار المشوشة والحاقدة نحو العقيدة الاسلامية والفكر العربي(٤).

لقد سار المستشرقون على مسار الثالوث الذي رسم لهم من قبل الدول المسخرة وهو اخضاع الشرق سياسيا ودينيا واقتصاديا تحت راية الكنيسة الغربية ، فلم ينته دورهم عند حدود معرفة العالم الشرقي بل تعداه الى تطويع هذا العالم من خلال استعماره واستخدامه

كاداة ضغط لتحقيق المصالح الغربية، ويثبت قولنا ما قاله لويس التاسع ملك فرنسا الذي اسر في دار ابن لقمان في المنصورة، في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية بباريس.

١-رشيد عبد الرحمن العبيدي، الحركة الاستشراقية، ص.٣٣
٢-صبحي ناصر حسين،موقف المشارقة من المستشرقين، مجلة الاستشراق، العدد١، (بغداد-١٩٨٧)ص٤٧-.٤٨
٣-عبد الفتاح عريان: اضواء على الاستشراق، (مصر-١٩٨٠)، ص.٤٣
٤-رشيد العبيدي،الحركة الاستشراقية،ص٣١،وكذلك محمد غلاب:نظرات استشراقية في الاسلام، (طبعة مصر-لات) ،ص٢١.

قال : ((انه لايمكن الانتصار على المسلمين من خلال الحرب وانما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي:

*اشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، واذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما امكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا في اضعاف الملسمين.

*عدم تمكين البلاد الاسلامية أن يقوم فيها حكم صالح.

*افساد انظمة الحكم في البلاد بالرشوة والفساد والنساء ، حتى تنفصل القمة عن القاعدة ، وكذلك الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة والحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه ، والتضحية في سبيل مبادئه.

*العمل على قيام دولة غربية في المنطقة تمتد ما بين غزة جنوباً ، وانطاكية شمالاً،ثم تتجه شرقاً، وتمتد حتى تصل الى الغرب(١).

لذلك كان العالم الغربي بما فيه المصالح البريطانية في الشرق الاسلامي كانت دائما تنظر الى الشرق الاسلامي على انه الخطر المحدق بالغرب اذا لم يكن الخطر الوحيد ، لذلك اصبح الغرب مستعدا لملء الفراغات داخل العالم العربي باسرع الطرق واسهلها من خلال الحرب الفكرية والسيطرة الاستعمارية فجعلت من التبشير والاستشراق طرقاً للوصول الى الفكر الاسلامي وتخريب العقيدة الاسلامية الحية .

رابعا:الدافع العلمي:

يعد الدافع العلمي احد دوافع الاستشراق فقد حفز هذا الدافع للاطلاع على الشرق وامه' وثقافته' ، فقد اتسعت بحوث المستشرقين بعد التزام فئة منهم بالعلمية الصادقة والحقيقية

الكاملة مبتعدين عن الدس والتحريف لذلك جاءت نتاجاتهم قائمة على الموضوعية والامانة العلمية الى حد كبير(٢).

فقد اتجه هؤلاء المستشرقون الى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة الخالصة ومن هؤلاء(توماس ارنولد) الذي أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة للاسلام).

١- احمد كمال : مجلة اخر ساعة المصرية ، العدد ٢١٠٦،(٥ اذار -١٩٧٥).
٢-مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم،ص٢١.

وقد اعتنق بعضهم الاسلام وكانت كتبهم واصداراتهم نتاج استشراقي مشرف نحو التاريخ والحضارة الاسلامية، والمستشرق الفرنسي دينيه(١)

الذي اطلق على نفسه اسم (ناصرالدين) بعد اسلامه ،وقد حدد المستشرق الالماني (رودي بارت) منتصف القرن التاسع عشر الميلادي موعدا اصبح فيه الاستشراق علما في قارة اوربا، مدعيا ان المستشرقين تخلصوا من الاراء القديمة وانهم بدأوا ينقلون بموضوعية عن الشرق وتنقية الاستشراق من الشوائب الدينية والاستعمارية ، الا ان المستشرق البريطاني وليم جونز (١٧٤٦-١٧١٤) والسير تشارلز ولكنز (١٧٥٠-١٨٣٦) ، وغيرهم لايتفقون مع بارت حول هذا التاريخ من بداية الاستشراق بصورة علمية هادفة(٢).

الى جانب ذلك نجد ان الدوافع الدينية والاستعمارية هي اهداف لازمت الاستشراق الى يومنا هذا الا ان دراسة الاستشراق بعلمية وموضوعية تبينت في كتابات المستشرق الانكليزي اديلارد(٣) ، الذي نقل علوم العرب وثقافتهم وحمل بعلمية صادقة الى ان العرب هم اصحاب الفضل الاول والاخير في نهضة اوربا الان كما ادخل الى اوربا من علوم العرب الكثير في الوقت الذي كانت اوربا تعد العدة لغزو عسكري صليبي نحو الشرق(٤).

وكان دور جرارد القرموني الذي توفي (١١٨٧م-٥٨٣هـ) في ايطاليا الذي درس العربية واتقنها ، نقل كتبا مهمة من مكتبات العالم الاسلامي ، بلغت ما يزيد على الثمانين كتابا ، اغلبها في المنطق والهندسة والفيزياء والفلك والبصريات والطب، وهذه الكتب مترجمة من العربية وان الاستشراق العلمي بدأ كما نريدهُ وذلك مع ابتداء القرن السادس

عشر للميلاد (العاشر الهجري) من خلال الاهتمام باللغات الشرقية وجمع المخطوطات العربية والكتابة في موضوعات متعددة سواء ادبية او دينية او لغوية(٥).

١-المرجع السابق ، ص٢١.
٢-مشتاق الغزالي، تطور الاستشراق، ص٤٩.
٣- مستشرق درس في فرنسا والمانيا ، طاف الشرق ٧ مرات ثم رحل نحو الشام وانتقل بعدها الى مصر ونقل كتب الرياضيات والفلك والهندسة وادخل الى اوربا علم الانساب والمثلثات ، ينظر : رشيد العبيدي، الحركة الاستشراقية، ص.٣٤
٤-رشيد العبيدي، الحركة الاستشراقية،ص.٣٥
٥-عمر فروخ : المستشرقون، مجلة الاستشراق، ص٥٤-٥٦.

لقد كان انتشار الاسلام على يد المسلمين الذين استطاعوا خلال حقبة وجيزة ان يصلوا الى الصين شرقا والبرتغال وجنوب فرنسا غرباً، امرا ولد رعباً وقلقاً لدى الكنيسة العربية التي حاولت ايقاف ذلك الكابوس الذي يصفه المستشرق لورنس براون ((ان الخطر الحقيقي يكمن في الاسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع ، وفي حيويته' المدهشة))(١).

فضلاً عن ان بعض كتابات المستشرقين كانت مخلوطة بخليط غير منظم من الافكار والقيم واللاهوت فنتج عنها دراسة مخلوطة بالتعصب الديني والنزاعات الفردية والفكر العلمي مع السيطرة الاستعمارية الاوربية(٢).

وكل ذلك تمثل بدوافع مختلفة توجهت بالغرب لدراسة المجتمع الشرقي بمختلف تفاصيله من ادب ولغة ودين وتاريخ وان الخوف من المجتمع الاسلامي الشرقي حفزهم الى اشعال الفتن بين العقيدتين المسيحية والمسلمة والنظر اليه بنظرة التعالي والتفوق الذي يحمله الجنس الاري على باقي الاجناس ، فوضعت هذه الهوة الصراع المحتدم والمستمر بين الشرق والغرب ودفع الكثيرين نحو التلفيق والطمع وغياب الموضوعية ، فاستمر هذا الصراع الذي حاول به المتسلط تطويق انسان الشرق وجعله تابعا لا متبوعا ، وعبداً على ارضه وتحت سمائه للمستعمر الغربي.

١- ينظر عمر فروخ والخالدي، التبشير والاستعمار ، ص١٨٤.
٢-رشيد العبيدي- الحركة الاستشراقية،ص٢٣، كذلك ينظر : سمر رحيم الخزاعي، مواقف الاستشراق في الفكر العربي الاسلامي، مجلة مركز دراسات الوطن العربي، العدد العاشر(بغداد-٢٠٠٠)،ص١٩٥.

المواقف السلبية للاستشراق والايجابية فى الفكر الاسلامى:

لقد ظل الاستشراق بين الموضوعية والانحراف وظل المستشرقون كذلك بين تلك المطرقة وذلك السندان، فجاءت نتائج الاستشراق منها ما تحمل مواقف ايجابية من بعض المستشرقين وسلبية عند بعضهم الاخر فنحن نحدد اليوم الاستشراق بين الموضوعية والانحراف لانه لابد من التمييز بينهما ، لان فكر الاستشراق يمثل استمرار للنهج الاستعماري الاوربي الامريكي بصورة خاصة والنهج الغربي بصورة عامة الذي بدا بالرحالة والرهبان وتطور بتطور وسائل الاعلام ووسائل الاتصال .

أ-مواقف الاستشراق السلبية:

ان الاستشراق منذ نشاته هو تعبير عن المصالح الاستعمارية الغربية تجاه بلدان الشرق الاسلامي ، وقد انتهج سلوكا هادفا لخدمة الابعاد الغربية لهذه البلدان وابرز مثال لذلك الحملة الفرنسية على مصر ، والتي قادها نابليون بونابرت في عام ١٧٩٨م، هذه الحملة كانت تخفق لو لا صدور كتاب وضعه المستشرق (الكونت دي فولفي) في العام ١٧٨٧م بعنوان رحلة الى مصر وسوريا وهكذا كانت كلما اقدمت دولة اوربية لاحتلال بلد عربي اعتمدت على كتابات المستشرقين عن تلك الدولة لتنجز اهدافها الاستعمارية باقل التكاليف والامكانيات(١).

وقد تحققت المارب الاستعمارية وتطابقت التوقعات مع الواقع وعلى الرغم من ان الـوهم لايـنجم عنـه الا لتضـليل، وان الغرب حقـق هدفـه مـن خـلال منشـورين اعـدهما المستشرقون وجهت (بنابليون) نحو مصر في ٦/تموز/ ١٧٩٨، والثانـي وجــه (بكانيفا) القائـد الايطـالي نحـو عـرب ليبيـا فـي ١٥/ك١/١٩١١، وقـد اثبتـا حالـة الجهـل والفشـل المروع الذي يعيشه الفكر الغربي والتصورات الاكثر خطرا للفكر العربي الاسلامي....(٢)

١- سمر رحيم الخزاعي، مواقف الاستشراق ،ص١٩٧.
٢-المرجع السابق ، ص١٩٧.

ففي المنشور الاول يجعل نــابليون نفسه (المهدي المنتظر) اذ جــاء فيـه ((بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد ولا شريك في ملكه....))(١)

وهكذا يخرج نابليون نفسه من طور التثليث الى التوحيد رافضـا اعتناقـه المسيحية ، ان الاستشراق الذي ادعى الموضوعية والعلميـة تعامل مع قائدالحملـة الغربيـة بـالتزييف طيلـة قرنين مـن الـزمن ان صدر فـي بـاريس عـام ١٩٧٩، كتـاب بعنـوان (مـذكرات احد اعيـان القـاهرة خـلال الحملـة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١م)، وهــو عبـارة عـــن ترجمـة فصول كتـاب (عجائـب الاثـار فـي التـراجم والاخبـار) لعبـد الله بـن الـرحمن الجبرتـي، ان المترجم لهذا الكتاب هو (جوزيف كودك)، الذي يراعي فـي نقلـه للاخبـار حسب ادعـاءه ألدقة المثالية ، لكنـه يحذف الجملـة التـي ينفـي فيهـا نـابليون التثليث ، وهكذا يخـون هذا المستشرق الامانـة العلمية ، وهو على مشارف القرن العشرين ولم يـزل التعصب الـديني في اوجه.

ونعود الى مــا جــاء فـــي خطـاب نـابليون وهــو يخاطب عرب مصر ((ايهـا المصريون انني ما نزلت بهذا الطرف بقصد ازالـة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وانني ما قدمت اليكم الا لاخلص حقكم من يد الظالمين ، وانني اكثر من المماليك عبادة لله سبحانه وتعالى واحترام نبيه والقران الكريم))(٢).

اهتم نابليون باظهار نفسه من وراء الاقنعة وان جموع الفرنسيين هم الذين ضربوا كرسي البابا الذي كان يحث النصارى على محاربة الاسلام بكل قوة وبكل وجه ، متناسيا انه قام بتدمير الاف القرى وحرقها دون رحمة او ايمان ادعاه(٣).

وعندما لجأت ايطاليا لغزو ليبيا لجأت هي الاخرى الى المستشرقين اذ قال الكاتب الفرنسي (البيردوزا) في كتابه التوسع الايطالي ان منشور (الجنرال كانيفا) اعد وطبع باللغة العربية في روما(٤).

وقد جاء في بداية المنشور (بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على كافة الانبياء والمرسلين.

١-محمد صالح القموري، سموم الاستشراق، مجلة العربي، العدد ٢٧٣،(الكويت-١٩٨١)، ص٢٦.
٢-المرجع السابق، ص.٢٦
٣-سمر رحيم الخزاعي:مواقف الاستشراق،ص١٩٧.
٤-محمد صالح القموري: سموم الاستشراق، ص٣٧.

فيا سكان طرابلس وبرقة اذكروا ان الله قال في كتابه العزيز ((لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)) ان ارادة الله شاءت ان تحتل ايطاليا هذه البلاد لانه يجري في ملكه ما يريد فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير.

وبناء على ذلك يلزم على كل مؤمن ان يرضى ويسلم بما تعلقت به الامور الربانية...) (١).

والتزم هذا القائد بما كتبه المستشرقون حول انصياع الناس وانجذابهم للدين الاسلامي ومدى حاجتهم للثقة التي تكون ممزوجة بالمواعظ الدينية المزيفة ، الا ان ما فات المستشرقين كتابته' في هذه الحالة هو حالة الغليان واللاصدق التي شعر بها ابناء البلاد ليبدأوا مقاومة جديدة للمستعمر.

ومن سلبيات الاستشراق حالة الاستعلاء والتفوق التي ينظرها الغرب نحو الشرق واتهام الشرق بتهمة التخلف والسطحية اذ يقول ارثر جيمس بلفور: ((الشرقي لا عقلاني ، فاسق ، طفولي، متخلف، وبالمقابل فان الاوربي عقلاني ومتحلي بالفضائل ناضج))(٢).

لقد خلق المستشرقون حالة من الصراع بين العربـي (السامـي) والغربي (الاري) طبقا لنظرية الجنس هذا الصراع الذي اوجد الصورة المهزوزة لكل نشاطات العقل العربي ومحاولة تسفيه العقل العربي بكل قوة وعمق في البناء الحضاري للانسان(٣).

لقد كانت دوافع الاستشراق والمستشرقين للاساءة للتاريخ العربي الاسلامي كثيرة وخالية من المنهجية العلمية والموضوعية الهادفة.

فلقد دفع الكره الشديد للدين الاسلامي والمسلمين الى التشويه والطعن به وذلك لان الدين الاسلامي هو دين قائم ومستمر ودين حيوي(٤).

١-المرجع السابق ، ص.٣٨

٢-ادورد سعيد- الاستشراق المعرفة، السلطة الانشاء، ص٦٤.

٣-سمر رحيم : مواقف الاستشراق، ص١٩٨-٢٠٠.

٤--اوليفة كاريه: الاستشراق الايجابيات ومزايا ولكن، مجلة الاستشراق ، العدد الخامس(بغداد-١٩٩١)، ص٢٩٦.

ويقول عمر فروخ ان الذين اساءوا عفوا فهؤلاء معذورون او قصدا فهؤلاء كثيرون جدا فنجد بيكر (Becker-Carl Henrich)، الالماني الذي قال: (لاسبيل الى السيطرة على المسلمين ما دام هذا القران موجودا))(١).

ان هؤلاء المستشرقين اساءوا للاسلام عندما جعلوه شكلاً من اشكال النصرانية ، وقد اوضح المستشرق الفرنسي (ارينت رينان) وجهة نظره فيما كتبه ولم يكن منصفا بل متحاملا على الاسلام وكذلك فعل هنري لامنس(Henri Lammens) ، (١٨٦٢-١٩٣٧)، وهو راهب من اصل بلجيكي(٢).

ويقول المسيو كيمون في كتابه (فيولوجيا الاسلام) : ((ان الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واحد يفتك بهم فتكاً ذريعاً ... وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين وياتي بمظاهر الصرع... وتكرار لفظة الله الى ما لا نهاية))(٣) .

لقد حاول هذا المستشرق ان يصف الدين الاسلامي بانه مرض معد انتشر بين الناس وان المراقد المقدسة كقبر الرسول(ﷺ) ما هو الا شيء جامد لايمكن ان يبث في الشخص أي روح او اخلاق معنوية او عبر او قدسية.

وان مجيء المسلمين اليه فقط لانهم اشخاص مصروعون ويعانون من امراض عقلية نفسية وهم يرددون كلمة الله التي لاتعني لغيرهم أي شيء، ومن السلبيات

المعروفة عن الاستشراق والمستشرقين انهم اخذوا على عاتقهم اعتمادهم على التحليلات والاستنتاجات المشوهة والتي استغلها اخرون في عمليات التبشير.

وكان اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الاخبار وحكموا عليها واستعانوا بالشاذ ولو كان متاخرا ، او اعتمدوا على ما استغرب نقده'(٤) .

واشاروا الى نشوزه ، وانهم تعمدوا ابراز هذا الشاذ لانها الاداة الوحيدة في اثارة الشك(٥).

ومن سلبيات المستشرقين انجرافهم نحو الهوى والعواطف واصبح كل مستشرق تدفعه عاطفته نحو الدفاع عن ديانته وادانة ديانة غيره.

١-عمر فروخ: موقف عمر فروخ من الاستشراق والمتشرقين، مجلة الاستشراق ، العدد الرابع (شباط-١٩٩٠)، ص.٨٧

٢-المرجع السابق ، ص.٨٧

٣-المرجع السابق ، ص٨٧.

٤-عماد الدين خليل ، في التاريخ الاسلامي مواقف ودراسات، ص.١١٩

٥-المرجع السابق، ص١٢٦.

لرغم علمه بقدسية هذه الديانة ، فنجد المستشرقين الذين هم من طبقة رجال الدين يتطرقون الى المواضيع الحساسة في الاسلام ويحاولون جهد امكانهم ردها الى اصل نصراني ويهودي متناسين كيف يقدس المسلمون المسيح باعتباره احد الانبياء المبشرين ولشدة اللامصداقية التي يملكها المستشرقون فانهم تعاملوا مع العناصر المضادة للاسلام والجماعات التي انفصلت عن الدولة ، مثل الاسماعيلية ووضعها بانها جماعات تطالب بالعدل والانصاف وانها غير منشقة عن الدولة الاسلامية بل انها الفرع الذي حمل عدالة الدين الحنيف على عاتقه بعد فساد الدولة العربية(١).

واستخدام العامل المادي في تغيرهم لحوادث التاريخ وارتقاء الامم والحضارة ونحن نجد ان هذه المعطيات هي افراز طبيعي نتيجة لتصادم الاسلام بالصليبية ، فاصبح احتقار الاسلام جزءاً من التفكير الاوربي(٢).

وقد اعد بعض الباحثين ان من مساوئ الاستشراق سوء فهم الغرب للاسلام وقد تبنى هذه الفكرة الاساتذة الذين شاركوا في المؤتمر الاسلامي الذي اشرف على تنظيمه المركز الاسلامي في واشنطن (وقد عقد خلال شهر شباط ١٩٨٠) ، فمنذ القرن الثامن عشر كان الشاعر الالماني العظيم (غوتيه) يؤنب مستشرقي عصره لعجزهم عن فهم الامال العربية والاسلامية فهما سليما وقد ارتكب بعضهم الاخطاء من سوء الفهم الذي بقى عالقا

في الذهنية الغربية خاصة عندما حاول نفر منهم ان يفسر الاسلام تفسيراً جزئيا او ان يفرض على الاداب والعلوم الاسلامية قيما ومقاييس مستمدة من ثقافة مختلفة عن ثقافتهم الاصلية ، وهذا الامر الذي رافق شعور الاستعلاء الثقافي(٣).

ومن المحزن ان مازالت نتائج بعض المستشرقين سلبية وناقصة ونحن لا نطلب من المستشرقين ان يؤمنوا بالقران انه كتاب منزل من السماء وان محمدا رسول الله(ﷺ) وان التاريخ الاسلامي هو حدث خاضع للزيادة والنقصان تبعا لاختلاف المؤرخ ، لكن نطلب ان يكونوا اكثر تجددا وموضوعية فينظروا الى سيرة الرسول (ﷺ) كوحدة متكاملة والى القران الكريم كبرنامج مترابط ، تعلوا معطياته على الظروف الموقوتة زماناً ومكاناً.

١-المرجع السابق ، ص١٢٧.
٢- ينظر:انور الجندي، سموم الاستشراق والمتشرقين ،(بيروت-١٩٦٧)،ص٣٠.
٣-اسماعيل الدحيات: الاسلام بين امجاد الامس وتحديات اليوم، مجلة المجال، العدد ١١٠، (الرياض-١٩٨٠)، ص٣، كذلك ينظر سامي الصقار، الجوانب الايجابية، لنشاط المستشرقين البريطانيين، مجلة كلية الاداب، المجلد التاسع ،(الرياض- ١٩٨٢)، ص١٧٠.

مواقف الاستشراق الايجابية:

اشاد بعض الدارسين بجهود المستشرقين وبخدماتهم القيمة للتراث العربي والاسلامي وكان من بين هذه الجوانب الايجابية انشاء الكراسي لتعليم اللغة العربية واللغات الشرقية في الجامعات البريطانية والجامعات الاوربية عموما ، وكان لهم الجهد الواضح والمتميز في الحفاظ على التراث العربي الاسلامي من التلف والضياع والقيام بفهرسته وصيانته من العبث في عدد من المكتبات الكبيرة فضلا عن تحقيق ونشر العديد من كتب التراث العربي الاسلامي ونشرها (١).

ولقد وضع المستشرقون مناهج لتحقيق قواعد دقيقة وكذلك جهودهم في ترجمة الكثير من الكتب العربية والاسلامية وتقديمها الى العالم الغربي خالية من الدس والطعن وخاضعة للموضوعية والمنهج العلمي، ولقد اسهم هؤلاء في تاليف الموضوعات ذات العلاقة بالاسلام والتاريخ الاسلامي واللغة العربية وادابها.

واصدار المجلات والدوريات التي تبحث في تلك الموضوعات فضلا عن عقد المؤتمرات واصدار الموسوعات التي تيسر اعمال الباحثين(٢).

ومن المعروف ان العرب يوم دخلوا الاسلام وانتشروا في الاقاليم شرقا وغربا يفتحونها ويستقرون فيها ورثوا تراثاً حضارياً عريقا يرجع الى الاف السنين سواء في ذلك ما وجدوه في بلاد الرافدين او الشام ومصر، فاقبلوا على ذلك التراث ينهلون منه ويصبغونه بصبغة اسلامية محضة اساسها لغة العرب، وهكذا صارت الثقافة العربية حلقة وصل بين التراث القديم وتراث الشرق لكونها اختلطت مع لغات العالم الاخرى واستطاعت استيعاب جميع الفنون والعلوم(٣).

والحقيقة ان اوائل الكتب التي تتحدث عن فضل العرب المسلمين على اوربا بدات بالظهور في اعقاب الحروب الصليبية ،

١-سامي الصقار: الجوانب الايجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين ، ص١٦٣، كذلك سمر رحيم، مواقف الاستشراق، ص١٩٩-٢٠٢

٢-سامي الصقار: الجوانب الايجابية، ص١٦٣.

٣-امي الصقار: الجوانب الايجابية لنشاط المستشرقين ، ص١٦٣،كذلك ينظر:محمود زايد:المستشرقون البريطانيون وتاريخ العرب،مجلة الفكر العربي،العدد الثاني،(١٩٧٨)، ص١٢٠-١٢٧.

وكان من اهم الكتب كتاب اصدره (وليم) اسقف مدينة صور وهو بعنوان ((تاريخ امراء المسلمين منذ ظهور محمد))، الا ان هذا الكتاب قد ضاع على الرغم من تعدد اجزائه ، وهنالك كتاب اخر اصدره (وليم الطرابلس) بعنوان (بحث في حال العرب) ، الا ان اهم كتاب تحدث بصدق عن الحضارة الاسلامية وتاثيرها على في اوربا هو المستشرق (سيمون اوكلي) ، بعنوان (تاريخ المسلمين) ، وقد اسهم هذا الكتاب بتنوير الكثير من المؤرخين والباحثين بصدق عن حقيقة تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام بالاعتماد على عدد ضخم من المصادر العربية مع الالتزام بروح علمية نزيهة(١).

وقد قام اوكلي بارسال رسالة الى ابنته يوضح فيها مدى سعادته في تحقيق الغاية التي ترمي اليها مهنته وما يناله من لذة في كشف الحقيقة وما يتوقعه من امته بتاليف تاريخ اعظم امبراطورية قامت على وجه الارض حتى اليوم - أي حتى زمنه-، وقد قال في مقدمة كتابه : ((ان العرب الذين لم ينتبه اليهم مؤرخو اليونان والرومان الا قليلا ، قد برهنوا على نباهتهم العلمية منذ عصر الرسول محمد ، سواء في ميادين الفتح او في ميادين العلوم ،لذلك فان دراسة تاريخهم اكثر لزاما علينا من الالمام بتاريخ اية امة من

الامم فقد كان لدى العرب من عظمة الرجال وجلائل الاعمال ، مثل ما كان لاية امة اخرى تظلها السماء))(٢).

وتاسف هذا المستشرق على مؤرخي اوربا لاهمالهم عظمة التاريخ العربي ، واتهمهم بالتعصب الاعمى الذي دفعهم الى تشويه تاريخ العرب وحضارتهم(٣) .

وقد سار مستشرقون اخرون مسار اوكلي نفسه في ابراز فضل العرب على اوربا ومنهم الالماني (هانز بروتس) الذي صنف كتاباً عن تاريخ الحروب الصليبية شرح فيه ما استفادته' اوربا من علوم العرب، ويعد المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون)، الذي اصدر عام ١٨٨٤، كتاباً سماه (حضارة العرب) ، دافع فيه عن الاسلام مؤكدا انه لم ينتشر بحد السيف.

١- مستشرق انكليزي درس اللغة العربية وتمعن بها ، واتهم سيمون اولئك المتعصبين الذين دفعوا لتشويه حضارة العرب وقد غرق بالديون في سبيل اخراج الجزء الاول من الكتاب الذي لقي اهمال من بني بلده ، فدخل السجن لكن ذلك لم يثنه عن اكمال الجزء الثاني سنة ١٧١٨، ينظر: سامي الصقار: الجوانب الايجابية، ص١٦٦.

٢-سامي الصقار: الجوانب الايجابية لنشاط المتشرقين، ص.١٦٦

٣-المرجع السابق ،ص١٩٩-٢٠٢.

ومن المنصفين للتاريخ العربي الاسلامي الالمانية (زيكريد هونكه)، التي نشرت كتاب بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) ، والذي كان كتاباً منصفاً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى بحق العرب، وكذلك هناك عالماً تركياً يحمل الجنسية الالمانية وهو (فؤاد سزكين)، الذي قام بدراسة كيفية انتقال الطب العربي الى اوربا ، ووصل الى نتائج اهمها ان كل الجامعات التي انشئت في اوربا في القرن العاشر هي تقليد مطلق للجامعات الاسلامية عن طريق طليطلة(١).

ويكفينا ما ذكره المستشرق البريطاني (هاملتون جب) ، في كتابه (حضارة الاسلام) عن التقاليد الاجتماعية و النظم، قال: ((انها اعادة لاحقاق المبادئ الاخلاقية التي تشترك فيها ديانات التوحيد فازداد ترسيخ معنى الاخوة، وانهم سواسية من حيث القيمة الشخصية الفطرية دون النظر الى مكانتهم الدنيوية ووظائفهم...))(٢).

لاجل هذه المعاني والحقائق سعى الاستشراق الى ان يحقق اهدافه في ابراز قدرة العرب وتاريخهم ، الامر الذي ساعدهم على انشاء المعاهد والمطابع والمكتبات الفنية بتراث العرب، فقد جاءت هذه الخطوة للحفاظ على تراثنا من العبث والضياع وانتشاره بين الناس،

ومهما يكن فان هذا التراث احتل مكانة في ركب الحضارة الانسانية على ايدي المنصفين من المستشرقين ، اذ لولاهم لبقي قابعا في زوايا النسيان واسهموا بتقديم علمنا وتراثنا بلغاتهم وباسلوبهم الذي ألفوه ، وهكذا ادرك العالم ان اتصال التراث الاسلامي بالحضارة الانسانية اتصالا وثيقا من حيث النشاة و التأثير والتأثر ، كان للمستشرقين الفضل بانتشار اللغة العربية الى جانب العبرية والسريانية وذلك عندما اقدمت الكنيسة على طبع التوراة (او العهد القديم)(٣).

وهذه الاسباب وغيرها حملت الفاتيكان على ادخال العربية ضمن مناهج الدراسة في المؤسسات التابعة للكنيسة في مختلف انحاء اوربا وقد تشكل هذا الاهتمام على شكل كراسي للعربية .

١-المرجع السابق، ص١٦٧.
٢-المرجع السابق، ص١٩٩-٢٠٢.
٣-المرجع السابق، ص٢١٦.

وغيرها في عدد من الجامعات وازاء هذه الخدمات الجليلة التي قدمها المستشرقون وجدنا الفيلسوف الانكليزي (برنادشو)، يردد في النصف الاول من القرن العشرين قوله المشهور بعد دراسة دقيقة : ((انني ارى في الاسلام دين اوربا في نهاية القرن العشرين))(١).

اذ ان هؤلاء المستشرقين طلبوا العربية لذاتها والعلوم من اجل الفوز بالتراث الانساني فاسهموا بتحقيق المخطوطات وترجمتها وتصنيفها، ولا يفوتنا التعريف انه بفضل تلك الكراسي التي انشئت في الجامعات الاوربية تتلمذ الكثيرمن ابناء البلاد العربية سواء من كان منهم من ابناء الطلائع الاولى لعصر النهضة او من الذين خلفوهم، وان كان كثير منهم اختلفوا مع اساتذتهم الا انهم نهلوا من علمهم ولم ينكروا فضلهم، لذلك كان المستشرقون المنصفون في خدمة التعليم ومنذ اللحظة الاولى(٢).

اضافة الى ما تقدم فقد كان نتاج المستشرقين عظيما بما يلي:

١-هنالك اولا دراساتهم ومصنفاتهم التي انصبت على هذا التراث وفيها تجلت جهودهم في تصنيف المعاجم (كمعجم اللغات السامية)، الذي صنفه (كاستل)، وانفق

علـيه ثروتـه و(مـد القـاموس) ، الـذي صـنفه (لـين)، بـالعربيـة والانكليزيـة ، وقـد جمـع مفرداتـه مـن القـران وامهـات الكتـب ويقـع فـي ثمانيـة اجـزاء، كـذلك قـام (نبـرايس) سـنة ١٨٧٣، بتصنيف (سلك البيـان فـي مناقب القـران) ، وهـو معجـم بألفـاظ القـران الكـريم بالعربية والانكليزية(٣).

٢-واسهم المستشرقين بتصنيف المواضيع المتعلقة بالاسلام والعلوم الاسلامية مثل كتـاب الابطـال (تومـاس كارليـل)، كمـا صنفوا فـي الخلافـة وتعـاليم الاسلام فكـان (ولـيم موير)، صاحب كـتـاب (حوليات الخلافة) ، وصنف (هـاملـتون جب)، كـتابـاً عـن (الاسلام)(٤).

٣-وبرز من اظهر بموضوعية هادفة ومنهجية علمية الموضوعات التي تخص الفتوحات وتم تصنيفها ، فلقد كتب (بيكر) العصر الوسيط و (بيلر) فتح مصر، والشرق الادنى الاسلامي (لهاملتون جب) (٥).

١-المرجع السابق نفسه، ص١٩٩-٢٠٢.
٢-المرجع السابق ،ص١٩٩-.٢٠٢
٣- المرجع السابق ،ص١٩٩-.٢٠٢
٤- المرجع السابق،ص١٩٩-٢٠٢.
٥-المرجع السابق، ٢١٥-٢١٧.

٤-كمـا انهـم عـالجوا الموضـوعات المتعلقـة بالصـلات الثقافيـة والتجاريـة بـين الـبلاد الاسلامية واوربا ، وصنفوا الفنون والعلوم والاداب العربية(فكرزويل) صنف في العمـارة وفـارمر فـي الموسيقى العربيـة ، امـا تـاريخ الادب العربـي فكتب عنـه (نيكلسـون) ثـم ان شهرة ابن رشد في الغرب كانت تنتشر على يد (ميخائيل سكوت)(١).

ولايخفـى علينـا ان هـؤلاء المستشـرقين علـى الـرغم مـن جهـودهم لـم يسـتطيعوا ان يصلوا او يواكبوا ما وصل اليه العلماء المسلمين في القرون الوسطى وان مهمـتهم كانـت اعادة ما بداه العرب المسلمون.

٥-لقد كـان الفضل بإنشـاء المطـابع الشرقية فـي اوربـا وكانـت المانيـا اول مـن حظيـت بذلك في وقت لم تعرف البلاد العربية الاسلامية الطباعة ، كذلك فان المستشرقين هم اول مـن انشـأوا المجـلات التـي تعنـى بالشـرق ، وقـد زاد عـددها علـى ثلاثمائـة مجلـة ، كـذلك الاهتمام بمراجعة الكتب ونقدها والتعريف بها فضلا عن نشر فهارس المنشورات(٢).

٦-كذلك المؤتمرات الاستشراقية التي بلغ عددها ٢٧ مؤتمرا ، وقـد شـارك فيهـا الكثيـر مـن المستشـرقين الـذين تصـدرت ابحـاثهم فيمـا بعـد كمجلـدات ضـخمة قيمـة ، ومـن هـذه

المؤتمرات (مؤتمر استانبول الذي عقد ١٩٥١ الذي تقرر فيه اعداد لجنة مهمتها اعداد فهارس مفصلة بجميع المخطوطات التابعة للتراث الاسلامي(٣).

٧-ناهيك عن تعاطف الكثير من المستشرقين مع شعوب الشرق مثل (ويلفريد) المتوفي عام ١٩٢٢، الذي طاف بلاد الشرق واتصل بزعماء الحركات الوطنية في كل من مصر والهند وعارض سياسة الاستعمار وصنف كتابا اسماه (مستقبل الاسلام) (٤).

اما ما كتبه هؤلاء المستشرقون فقد كان سببا في ترغيب هذا الدين لابناء جلدتهم بل ودخولهم في الاسلام ، فكانوا قدوة لكثير ممن اعتنقوا الاسلام وهذا بحد ذاته جهد عظيم وخدمة جليلة يكون من العسير على المسلمين القيام بها في بلاد الغرب خصوصا مع استغراب لعاداتهم وتقاليدهم وعقلية اهلهم .

١-سامي الصقار،ص.٢١٧
٢-المرجع السابق،ص.٢١٧
٣-المرجع السابق ،ص.٢١٧
٤-المرجع السابق ، ص٢١٥.

لقد تميز اسلوبهم بانهم اتبعوا المنهج العلمي في تحقيقاتهم ودراستهم للتراث الاسلامي ، وقد ساعدهم معرفتهم باللغات السامية الوصول الى هذه الدرجة ، كذلك يميزهم بالجلد والصبر على العمل بدون كلل او ملل فنجد (ادمون كاستل)، قضى ١٨ سنة في وضع معجم اللغات السامية وكان يعمل ١٦ ساعة في اليوم ، فلا يبهرنا صبرهم وتفوقهم بقدر ما يبهرنا اقتباسهم واعجابهم بحضارتنا والتماسهم من المسلمين كل المميزات المذكورة انفاً .

لذلك لايمكن القول بان الاستشراق كان خيرا كله او شرا كله ولا يمكن القول بان المستشرقين لم يخدموا هذه الدراسات ولا شك ان من بينهم من قام بدراسة التراث الاسلامي حبا للعلم واعجابا بتراث المسلمين العلمي.

حروب التحرير والفتوحات الاسلامية:

حروب التحرير:

يقصد بحرب التحرير تطهير الأرض العربية في الشام والعراق ومصر والمغرب من الاحتلال الأجنبي المتمثل بالفرس والروم(١).

الفتوح الإسلامية:

فيقصد بها دخول الأقاليم غير العربية تحت حكم العرب المسلمين واعتبارها جزء من الدولة العربية الإسلامية(٢).

أما بعض المؤرخين فيتصورون الفتوحات بتعريف أخر، وهو إزالة القوة التي تقف أمام أمانة عموم الرسالة التي حملها المسلمون عن الرسول (ﷺ) ، وكانت في تقديرهم مهمة

حياتهم يهبون لها أرواحهم ويستشهدون من اجلها، فالفتح هو كسر الحواجز المادية التي يحاول أن يقيمها الأباطرة والحكام والأمراء أصحاب السلطة في الأقطار التي ينفذ إليها الإسلام رغبة في تحقيق اللقاء بين الإسلام وبين هذه الشعوب المغلوبة على أمرها(٣).

وقد نجح الخليفة ابو بكر الصديق (ﷺ) في هزيمة المرتدين والقضاء على الفتنة في وقت قصير وعادت جيوش المسلمين مكللة بالنصر ، واصبحت الخلافة تمتلك جيوشا مدربة وكاملة الاستعداد ، منحتها حروبها ضد المرتدين قدرا من التجربة والتمرس ، ووهبتها فوق ماكانت تمتلك من يقين وثقة ، وتحقق للدولة عوامل الاستقرار الداخلي بما كان من انقياد القبائل وعودتها الى الجماعة، وفي الواقع ان الحروب التي خاض غمارها المسلمون في عصر ابي بكر الصديق كانت امتداد لنهج الرسول (ﷺ) ، وتحقيقا للاهداف التي رسمها لنشر الاسلام بين الناس كافة(٤).

١-رشيد عبد الله الجميلي:تاريخ الدولة العربية الاسلامية(عصور ما قبل الاسلام والنبوة والخلافة الراشدية والامويين)،ط٢،(بغداد-١٩٨٦)،ص.٢٧٦

٢-المرجع السابق، ص.٢٧٦

٣-انور الجندي :الاسلام وحركة التاريخ،(القاهرة-١٩٦٨)،ص.٥٩

٤-رشيد الجميلي: تاريخ الدولة العربية،ص٢٧٦.

وهذا الموقف في نشر الاسلام حددته' الشريعة الاسلامية ويظهر لنا من الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، وحث الله تعالى المسلمين على الجهاد فقال عز وجل : ﴿ الذين آمنوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون۞ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم۞خالدين فيها ابداً ، ان الله عنده اجر عظيم﴾(١).

وقال تعالى :﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة﴾(٢)، وقد ورد في القران الكريم الكثير من الآيات التي تدعو الى الجهاد ونصرة الضعيف الذي تحول بينهُ وبين حريته سلطة الاقوياء.

وقد بلغت احدى واربعين اية ، كما ان ايات القتال بلغت مئة وسبعين اية(٣).

وتعد الدعوة التي وجهها رسول الله(ﷺ) الى ملوك وامراء الدول وامرائها نقطة تحول مهمة في سياسته الخارجية، كشفت عن عظم المسؤولية الملقاة على عاتق العرب وقدرتهم على حمل الرسالة وتبليغها الى شعوب العالم كافة ، ورسمت الطريق امام الامة العربية وحددت مسارها في بناء دولتها الكبرى التي شملت فضلاً عن الجزيرة العربية الشام والعراق ومصر والمغرب العربي .

وقد جاء قرار الرسول الاعظم(ﷺ)، بغزو مؤتة تأكيداً لهذه السياسة الهادفة الى توجيه انظار العرب نحو بلاد الشام والوقوف عند تحركات الروم المريبة ، ومن بعدها غزوة تبوك(٤) .

لقد اهتم الخلفاء بعد وفاة الرسول (ﷺ) على اتباع نهجه' وإدراك الأهداف التي يسعى الاسلام الى تحقيقها من خلال فتوحاته وكانت هذه الغزوات هي بداية اختراق الخطوط الاساسية لجبهة الدفاع البيزنطية ، الامر الذي جعل المسلمين يفتحون فيما بعد بلاد المغرب ثم اوربا.

١-سورة التوبة:اية٢٠-٢٢.
٢-سورة النساء:اية ٧٤-٧٥.
٣-ناجي معروف: اصالة الحضارة العربية، (بغداد-١٩٦٩)، ص.٣٧٥
٤-نزار الحديثي:محاضرات في التاريخ العربي ، (بغداد-١٩٧٩)، ص١٣٧-١٣٨.

وعبرت حركة التحرير عن التفتح الروحي والايمان المطلق بالعقيدة الجديدة ونضوج الوعي القومي عند العرب من خلال ادراكهم بمسؤولياتهم في تحرير الاراضي العربية من القوى الاجنبية والمتمثلة بالفرس والروم.

بعد ان اصبحوا بفضل هذه العقيدة قادرين على مواجهة التحديات الامر الذي دفعهم بالتالي الى رسم طريق الفتوحات واخضاع العالم الى راية الاسلام(١).

وهذا الوعي القومي لدى المقاتل المسلم تاكد من خلال تعلقه الشديد بالارض وباهمية التحرير ، فاصطحب المقاتلون نساءهم واولادهم ، كما عبروا بهذا الوعي الحدود الجغرافية والبشرية لوطنهم ، وعليه فان حركة التحرير ومن بعدها حركة الفتوحات الاسلامية كانت نابعة من عقيدة العرب ووجدانهم بانهم حملة رسالة سماوية تحمل السلام لكل الشعوب وتطبق المثل الانسانية العليا في الحرية والعدل والمساواة ، لان المسلمين في نظر الاسلام

مطالبون برفع الظلم عن الناس جميعاً فالاسلام هو دين للناس كافة، لذلك لاعجب ان كانت حروب التحرير والفتوح الاسلامية حدثاً بارزا في تاريخ الانسانية من حيث الاسباب او النتائج التي ترتبت عليها(٢).

واستمرت رسالة الاسلام ملازمة لحركات التحرير والفتوحات بجانبها مواكبة او وقفت وراءها دافعة ، وان شعور العرب بانهم اصحاب رسالة كان الباعث القوي لتلك الانتصارات التي حققتها جحافلهم في المشرق والمغرب(٣).

واضافة الى ما تم ذكره من دور العامل القومي وادراكهم لمسؤولياتهم نحو اخوانهم العرب الذين يعانون من الاحتلال الفارسي او البيزنطي، وهذا ما يؤكد ان الامة الاسلامية امتلكت منذ اقدم العصور كياناً موحداً ، وانها كانت تتواصل فيما بينها من اقصى بلادها بلغة عربية واحدة ، واقترنت العروبة مع الاسلام اقتراناً جوهرياً وليس ظرفيا لان يقظة العرب القومية اقترنت برسالة الاسلام السماوية، فلم يتوسعوا بغية التوسع ولا افتتحوا بلاداً استناداً الى حاجة اقتصادية، او كان هدفهم حب السيطرة والاستعباد ، بل ليؤدوا واجبا دينيا يتضمن معاني الحق والهداية والرحمة والعدل للناس كافة(٤).

١-المرجع السابق ، ص١٣٧-١٣٨.
٢-الباز العريني واخرون: المجتمع العربي ،(بيروت-١٩٦٩)، ص٩٥،٩٤.
٣-رشيد الجميلي: تاريخ الدولة العربية،ص٢٨٠.
٤-المرجع السابق،ص٢٨٠.

ان الانتشار السريع الذي حققهُ العرب المسلمون لايمكن ان يفسر بمعزل عن نقطة الانطلاق الاساسية وهي عقيدة الاسلام التي حولت العرب الى مجاهدين في سبيل عقيدة التوحيد مستهلين روح الرسالة وقيمها الانسانية بكل معانيها.

وللفتوح الاسلامية طابع خاص وفريد هو ان الفاتحين وغيرهم استطاعوا اقامة دول عظمى واستطاع الباحثون المسلمون الذين ابدعوا في انشاء حضارة راقية، تحمل قيماً روحية واخلاقاً قرآنية فلم يكد القرن الاول الهجري ينتهي حتى كانت راية الاسلام تخفق من الهند والصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا(١).

وعلى ذلك فلم يكن المسلمون متفوقين بالقوة الحربية او المجد العسكري بل كانوا اقل عدد وعدة من عدوهم ، لكنهم دعاة حق ومن هنا كانت فتوحاتهم بالقران والنصر بالعقيدة

التي سرعان ما دخل في هذا الدين افواج من الناس، فانتصار الاسلام وفتوحات اهله لم تكن الا عملاً قرانياً ونضالاً عقائدياً لم يكن من اجل السلطة السياسية او السطوة العسكرية ولكن كانت الفتوحات تستند على قوة العقيدة والاستعداد للنضال(٢).

ومن هنا كانت الانتصارات العربية المذهلة والسريعة من خلال الجهود الحقيقية في الدعوة للاسلام والمسلك الانساني الرفيع مع الشعوب ومن هنا كان انتشار الاسلام واقبال الناس عليه واتخاذه عقيدة لهم والالتفاف حول رايتهُ والدفاع عنهُ(٣).

ومن ثم كان جوهر الفتح الاسلامي هو السعي بالراية خارج الحدود خوفا على الاراضي الاسلامية من تعرضها للعدوان، وانشاء جيش اسلامي مسلحا بالروح المعنوية التي اساسها العقيدة الحية الاسلامية ، فانتشار الاسلام والفتوحات نابع من قوة رجاله المستمدة من ذاتية الوحي الالهي لذلك الفتح الاسلامي لم يكن فتحاً عسكرياً او سياسياً بقدر ما كان فتحا انسانياً وحضارياً وروحياً انتهت به العبودية والتسلط والجبروت المتسلط على الانسان(٤).

ومن هنا كانت الشعوب ترى في الإسلام وصفاء العقيدة ووحدة الأجناس والمساواة بين الجميع الحياة الجديدة الأمينة، وهذا التآخي والعدل لم يحدث إلا في ظل الراية الإسلامية .

١-عبد الفتاح مقلد الغنيمي: كيف ضاع الاسلام من الاندلس بعد ثمانية قرون،(بلا-١٩٩٣)، ص.٢٣
٢-شكري فيصل:حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول،ط٥،(بيروت-١٩٨٠)، ص١٦.
٣-عبد الفتاح مقلد الغنيمي: كيف ضاع الاسلام،ص.٢٦
٤-المرجع السابق ، ص٢٦.

وعلى هذا فقد غدت التعاليم الاسلامية والقيم المستمدة من الكتاب والسنة المطهرة والتي تلتزم بنشر العقيدة وبث الاسلام والايمان على شكل يدعو الشعوب المجاورة للجزيرة العربية الى ان تدخل بهذا الدين، ذلك لان الفتح الاسلامي يختلف عن الفتوحات الاجنبية السابقة سواء كانت الفارسية او البيزنطينية ، لان الفتح الاسلامي كان تحرير اخوة ونشر عقيدة وروح سامية فهو فتح سامي قراني تسودهُ عقيدة خالدة وهذا ما كان يجري في المناطق التي فتحها المسلمون(١).

ومن هنا كان كل معتنق للإسلام وداخل فيه داعية إسلامياً ومجاهداً على ادخال قومه واهله في عقيدة التوحيد لان تعاليم القران واحاديث الرسول (ﷺ) ، تدعو الى وحدة

الشعوب والاجناس والالوان لان الامة الاسلامية هي امة خير وامان وبمجرد نطق الشهادتين وحفظهم لايات القران وبعض احاديث الرسول (ﷺ) اصبح حاملها داعياً للاسلام عند فتحه للبلاد ومن هنا لم يكن تقدم الجيش الاسلامي وتحقيقه الانتصارات الا بالاسلام .
لان المسلم في نصر دائم حتى في حالة الهزيمة العسكرية لانه لم يهزم ايمانياً ، لان هزيمة الميدان العسكرية لم تجعله' يستسلم نفسيا.

ومن هنا فان مهمة الفتح الاسلامي لاتنتهي او تتوقف عند النصر الحربي او اكتساح قوة العدو(٢).

فقد وصف المسلمون على انهم رهبان بالليل فرسان في النهار ولم يكونوا الا دعاة فاتحين ورسل سلام فلا قتال ولا تدمير ولا تخريب لان الفتح هدفه رفع راية الاسلام والانتشار السريع للاسلام بعد الفتح استدعى تطويره ودفعه للامام ومزج الشعوب بعضها مع بعض فنجد البربر المسلمين يتحركون في الفتح الاسلامي دفاعاً عنه' فاصبحوا ابعد فترة عدة الفتح الاسلامي، وهكذا عاش الفاتحون مع سكان البلاد المفتوحة مما ادى الى زيادة قوته وتعمق جذوره وزيادة انتشاره ، لذلك لم يكن المد الاسلامي حركة غزو واسلاب وغنائم وضرائب وجزية وحكم وسطوة وسيطرة اقتصادية وسياسية.

١- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: كيف ضاع الاسلام من الاندلس، ص٣٠-٣٤.
٢-المرجع السابق، ص٣٠-٣٤.

ذلك لان كتائب المسلمين العرب الفاتحين لم تكن شرذمة من المرتزقة او جماعة من البدو السائحين والسارحين في الارض التماساً للقوت ولا كانوا فلولاً مشردين كاليهود ولا كانوا كالأمريكان نفايات وبقايا من شذاذ الافاق لفظتهم المجتمعات الاوربية مغتصبين حقوقاً من الهنود الحمر والزنوج والعرب المسلمين في فلسطين والشيشان وكسوفو والعراق، فاعلنوا عليهم حرب ابادة ساحقة لم يعرف التاريخ مثيلاً لها.

نتائج الفتوحات الإسلامية :

١-انتصار دينى:

شعر العرب وهم يدكون معاقل الفرس والروم ويحرزون الانتصارات التي أذهلتهم واذهلت اعداءهم على السواء لسرعتها الخاطفة ، ان سبب انتصاراتهم هذه تعود الى الدين الاسلامي الذي ملأ نفوسهم روحاً ، وبدل فرقتهم وحدة وضعفهم قوة(١) .

كما شعر العرب انهم يحملون الى هذه الشعوب التي اخضعوها دينا جديدا يقودهم الى طريق التحرر والخلاص من هذه الفوضى التي كانت تكتنف حياتهم وتلك الفوضى المتمثلة في مزيج من المعتقدات منها اعتقاد ثنوية أي وجود الهين يسيطران على الكون اله الشر

واله الخير كديانة زرادشت وماني ومزدك واديان اخرى اعتقد اصحابها بتقديس الاصنام والاوثان وعبد اخرون النار ، ان هذه المعتقدات جميعا نظر اليها المسلم نظرة احتقار وازدراء وهي النظرة نفسها التي نظر بها الاسلام الى معتقدات العرب أنفسهم في الجزيرة العربية التي ازهقها الاسلام ومحا اثرها من العالم وليس فقط الجزيرة العربية(٢).

كذلك عمل المسلمون على ازهاق هذه الاديان التي واجهوا الكثير منها في البلدان التي خضعت لسلطانهم ومنها نظرة الفاتحين المليئة بالاحتقار لهذه الديانات (عدا النصرانية واليهودية).

وقد وجدت الشعوب المغلوبة ان اديانها لم تستطع ان تبعث في نفوس اصحابها روحا قوية كالروح التي بعثها الاسلام في نفوس اتباعه فحدثت معجزة العرب الكبرى وهي انتصارهم على هذه الشعوب وقد تساءل هؤلاء كما تساءل العرب انفسهم ما سر انتصار العرب السريع؟

وكان الجواب ياتيهم سريعا ان العرب بالامس كانوا متفرقين مستضعفين وقد وحدهم الاسلام وجعل منهم امة ضاربة فجاء نصرهم وليداً لهذه الروح الجديدة التي بعثها الاسلام في نفوسهم فوجدت هذه الشعوب انه لامناص لها سوى ان تنبذ اديانها القديمة .

١-ثابت اسماعيل الراوي:تاريخ الدولة العربية، خلافة الراشدين والامويين، مطبعة الارشاد (بغداد-١٩٧٠)،ص١٣١.
٢-المرجع السابق نفسه، ص١٣١.

والتي عجزت عن الصمود امام هذا الدين لتدين بالاسلام فاخذت هذه الشعوب تحاول ان تتعلم مبادئ الدين الجديد على أيدي العرب الذين وضعوا انفسهم موضع المعلم للتلميذ انه يتعلم ويتعمق في اعتقاده(١).

الامر الذي ادى الى ان يكون للفتح النتائج المشرقة في التاريخ الاسلامي وفي التاريخ بشكل عام ، فيكفينا ان نرى قوة هذا الدين الذي استطاع ان يجعل آلافاً من سكان الشعوب خاضعة له ومدافعة عنه.

ومن هنا كان صرح الاسلام بفضل هؤلاء الدعاة الذين ساعدوا على تطوير البلاد، وعاشوا مع الاخرين بامتزاج واضح فكانوا يتميزون بالخلق الذي انتشر بسبب الاسلام وعدم الاعتداء على الحقوق، بل عدل ووفاء وكرم .

وهذه ابرز نتائج الفتح خلق امة مسلمة اينما حل الاسلام(٢).

وهكذا ادخلت تلك الشعوب في الدين افواجا وتسموا باسماء عربية واتقنوا اللغة العربية مما ساعد على انتشار الاسلام بقوته الذاتية فاتصفوا بعادات الفاتحين وتقاليدهم واسلوبهم ولبسوا ملابس المسلمين واستعملوا الختان الذي لم يكن معمولاً به من قبل(٣).

وكان الفاتحون معلمين ومفقهين الذين وضعوا هؤلاء المتطلعين لمعرفة تلك المبادئ ، كذلك سارت تلك الشعوب وراء الفاتحين وتركت اديانها لتسير في درب الدين الجديد، ومن هنا استحوذ على الفاتحين المسلمين شعور الفخر والزهو ،لان نصرهم كان عن طريق دينهم الجديد فازدادوا تمسكاً به لان هذا الدين هو الذي حقق لهم حياة الأمن والرخاء والنور والقوة والسلطان(٤).

وهو الشيء الذي منحوه لشعوب البلدان المفتوحة واخيراً فان اعتزاز العربي بدينه الجديد واحتقارهُ للاديان الوثنية خاصة قد جعلته في مرتبة اسمى من اولئك الذين لم يخضعوا لسلطانهم .

١-ثابت اسماعيل الراوي:تاريخ الدولة العربية، ص١٣١.
٢-عبد الفتاح الغنيمي:كيف ضاع الاسلام،ص٣٢-٣٤.
٣-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج٤،ص٥٨٩.
٤-ثابت اسماعيل الراوي: تاريخ الدولة العربية،ص١٣٣.

وهذا ما منحه الفاتحون اكبر الذين اجتهدوا بمنح العدالة والمساواة وصنع الحق بين فرق الباطل لتلك الشعوب والتي جعلت من الفتوحات تحمل اسمى رايات العدالة والانسانية بعيداً عن سفك الدماء والطمع (١).

١-المرجع السابق ، ص١٣٢.

نتائج الفتوحات الإسلامية:

انتصار في الميدان اللغوي والعلمي:

عشق العربي لغته منذ أن كان في بوادي الجزيرة ومظهر هذا العشق هو ذلك البحر الزاخر بالشعر والفنون والأدب التي كانت سبيل العربي إلى وصف حياته ومشاعره وخلجات قلبه وزاد عشق العربي بلغته نزول القران الكريم بهذه اللغة ، وبعض الأحاديث قد أشارت إلى إن لغة أهل الجنة هي اللغة العربية وقد وجد العربي في اللغة العربية اللغة الطبيعية خير متنفس له، وقد غالى بالاهتمام بلغته حتى انه أطلق على غير الناطقين بالعربية اسم الأعاجم أو الأعجمي وهذا يدل اعتبار اللغة العربية هي لغة البشر ، وقد اسهم الفاتحون بنقل اللغة العربية للبلدان المفتوحة والتي أسهمت بدورها بنقل علوم العرب إلى شعوب تلك البلدان ومن ثم انتقلت إلى أوربا(١).

لذلك تسرب الفخر والاعتزاز الى نفوسهم وزاد ذلك الاعتزاز عندما راى الفاتحون تلك الشعوب تسارع الى تعلم اللغة العربية فتركوا لغاتهم الاصلية واخذوا يبذلون الجهد كي ينطقوها النطق الصحيح شان كل متعلم لغة جديدة ، وان وقع في اخطاء النطق والتركيب والاعراب والافصاح وهذا الامر كان سبباً بظهور علم النحو(٢)، الذي وضع لهؤلاء المتعلمين كي يخرجوا لغتهم على الوجه الصحيح.

ونخرج من هذا كله ان الانتصارات والفتوحات التي أحرزها المسلمون جعلتهم يشعرون بالزهو والرفعة خصوصا بعد منح الشعوب المحررة لغة وديناً استعادوا بهما حقوقهم ومساراتهم فلم تكن شعوب البلدان المفتوحة بمرتبة أدنى من الفاتحين وان تسموا باسم الموالي فقد منحهم إسلامهم ولغتهم حق المساواة والحرية ضمن الدولة العربية الإسلامية ، وكانت اللغة العربية إحدى سمات الفتح الإسلامي فهي لغة بسطت روحها بنفسها دون قسرية في حملها أو التعامل بها ، فإسلامية الشخص جعلت منه عربيا في اللغة والدين(٣).

١-ثابت اسماعيل الراوي: تاريخ الدولة العربية،ص.١٣٣
٢-المرجع السابق نفسه،ص.١٣٣
٣- المرجع السابق،ص١٣٣.

وقد عمل الفاتحون على نشر هذه اللغة لجعلها لغة عالمية للرد على الحملات الشعوبية التي تستهدف الدين واللغة ، فحرصوا على نقلها ونقل علومهم لتامين حضارة عربية مزدهرة في كل بلد يفتح(١).

وقد كان للحضارة العربية الاسلامية اثرها الواضح في الحياة الاوربية، وهنا ابرز نتائج الفتوحات فقد انتقلت علوم العرب المسلمين الى اوربا التي كانت تعيش فترة كبيرة في ظلمات وغبار الجهل، فنهضت بفضل علومهم وابداعاتهم ولغتهم العربية ، فقد كانت كالماء ينساب من اعلى الى اسفل بحيث تتسرب الحضارة المزدهرة الى سائر الاقاليم المتخلفة حضارياً.

ذلك لان أوربا لم تعرف من العلم إلا ما حددته الكنيسة لها وهو ما عرف بالفنون السبعة الحرة التي اقتصرت على دراسة الكتاب المقدس وبعض أوليات الحساب والفلك والموسيقى(٢).

وقد كانت لحضارة العرب المسلمين عدة معابر منها الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا والتي أصبحت قبلة للأوربيين ينهلون من معينها الحضاري والثقافي، واصبحت ترجمة التراث العربي الإسلامي في اللغة العربية إلى اللغة القشتالية واللغات الأوربية التي تمت على يد نصارى الأندلس .

واصبحت ترجمة التراث العربي الإسلامي من اللغة العربية إلى اللغة القشتالية واللغات الأوربية والتي تمت على يد نصارى الأندلس ، وحصاد هذه الترجمات تسرب حضارة العرب إلى الغرب المسيحي ، الأمر الذي دفع ملوك النورمان الى الأخذ من النظم الإسلامية على الرغم من كونهم نصارى وشجعوا العلماء المسلمين على التأليف والتصنيف ومنهم الجغرافي الادريسي الذي كتب كتابه ((نزهة المشتاق في اختراق الآفاق))، واهداه' إلى ((روجر الثاني)) ملك النورمان(٣).

كما احتفظ النورمان في بلاطهم بالنقود العربية الإسلامية والنقوش المكتوبة باللغة العربية، فقد كان اثر العرب المسلمين مهيمنا على حكم النورمان(٤).

١-المرجع السابق ، ص١٣٣.
٢-دكتور محمود اسماعيل : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية،ط١،(الكويت-١٩٨٩)، ص٢٥٨-٢٦١
٣-المرجع السابق ، ص٢٥٨-٢٦١.
٤-المرجع السابق ، ص٢٥٨-٢٦١.

واستخدم الأوربيون نظام الجرح والتعديل الذي اتبعه ائمة الحديث ، وادى ذلك الى شيوع النقد في اوربا وبالتالي اعادة لتقويم اللاهوت المسيحي واليهودي الذي دفع بدوره الى تغير نظرة اوربا نحو الاسلام والمسلمين الذين يصفونهم على انهم برابرة فاصبحت النظرة اوضح نحو الاسلام الذي كان فكراً وثورة وحضارة(١).

وليس فقط تغير النظرة نحو الإسلام بل نحو الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، الذي اصبح نبياً وقائداً ومصلحاً من الطراز الاول(٢).

واخذ الاوربيون من ادب العرب المسلمين الشيء الكثير فقد ترجموا المصنفات العربية كمقامات الهمداني وكتاب كليلة ودمنة ، فضلا عن مجال الفن والموسيقى والشعر الغنائي ،

وحسبنا ان ((ارنولد توينى)) يكتب بصراحة في موسوعته ((دراسة التاريخ))، انه افاد من المنهج الخلدوني(٣) .

وهكذا اتضحت نتائج الفتح الإسلامي بجلاء خصوصا في دور الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الغرب المسيحي ، الأمر الذي يجعل من أوربا تنحني إجلالاً للإسلام والمسلمين لما احيوا ما انهمل وفقد من حضارتهم واضافوا إليها الشيء الكبير..

١-دكتور محمود اسماعيل: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية،ص٢٥٨-٢٦١.
٢-المرجع السابق ، ص.٢٦٣
٣-المرجع السابق ،ص٢٦٣-٢٦٩.

فتوح المشرق:

ابدى الخليفة معاوية بن ابي سفيان اهتماما خاصا بشؤون المشرق الاسلامي فامر بانشاء قواعد ثابتة في خراسان ، يقيم فيها العرب المسلمون بصورة دائمة لضمان السيطرة على ذلك الاقليم والانطلاق نحو باقي اقاليم المشرق، فتوغلوا في عهده في اسيا الصغرى وفتحوا هراة وكابل ، وقام عبد الله بن سوار العبدي بغزو القيقان من بلاد السند سنة ٤٣هـ، ثم قاد المهلب بن ابي صفرة في السنة التالية بحملة كبرى ، فغزا الاراضي الواقعة بين الملتان وكابل ووصل الى بلدة لاهور(١).

وذكر البلاذري ان معاوية ضم ولاية خراسان الى عبد الله بن عامر فضلاً عن البصرة، فجعل الاخير قيس بن الهيثم السلمي على خراسان فخرج لقتال اهل بادغيس وهراة وبوشبخ وبلخ الذين نقضوا العهد مع المسلمين وارغمهم على طلب الصلح غير ان قيسا لم ينل رضا عبد الله بن عامر فعزله عن الولاية وعين عبد الله بن خازم فارسل اليه اهل تلك المدن طالبين تجديد الصلح ومنحهم الامان فصالحهم ، وحمل الاموال الى عبد الله بن عامر(٢).

وقد استقر العرب في نواحي المشرق خلال ولاية زياد بن ابيه على العراق، فقد ولـي خراسان الربيع بن زياد الحارثي سنة احدى وخمسين ((وحول معه من اهل المصرين- الكوفة- والبصرة –زهاء خمسين الفاً بعيالاتهم....واسكنهم دون النهر))(٣).

وبعد وفاة زيد بن ابيه خلفه على خراسان ولدهُ عبيد الله بن زياد ، فعبر نهر جيحون على راس جيش كبير بلغ تعداده اربعة وعشرين الفا، وخاض معركة عنيفة مع الترك واجبر ملكتهم (خاتون) على طلب الصلح، ثم دخل بخارى ، غير ان اهل هذه المدينة ما لبثوا ان نكثوا العهد ، فاضطر سعيد بن عثمان الذي خلف عبيد الله بن زياد الى محاربتهم، فقاتلهم طيلة ثلاثة ايام، واضطرهم الى طلب الصلح، ثم زحف بعد ذلك نحو مدينة ترمذ ففتحها صلحاً.

١-خليفة بن خياط ابن خليفة الليثي العصفري : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د.اكـرم العمري ، ط١، (النجف الاشرف-١٩٦٧)، ج١،ص١٩١، كذلك : ينظر:نافع توفيق العبود: المهلب بن ابي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط١،(بغداد-١٩٧٩)، ص٥٠-٥١.
٢-البلاذري هو احمد بن يحيى بن جابر،(ت٢٧٩) : فتوح البلدان ، (بيروت-١٩٧٨) ، ص٣٩٩-.٤٠٠
٣-المصدر السابق، ج٣،ص٤١٠.

غير ان سعيد بن عثمان ما لبث ان عزل عن ولاية خراسان بامر من معاوية بن ابي سفيان ، ويعلل البلاذري سبب اقدام الخليفة معاوية بن سفيان الى عزل سعيد بن عثمان ، هو خوفه من ان يقوم سعيد بخلع معلوية بن ابي سفيان ولذلك عجل بعزله(١).

الا ان هذه الرواية لايمكن الاستناد اليها لصلة القرابة والنسب التي تربط الطرفين فضلا عن الظروف التي جعلت معاوية يظهر بمظهر المدافع عن عثمان بن عفان ويجرد الجيوش للأخذ بثاره فلا يعقل ان يضمر سعيد الكراهية لمعاوية ويسعى الى خلعه، ولم يكن عزل سعيد بن عثمان بالحدث الغريب، فقد تعاقب الكثير من الولاة على ولاية خراسان بسبب المشاكل والصعوبات التي كان يثيرها اهل ذلك الاقليم في وجه العرب المسلمين(٢).

وقد اسندت ولاية خراسان الى عبد الرحمن بن زياد الذي استمر حكمه حتى نهاية خلافة معاوية بن ابي سفيان، سنة ٦٠هـ ، وقد آلت ولاية خراسان الى سلم بن زياد ، فقام بعدة حملات في بلاد ما وراء النهر ، غير ان العرب في خراسان انتفضوا على سلم بن زياد واخرجوه من خراسان بعد ان بلغهم خبر وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ فقصد سلم نيسابور تاركاً على خراسان عبد الله بن خازم ، وعمت الاضطرابات والحروب بعد ذلك بين مؤيدي عبد الله بن الزبير وانصار بني امية في خراسان ، ثم تمكن عبد الله بن خازم من السيطرة على الاقاليم ، وولى ولدهُ محمد على هراة ، ولم يهنأ عبد الله بالولاية اذ لم يلبث ان لقي مصرعه على يد وكيع بن وشاح عامل عبد الملك بن مروان على خراسان(٣).

وفي سنة ٧٨هـ ، اضاف عبد الملك بن مروان خراسان الى الحجاج بن يوسف الثقفي فضلاً عن العراق فاسندت الى المهلب بن ابي صفرة الذي قام بسلسلة من الحملات العسكرية في اقليم ما وراء النهر، وافتتح خجنندة ، كما اخضع بلاد الصغد(٤).

وبعد وفاة المهلب بن ابي صفرة تعاقب على خراسان كل من يزيد بن المهلب ، ثم المفضل بن المهلب وبولاية قتيبة بن مسلم على خراسان سنة ٨٦هـ، تبدا المرحلة الحاسمة في استكمال فتح الاقاليم وضم مناطق بعيدة الى حوزة النفوذ العربي في المشرق.

١-البلاذري: فتوح البلدان ، ج٣، ص٤٠٣-٤٠٦.

٢-رشيد الجميلي، تاريخ الدولة العربية، ص٣٧٩، كذلك ينظر: عبد الامير دكسن، الخلافة الاموية، (٦٥-٨٦هـ)، ط١،(بيروت-١٩٧٣).

٣-البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص٤٠٤-٤٠٦.

٤-ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج٤، ص٤٥٤.

وقد حقق قتيبة انتصارات كبيرة وافتتح مدن خراسان في الفترة ما بين ٨٦-٩٥هـ، كما افتتح بلاد باذغيس(١)،واستحق تقدير الخليفة الوليد بن عبد الملك(٢).

وبلغت فتوحات قتيبة حدود الصين الغربية وهو اقصى مكان وصل اليه العرب في المشرق، وتعد فتوحاته بداية الاتصال بين العرب والاتراك ، وكان لجهود قتيبة اعظم الاثر في انشاء مراكز جديدة للثقافة العربية التي ادت دورا مهما في توطيد العلاقات بين الدول العربية الاسلامية وبلاد الصين في المراحل اللاحقة(٣).

وسلك العرب في معاملة هذا الاقليم السياسة نفسها التي سلكوها في الاقاليم الاخرى ، فشجعوا اهلها على اعتناق الاسلام ، حتى اعتنقه كثير من الترك وتتضح اهمية هذا الاقليم اذا علمنا ان كثير من علماء المسلمين ظهروا فيه امثال الزندي والخوارزمي والبخاري(٤).

١-باذغيس : ناحية تشمل قرى من اعمال هراة ومرالروذ ، ينظر:ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله،(ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ،ط١ (مصر-١٣٢٣هـ/١٩٠٦م) ،ص.٣١
٢-ابن الاثير: الكامل ، ج٥ ، ص.٤٤
٣-البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص.٤١٥
٤-علي ابراهيم حسن، التاريخ الاسلامي العام، (مصر- بلا ت)، ص٣٠٦.

فتوحات جرجان وطبرستان:

تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان عام ٩٧هـ، بعهد الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فتطلع يزيد الى جرجان وطبرستان ، فابتدأ بقهستان ودخلها صلحا بعد قتال شديد ، ثم واصل زحفه الى جرجان فصالحه اهلها ايضا، ولم يبق امام يزيد سوى التقدم نحو طبرستان

الواقعة الى جنوب بحر قزوين ، واورد المؤرخ ابن الاثير ان الاصبهبذ حاكم طبرستان ارسل الى يزيد يعرض عليه الصلح على ان ينسحب المسلمون من بلاده.

الا ان يزيد اصر على اقتحام طبرستان وكانت مدينة شديدة الحصانة ، وبادر الى وضع خطة للهجوم تقضى بتقسيم قواته الى ثلاثة اقسام لمهاجمتها من ثلاث نواحي.

فتحرج موقف حاكم طبرستان فارسل يستنجد بجيرانه من الديلم واهل جيلان ، فزحفوا لمساعدته بجموع كثيرة ، واشتبكوا مع قوات يزيد في معركة عنيفة وانتهت بهزيمة المسلمين(١).

وعلى اثر هذه الهزيمة نقض اهل جرجان الصلح مع المسلمين ، فاضطر يزيد الى ابرام الصلح مع الاصبهبذ على ان يدفع الاخير مبلغا من المال نظير عودة المسلمين وعدم تعرضهم لبلاده وتفرغ يزيد بذلك لمواجهة اهل جرجان، واستغل يزيد خروج حاكم المدينة بالجيش الى البحيرة للقاء المسلمين هناك تنفيذا لنصيحة الاصبهبذ ، ودخل يزيد جرجان ثم ترك بها حامية صغيرة وسار لمواجهة قوات المدينة في المعسكرة في البحيرة ، فحاصرها ستة اشهر انتهت بتسليم البحيرة فضلاً عن جرجان(٢).

غير ان اهل جرجان ما لبثوا ان غدروا بالحامية الاسلامية المرابطة في المدينة فعاد يزيد لقتالهم وحاصرهم سبعة اشهر ثم اقتحم جرجان وفرض الخراج والجزية على اهلها(٣).

١-ابن الاثير ، الكامل،ج٥،ص.٣٣
٢-ابن الاثير: الكامل، ج٤، ص.٣٣
٣-البلاذري:فتوح البلدان، ج٣،ص٤١٥ .

فتح اقليم السند:

يرجع اهتمام المسلمين باقليم السند الى خلافة معاوية بن ابي سفيان ، ففي سنة ٤٤هـ قاد المهلب بن ابي صفرة عدة حملات ضد الاراضي الواقعة بين كابل والملتان ووصل الى بلد الاهور ، ثم واصل الولاة من بعده حملاتهم في اقليم السند من ناحية سجستان ، وتم فتح مكران والقندهار ووصلت حملاتهم الى البوقان والقيقان(١).

على ان فتح هذا الاقليم اتخذ طابعاً آخر وهو طابع الجدية والتنظيم بعد تولي محمد بن القاسم الثقفي هذه المهمة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي سير معه ستة الاف من جند الشام فضلاً عن اعداد كبيرة من المتطوعين الذين انضموا الى هذا الجيش ، فزحف محمد بن القاسم نحو مكران سنة ٨٩هـ، ومنها انطلق الى الديبل والتي هي اهم مرافيء السند ، وافتتح في طريقه كل من فنزبور وارمائيل ، ثم قطع بلوخستان ونزل على الديبل وتمكن من اقتحامها عنوة وانزل بها اربعة الاف من المسلمين وبنى لهم مسجدا جامعاً(٢) .

ثم واصل فتوحاته في ذلك الاقليم فدخل مدينة راور عاصمة السند بعد هزيمة ملكهم داهر الذي لقي مصرعه في هذه المعركة(٣).

ولم تتوقف فتوحات محمد بن القاسم عند هذا الحد بل واصل تقدمه نحو الشمال الشرقي مفتتحاً العديد من المدن والقلاع ، ثم قطع نهر بياس – احد روافد السند – ونجح في الاستيلاء على مدينة الملتان المعروفة بحصانتها بعد ان حاصرها حصاراً شديداً ، وقد حاز محمد بن القاسم على رضا اهالي البلاد المفتوحة نتيجة للسياسة التي اتبعها نحوهم والتي تميزت بالتسامح والعدل وضمان الجميع(٤) .

الا ان ولاية محمد بن القاسم لم تدم طويلا اذ سرعان ما عزل في عهد الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك الذي عزله من ولاية السند وولى مكانهُ يزيد بن ابي كبشة الذي ادركتهُ الوفاة بعد ثمانية عشر يوما من ولايته على اقليم السند .

١-عبد العزيز سالم:تاريخ الدولة العربية،(بيروت-١٩٧١)،ص.٦٢٧

٢-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٤، ص٥٣٦-.٥٣٧

٣-اليعقوبي هو احمد بن جعفر بن وهب بن واضح(ت٢٨٤هـ):تاريخ اليعقوبي،(بيروت-١٩٦٠)،ج٢،ص٢٨٩.

٤-البلاذري:فتوح البلدان ، ج٣،ص٤٢٧-٤٢٨.

فخلفه الحبيب بن المهلب الذي قام بحملة ضد اهل الرور وتمكن من اخضاعهم(١).

وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز الذي خلف سليمان بن عبد الملك اصلاحية خلاقة في البلدان المفتوحة ، فقام بجملة من الاصلاحات تناولت مسالة الخراج والجزية والزم عماله بمراعاة العدل والمساواة وعدم ارهاقهم بالضرائب والعمل على تشجيعهم للدخول في الدين الحنيف، فكانت النتائج ايجابية فقد ساعدت سياسة عمر على اسلام جيشبة بن داهر المعروف بجاي سنك ، وكان ذلك في ولاية عمرو بن مسلم الباهلي(٢).

ثم تعاقب على ولاية السند عدد من الولاة كان منهم عمرو بن محمد بن القاسم ،الذي اسس مدينة المحفوظة وبنى مدينة اخرى سماها المنصورة ، وتمكن من استرداد العديد من المدن التي خرجت على المسلمين وسلك سياسة حسنة مع الاهالي(٣).

١-المصدر السابق ، ج٣، ص٤٢٧-٤٢٨.
٢-ابن الاثير، الكامل:ج٤، ص٥٨٩.
٣-البلاذري:فتوح البلدان،ج٣،ص٥٤٣.

الفتوحات الأموية للمغرب العربي:

استكمل العرب المسلمون عملية تحرير المغرب العربي في العصر الاموي ، وكانت المرحلة الاولى من مراحل التحرير على يد القائد معاوية بن حديج حين قاد عام (٤٥هـ) ، جيشا كبيرا ضم عددا من القادة المسلمين وابناء الصحابة فحدث اول اشتباك مع البيزنطين في قمونية(١).

واجبروا على التراجع داخل سوسة، فعمد ابن حديج الى توجيه فرقة من الجيش بقيادة عبد الله بن الزبير فتوجه نحو سوسة الذي تمكن من دخولها ، كما ارسلت قوة مكونة من الف رجل بقيادة عبد الملك بن مروان الى حصن جلولاء وهو احد الحصون المهمة البيزنطية وقد احرز نصرا ساحقا بعد حصار شديد ، اما معاوية بن حديج فقد سار شمالا فحرر بنزرت ، كما ارسل جيشا اخر الى جزيرة جربة فتمكن من دخولها عام ٤٧هـ(٢).

وبولاية عقبة بن نافع الفهري تبدا مرحلة اخرى جديدة من مراحل التحرير للمغرب وترجع صلة عقبة الفهري بافريقية الى عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان(ﷺ) ، فقد سبق ان شارك في الحملات التي قادها عمرو بن العاص على برقة وافريقية سنة ٢٣هـ، وعبد الله بن سعد عام ٢٧هـ.(٣).

فاكتسب بذلك خبرة واسعة بشؤون افريقية من طبيعة البلاد واحوال السكان ، وقد قام عقبة بنفسه بحملات داخل افريقيا حرر خلالها غدامس سنة ٤٢هـ، واخضع قبائل لواتة ومزاتة ، ثم مضى نحو ودان وكانت قد نقضت الصلح الذي كان بينها وبين بسر بن ارطأة فاخضعها ثم فرض سيطرته على بعض المناطق مثل فزان وحرر عدداً من حصونها(٤).

وكان خروج عقبة بن نافع الى افريقية سنة ٤٩هـ، بامر من معاوية بن ابي سفيان ، الذي جهزه بعشرة الاف رجل، فتمكن من تحرير الواحات الداخلية في اقليم برقة عاد بعدها الى سرت ، حيث اقام بها مدة قصيرة ،

١-الناصري السلاوي:احمد بن خالد بن محمد ، ت١٣١٥هـ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء –١٩٥٤-١٩٥٦م)، ج١، ص.٦٢

٢-البكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت٤٨٧هـ: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ط٢، (بلا-١٩١٣)، ص٥٨.

٣-ابن عبد الحكم هو ابو القاسم عبد الرحمن (ت٢٥٧) : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، (القاهرة- بلا)، ص.١٩٤

٤-المصدر السابق ، ص١٩٤.

ثم سار الى غدامس فحررها كما حرر قفصة وقسطيلية من اقليم الجريد(١).

ثم راى عقبة ضرورة اتخاذ قاعدة حربية تكون معسكرا ثابتاً لقواته في افريقيا فاختار مركزا او موقعا ستراتيجيا بعيدا عن الساحل حتى لا يتعرض المسلمون لهجمات الاساطيل البيزنطية ، فاختط القيروان سنة ٥٠هـ، وشرع ببناء مسجد ودار الامارة ثم قسم الاراضي بين القبائل العربية التي شاركت في الحملة فاقتطع لهم الدور والمسجد ، ولم تلبث القيروان ان غدت عامرة بالمباني والمنشآت والاسواق في سنة ٥٥هـ ، وقد بقيت اثار العمران في

القيروان شاخصة كالسور الذي بني من اللبن والطين واستمر قائماً حتى امر بتخريبه الامير زيادة الله بن الاغلب في شهر جمادى الاولى عام ٢٠٩ هـ (٢).

غير ان ولاية عقبة بن نافع على افريقية لم تستمر طويلا ، فقد عزل بامر معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٥ هـ ،وقيل ان مسلمة بن مخلد الانصاري والي مصر انذاك كان قد سعى لدى الخليفة وحمله على عزله وتولية ابي المهاجر دينار(٣).

ويبدو ان الانتصارات التي حققها عقبة بن نافع في افريقية والمكانة التي احرزها كانت من اسباب اقدام مسلمة على السعي ضده، وقد نجح ابو المهاجر في كسب ثقة البربر وتاييدهم بفضل السياسة التي اتبعها نحوهم فضمن بذلك قطع صلاتهم بالبيزنطيين الى حد ما ، ثم قاد حملة باتجاه المغرب الاوسط ، فاصطدم يقبائل اوربة وهم من البرانس فهزمهم ، ونجح في كسب زعيمهم كسيلة بن لمزم ، وكان نصرانيا فاعتنق الإسلام ، وتترتب على ذلك انحياز قبائل البربر البرانس الى العرب وتحالفوا معهم، وبفضل هذا التحالف تمكن ابو المهاجر من تحرير تلمسان ثم هاجم قرطاجة سنة ٥٩هـ ، وارغم البيزنطيين على اخلاء المنطقة الواقعة جنوبي اقليم قرطاجنة(٤).

غير ان دور ابي المهاجر دينار انتهى بوفاة معاوية بن ابي سفيان ، فقد اعاد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع والياً على افريقية ،

١-ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب،ص٢٦٤.
٢-ابن عذارى ، محمد ابو عبد الله (ت٦٩٥هـ): البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفسال، (ليدن-١٩٤٨-١٩٥١)، ج١، ص١٢٩.
٣-كان ابو المهاجر دينار ، من موالي مسلمة الانصاري، ينظر: الجميلي: تاريخ الدولة العربية الاسلامية، ص.٣٨٥
٤-حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب (القاهرة-١٩٤٧م)، ص١٧٢-١٧٦.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتعاون بين العرب والبرابرة ، فتهيا للمسلمين تحرير عدد من المدن والقلاع من البيزنطيين مثل باغية وقرطاجنة والمنستير، وتوغلوا في منطقة الزاب، والحقوا بالبيزنطيين هزيمة كبيرة عند وادي مسيلة(١)

غير ان البيزنطيين ما لبثوا ان حصلوا على تأييد عدد من قبائل البربر الذين وقفوا الى جانبهم في محاربة العرب المسلمين، فقد انضمت اليهم لواته وهواره وكان النصر حليف عقبة في هذه المعركة التي انهزم بها البيزنطيون وحلفائهم من البربر ، ومضى بعدها موغلاً

في المغرب الاقصى ، ففارقه كسيله واصحابه وقيل ان عقبة اساء معاملته فانفصل عنه مغاضبا واضمر الشر له(٢).

وبلغت جيوش المسلمين طنجة وتوغلوا في ناطق اسوس الادنى والسوس الاقصى ودخل الصحراء الغربية ووصل الى درعة، ثم قرر عقبة العودة الى القاعدة وعاصمته القيروان وقبل ان يصل الى المدينة سمح لمعظم قواته بالتفرق ، وقد اثيرت عدة تساؤلات حول خطة عقبة هذه، فقد قيل ان سماح عقبة لاصحابه بالتفرق والعودة الى منازلهم واهليهم لم يكن غريبا في مثل هذه الظروف حيث استغرقت الحملة اكثر من سنة فكان لابد ان يسمح القائد لجنده بالعودة الى ديارهم(٣).

وتذهب بعض الروايات الى ان خطورة الوضع في افريقيا كان وراء التعجيل بارسال العساكر الى القيروان لمواجهة البيزنطيين الذين يعدون العدة لمهاجمة المدينة(٤)

ولم يبق مع عقبة بن نافع سوى خمسة الاف بعد ان انصرفت عنه العساكر في طبنة في اقليم الزاب، فتوجه الى مدينتي تهوده وباديس مستهدفا اتخاذ قواعد لقواته هناك ، وقد علم البيزنطيون بوجود عقبة في المنطقة فسارعوا الى اخبار كسيله زعيم بربر اوربة وحرضوه على مهاجمته، فلم يتردد كسيلة باغتنام هذه الفرصة وانضم اليه عدد كبير من الجيش البيزنطي ، فاشتبك مع المسلمين في معركة عنيفة عند مدينة تهوده سنة ٦٣هـ، فانهزم المسلمون ولقي عقبة بن نافع مصرعه وواصل كسيلة زحفه نحو القيروان فتمكن من الاستيلاء عليها بعد ان انسحب زهير بن قيس البلوي نائب عقبة الى برقة(٥).

١- -ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٢٤.
٢-رشيد الجميلي: تاريخ الدولة العربية الاسلامية، ص.٢٨٦
٣-سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، (الاسكندرية-١٩٨٠)، ج١،ص ٢٠٤.
٤-ابن عذارى: البيان الغرب، ج١، ص.٢٨
٥-المصدر السابق، ج١، ص٢٩-٣١.

غير ان المسلمين ما لبثوا ان استعادوا افريقية في عهد عبد الملك بن مروان حين خرج زهيرا على راس حملة كبيرة عام ٦٩هـ، فدارت مع كسيلة معركة عنيفة اسفرت عن انتصار المسلمين وقتل كسيلة واستعادة القيروان فدخل زهير القيروان وبدا خلالها بتنظيم شؤونها الادارية ثم قرر العودة الى مصر.

وقام البيزنطيون في هذه الاثناء بمهاجمة برقة عن طريق البحر فاجتاحوا المدينة وقتلوا عددا من اهلها واخذوا عدداً كبيراً من النساء سبايا.

فاتجـه زهيـر نحـو السـاحل والـتحم بمعركـة مـع البيـزنطيين واستشـهد هـو وعـدد مـن اصحابه(١).

واعاد البيزنطيون السيطرة على افريقية ولم يبادر العرب بالقيام بحملة جديدة الا بعد مرور عدة سنوات بسبب الظروف الداخلية القلقة التي كانت تمر بها الدولة الاموية انذاك ثم وجهت حملة عام ٧٤هـ، حيث قرر عبد الملك بن مروان تهيئة حملة كبيرة بقيادة حسان بن نعمان الغساني فاستطاع المسلمون ان يحطموا القوة البيزنطية في قرطاجنة(٢).

ثم استعدوا لمواجهة البربر الذين رفعوا لواء المقاومة فدارت معركة على نهر البلاء المعروف بوادي مسكميانة ، الا ان حسان الغساني تراجع منتظراً وصول الامدادات واستعد المسلمون للقاء البربر فدارت معركة معهم بقيادة الكاهنة التي لقيت مصرعها بالقرب من طبرق سنة ٨٢هـ، فحقق العرب انتصارا كبيرا واستعدوا لمواجهة البيزنطيين الذين انسحبوا بقواتهم عن طريق البحر، ووجد حسان ضرورة انشاء مدينة عربية تشرف على مدخل قرطاجنة ، فشرع ببناء تونس وانشأ داراً لصناعة الاسطول(٣) .

كما اسس مسجدا جامعا ودارا للامارة ومعسكرات للجيش ، ومما يلفت الانتباه انهُ خلال ولاية حسان بن نعمان انتشر الاسلام انتشارا واسعا بين البربر الذين اقبلوا على اعتناقه بحماس منقطع النظير، مما ادى الى تقلص نفوذ الروم والفرنجة في هذه البلاد بعد اخفاق مقاومة البربر الذين اصبحوا عدة الجيش الاسلامي وحملة لوائه في باقي مدن المغرب الكبير(٤).

١-السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس، (بيروت-١٩٦٢)، ص.٤١

٢-ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٣-٣٤.

٣-المصدر السابق، ص٣٤.

٤-عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية،(بيروت- ١٩٧١)، ص٦٤٠-٦٤١.

ثم تولى ولاية افريقية بعد حسان بن النعمان موسى بن نصير في سنة ٨٦هـ، الذي واصل بدوره عملية تحرير المغرب من النفوذ البيزنطي وحقق انتصارات باهرة عبر بها السوس الادنى حتى بلاد سجلماسه ووادي درعة وتوج انتصاراته بتحرير طنجة سنة ٨٩هـ، وكان يتولى حكمها حاكم رومي يدعى يوليان او جوليان، وعهد موسى بن نصير بولاية طنجة الى طارق بن زياد الذي استكمل مسيرة الفتوحات في المغرب(١).

١-ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٣٤..

فتح الاندلس:

استكمل العرب تحرير المغرب من النفوذ البيزنطي ولم يبق خارجا عن نفوذهم سوى مدينة سبتة ذات القلاع الحصينة ، وقد ذكر المؤرخون ان جوليان لعب دوراً في مساعدة العرب في دخول الاندلس انتقاما من لوذريق ملك القوط لاسباب شخصية(١).

اتصل جوليان بطارق بن زياد حاكم طنجة وعرض عليه القيام بحملة عسكرية لاعادة الملك المخلوع الى عرشه مقابل جزية سنوية يلتزم بها الاسبان للعرب ، فعرض طارق بن

زياد الفكرة على موسى بن نصير فرحب بها مدفوعا بحبه للجهاد وحرصه على نشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية ، والتزم موسى بن نصير بنصائح الوليد الذي حذره من المجازفة بالجيش فقد تكون هنالك مكيدة للتغرير به.

وفي رمضان من سنة ٩١هـ، ارسل موسى بن النصير سرية بقيادة طريف بن مالك للقيام بحملة استطلاعية والعودة سريعاً ، وقد سميت هذه الجزيرة باسمه (جزيرة طريف)(٢).

ويبدو ان سبب تعاون يوليان مع العرب ليس من شانه عودة الملك المخلوع فقط وانما محاولة منه لصرف انظار العرب عن سبته وتقديم فروض الطاعة والولاء وتعبيرا عن اخلاصه في مساندتهم لدخولهم الاندلس(٣).

الا اننا نجد ان اندفاع العرب نحو الاندلس لم يكن لتحقيق رغبة يوليان فقط وانما كان الحرص على نشر الرسالة السماوية السامية ولتحقيق مبدا التوحيد والعدالة في شتى بقاع الارض ، لان المتتبع لحركة الفتوحات الاسلامية يجد ان العرب المسلمين هم حملة لواء التوحيد والعدالة وقدرتهم في تحقيق ذلك فاقت كل الاوصاف ، فبلغت فتوحاتهم الصين شرقا، وحين وصلوا الى المحيط الاصلسي وجدنا عقبة بن نافع يدفع بفرسه الى مياه المحيط قائلا: ((اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد سواك))(٤).

١-البكري :المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٤،وكذلك :المقري هو احمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،تحقيق احسان عباس ،ج١، ص٢٣٢-٢٣٦.
٢-المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٤.
٣-رشيد الجميلي : تاريخ الدولة العربية، ص٣٩٠.
٤-ابن عذارى:البيان المغرب،ج١،ص٢٦-٢٧.

ويؤكد بعض الباحثين ان العرب المسلمين نقلوا باساطيل عربية كانت ترابط على الساحل المغربي ويستبعد انهم اعتمدوا على اساطيل يوليان ،لان هذا الوضع لايتفق مع السياسة الاموية التي تحرص على اتخاذ التدابير الاحتياطية للمحافظة على سلامة الجيش كارسال البعوث والسرايا قبل القيام بهجوم وانشاء القواعد وبناء الاساطيل(١).

اعدت قوة قوامها سبعة الاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الذي استطاع عبور المضيق الذي سمي باسمه ، واقام في الموضع واستطاع بناء سور سمي (بسور العرب)(٢).

كما اقام قاعدة عسكرية بجوار الجبل على الساحل مستهدفا توفير الحماية للجيش العربي في حالة انسحابه، وقد عرفت القاعدة بالجزيرة الخضراء ، وامر بانشاء قاعدة امامية تولى حمايتها طريف بن مالك(٣).

وقد اسهمت عدة عوامل في مساعدة المسلمين على دخول اسبانيا ، كانشغال لوذريق بثورة سكان نافار ، ووصول الامدادات الى طارق بن زياد من المغرب يقدر جيشه باثنى عشر الف مقاتل فدارت معركة بين الطرفين في رمضان عام ٩٢هـ عند وادي لكة وانتصر المسلمون انتصارا باهرا على الرغم من تفوق عدوهم في العدد والعدة(٤).

فانفتحت ابواب الاندلس امام العرب المسلمين فزحف طارق بالجيش نحو العاصمة طليطلة ودخلت فرق اخرى الى قرطبة والبيرة كما نجح في السيطرة على طليطلة دون مقاومة تذكر، ويبدو ان طارقا خشي ان يقطع عليه عدوه الطريق بعبوره الجبال فارسل الى موسى بن نصير يطلب منه مساعدته بعبور المضيق من الجهة الاخرى، فعبر موسى بجيش قوامه ثمانية عشر الفا معظمهم من العرب ، واستولى في سنة ٩٣هـ على مدن قرمون وشبيلية ومارده ثم التقى بطارق بن زياد عند نهر التاجو بالقرب من طليطلة، فواصل الجيش الزحف حتى وصل حدود فرنسا الجنوبية(٥).

١-احمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، (الاسكندرية-١٩٦٨)، ص٥٨-٥٩

٢-المرجع السابق ،ص.٥٩

٣-رشيد الجميلي: تاريخ الدولة العربية ، ص.٣٩١

٤-المرجع السابق، ص.٣٩٢

٥-ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢،ص١٧.

وتسلم عبد العزيز بن موسى القيادة بعد امر الوليد بعودة موسى و طارق بن زياد الى العاصمة دمشق، واستطاع عبد العزيز اخضاع تدمير التي عرفت فيما بعد باسم مرسيه التي تمكن المسلمون من دخولها صلحا، واستكمل المسلمون فتح شبه الجزيرة كلها عدا القسم الشمالي فقد تركه المسلمون لوعورته وبرودته وخلوه من السكان ، وقد اصبحت هذه المنطقة فيما بعد مركزا لتجمع فلول القوط المنهزمين الذين اتخذوا نواة الدولة الاسبانية

النصرانية والتي عملت على اسقاط دولة الاسلام في الاندلس بعد ثمانية قرون من قيامها(١).

١-رشيد الجميلي: تاريخ الدولة العربية ، ص٣٩٢.

رأي المتشرق جوزيف رينو فى الفتح الاسلامى:

اسهم الفتح الاسلامي لمناطق المغرب العربي وعبورا منه الى فرنسا في قيام حضارة عريقة وبناء دول كبيرة ، فقد اظهر المستشرق جوزيف رينو عظمة الفتح الاسلامي وان غاية الفتح الاسلامي وبصورة اساسية هي نشر الاسلام بعيدا عن أي اطماع اخرى فهو

يقول عند بداية الفتح للمغرب وعبور طارق بن زياد الجبل الذي تسمى باسمه ((وهذه الحرب التي سيخوض غمارها المسلمون كانوا يستهدفون من ورائها نشر الاسلام وكذلك دخلوا بلدا خصبا غنيا يحتوي على كل ما يثير رغبات الانسان...))(١).

وهذه شهادة من المستشرق جوزيف الى ان غاية الفتح والفاتحين هي نشر الدين الاسلامي ورغم ان المستشرق جوزيف اثار قضية ثانوية وهي تحويل انظار المسلمين الى تلك البلاد التي تميزت بكثرة ريعها ومواردها اثناء مقارنة بالجزيرة العربية ، لكنه استبعد ان يكون ما يسعى اليه المسلمون هو غير نشر الدعوة السماوية بكل مبادئها وتعاليمها.

ولقد اشار جوزيف رينو الى اهمية الفتح الاسلامي ومميزاته التي كان من اهمها التسامح مع سكان البلاد المفتوحة فقال ((ان الشيء الذي يضايق المسيحيين هو ان عدوهم قد استقر في كل مكان وفي وقت واحد تقريبا ومتى استسلم بلد من تلقاء نفسه كان المنتصرون يحترمون ممتلكات المنشات الدينية ولكنهم مع ذلك كانوا يستولون على بعض الكنائس ويحولونها الى مساجد، كما كانوا يستولون على الاملاك الشاغرة التي تركها المغتربون وكذلك كان المنتصرون يستولون على الاسلحة والخيول الضرورية لمواصلة الحرب، واخيرا كانوا يفرضون الجزية على السكان (الذين لم يسلموا) وكانت تختلف قيمتها باختلاف الظروف ، وكانوا ياخذون الرهائن ليضمنوا ولاء السكان))(٢).

ان استيلاء المسلمين لبعض الكنائس لم تكن خاصية الفتح الاسلامي او من اخلاق المسلمين وانما كانت مجموعة من العصابات والمجموعات المنشقة الذين استفادوا من حالة الارباك التي اصابت البلاد.

١-جوزيف رينو:الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا ، في القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، تعريب وتقديم : د.اسماعيل العربي ، ط١،(بيروت-١٩٨٤)،ص.٤٠

٢-جوزيف رينو ، الفتوحات الاسلامية، ص٤٢.

اضافة الى ان الاستحواذ على ممتلكات الكنائس واي هدم للخاصية الدينية لاي دين غير الاسلام فالدين الاسلامي بريء منها وهو ما سيقرهُ المتشرق جوزيف بنفسه فيما بعد.

ولقد اوضح جوزيف ان المسلمين لم يستعملوا العنف ابداً وهم يبدأون بالسلام وعرض عروض الفاتحين وهي اما الاسلام او الخضوع لجزية، واظهر الفاتحون المسلمون احتراما منقطع النظير نحو سكان البلاد المفتوحة وازاء عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم لاسيما وانها لاتمس الدين الاسلامي بسوء وشريطة ان تكون الحقوق الممنوحة والمحترمة هي لديانة سماوية فقط(١).

لقد تم فتح الاندلس وجزء من لانجدوك وفي ظرف اقل من سنتين اصبح لدى المسلمين الفاتحين الكثير من الاسرى الذين تم معاملتهم بمبادئ الاسلام في مراعاة حق الاسير واعطائه حقوقه كاملة فقد اُسر حوالي اربعمائة أسر من الشخصيات التي تنحدر من اسر ملكية لكل واحد منهم حق في لبس التاج وحمل الصولجان (٢).

واما مسالة الغنائم والاسرى فهي نتيجة سقوط المدن في ايدي المسلمين دون مقاومة لذلك وجب احترام القوانين الاسلامية مقابل حماية مدنهم وسكانها من أي عدو ، فضلا عن ذلك نجد المستشرق ليشيد بسماحة الفاتحين فهو يقول((وازاء سماحة الفاتحين فقد بقيت الاديرة والكنائس كما كانت دون ان تمتد اليها يد المسلمين من باب الحرية الدينية لسكان البلد المفتوح))(٣).

لذلك لم تحطم أي دير او كنيسة او تؤخذ محتوياتها على شكل غنيمة ، وهذه شهادة من المستشرق جوزيف الذي اشاد بايجابية الفتح الاسلامي وبعده عن الارهاب والقتل وان أي حالات شاذة حصلت فهي بعيدة عن هؤلاء الفاتحين ، وان كان المستشرق قد نقل عن المؤرخين المسيحيين المعاصرين حول احداث الفتح ((انها رافقت تخريب اديرة (جوسل Jaucel)من بيريل(وسانت بوزيل St.Bausile)ودير يقع في (سانت جيل St.Gilles) قرب ارل .

١-المرجع السابق، ص.٤٤

٢-المرجع السابق، ص٤٤.

٣-المرجع السابق ، ص٢٤٠.

واستطاع المسلمون تحطيم اجراس الكنائس او بعبارة ادق تلك الادوات المماثلة التي يدعون فيها الى الصلاة))(١).

لكن جوزيف رينو يرد بنفسه على هؤلاء المؤرخين ويصف هذه الاعمال بقوله :((ليس من شك ان المسلمين وجدوا مقاومة من سكان البلاد، لكن من المؤكد ان المسلمين لم يستعملوا هذا العنف في البلدان التي اعلنت خضوعها من تلقاء نفسها))(٢).

ونحن نقف عند حقيقة مفادها انه من المؤكد ان الدمار الذي حصل للمدن قد حصل للمدن التي تقاوم وان هذا الدمار ليس بدافع التدمير والخراب لكن حالة الحرب تفرض حالة الفوضى من تلقاء نفسها، وليس من الشك ان هذا الدمار ممكن ان يكون من سكان البلاد نفسها لكي لايستفاد الفاتحون لتلك البلاد من البلاد نفسها، فقد وردت حالات احراق للاراضي وتشويه للبلاد على يد الكاهنة صاحبة الثورة ضد المسلمين .

وان مسالة استباحة المدن والكنائس والاديرة واخذ الغنائم من الابرشيات واستعمال القسوة والوحشية في المعاملة فلقد كان من السهل تبرير مثل هذه الحالات بان هؤلاء ليسوا من العرب واوضح ذلك عن طريقة حادثة احتلال دير موناسيتي في فرنسا ((وان الذين قاموا باحتلاله اخذوا يقدمون القرابين ويعربدون بحسب شهادة المؤرخين الغربيين))(٣).

فقد كان من السهل ان نستنتج ان هؤلاء ليسوا من المسلمين العرب وهم عبارة عن عصابة او مجموعة من البرابرة الشماليين الذين مازال اعداد منهم في ظلمات الجهل والوثنية ولا نستطيع ان نقيس على تلك الحالات بانها حقيقة ملازمة للفتح والفاتحين وتبقى هذه الحوادث هي حالات فردية ان حدثت من المسلمين، وازاء عدم وجود شهادات كثيرة يمكننا ان نستدل بها على طابع القسوة والشدة التي رافقت الغزو العربي والذي تعرض له جزء كبير من فرنسا، فان بامكاننا اثبات ان رؤية الفتوحات الاسلامية عند اغلب المستشرقين ما تزال لاينظر لها بالموضوعية الكاملة اضافة الى ان المستشرق جوزيف اشار الى ان حالات الدمار التي وجدت كان سببها ليس الحرب وانما دمار سبق بفترة تقدر بنصف قرن من استقرار المسلمين وبصورة فعلية من بعد الفتح.

١-المرجع السابق، ص٥٣
٢-المرجع السابق،ص.٥٣
٣-المرجع السابق، ص٥٧.

وهي كانت نتيجة الحروب الاهلية التي عمت المناطق وهو مانصت عليه رسالة سانت بونيفاس رئيس اساقفة ماينص ((Mayence)) وجهها الى البابا زكريا سنة ٧٤٢ وهي : ((ان ما اصابهم هي نتيجة الحروب التي وقعت بين ابناء كليوفس))(١).

ناهيك عن ان مناطق عديدة من المغرب وفرنسا كانت خاضعة لاقوام مختلفة ووثنية والتي بفعل ما تملكه من تخلف لم تستطع ان تكون اداة حضارية وفعالة للمناطق التي تحكمها ولا للشعوب المتفاعلة معها لذلك سبق وان عاشت هذه المناطق حالة من الفوضى والخراب الامر الذي انتهى بعد فتح المسلمين واستقرارهم وبناءهم المدن واحترامهم للديانات الاخرى والشعائر الدينية ، وان كان ما نقل من جوانب سلبية للفتح الا ان جبروت عظمته شهدت له بانه باني حضارة عريقة وبشهادة مؤرخين غربيين امثال المستشرقة زيغريد هونكه والمستشرق جوزيف رينو نفسهُ.

ولما كان ما تحمله الرسالة السماوية من عدالة وتسامح فانه اشتهر بايجابية الفتح فنجد شهادة المستشرق جوزيف وهو يقول عن دخول عبد الرحمن الغافقي ((وكذلك كان عبد الرحمن الغافقي يعامل المسيحيين معاملة تتفق مع نصوص المعاهدات التي تربطهم بالدولة الاسلامية ، ولكنه هدم بعض الكنائس التي اخذ بعض العمال رشوة مقابل السماح ببنائها....))(٢).

اهتم الفتح الاسلامي بالابقاء على المنشأت الدينية والدنيوية ، واثناء انسحاب المسلمين ترك المسلمون هذه المنشآت كما هي فقد ذكر جوزيف :((ظلت معظم الكنائس والاديرة فارغة بعد جلاء المسلمين ... وان معظم اموال الكنائس التابعة لهذه الاسقفيات قد الت الى رجال لا صلة لهم بالدين...))(٣).

وهذا الامر يبرهن على ان المسلمين مارسوا سياسة العدالة الدينية داخل البلاد المفتوحة وحافظوا على المنشات الدينية والدنيوية وبكامل محتوياتها حرصا على ابقاء البلاد كما هي وبهدف استكمال حركة معتدلة مفادها بناء الحضارة وان وجدت هذه الحضارة فاستثمارها وتطويرها نحو الافضل .

١- جوزيف رينو: الفتوحات الاسلامية، ص٢٤٠.
٢-المرجع السابق: ص.٦٢
٣-المرجع السابق، ص٦٢.

ويذكر جوزيف رينو: ((ان المعلومات التي وصلت لتؤرخ عن سلوك العرب عند دخول المغرب وفرنسا كانت قليلة ، لكن من المرجح انهم امتنعوا عن ارتكاب اعمال التدمير والتخريب هنالك))(١).

وهذا برهان قطعي على ان اعمال التدمير والتخريب التي حدثت هي سلوك لم يكن ليصدر من المسلمين الفاتحين وبشهادة المؤرخين الغربيين الذين برهنوا على براءة الفاتحين ، ولم يسئ المسلمون الفاتحون الى اسراهم ولم يعتادوا على معاملتهم تشبهاً بالحيوانات على غرار ما كان يفعل بالاسرى المسلمين الذين يؤسرون من قبل الجيش الاخر .

وقد انتشرت هذه الظاهرة في فرنسا وفي اوربا بشكل عام وان لا اصل لاي رواية تتهم المسلمين الفاتحين بانهم اول من اورد الرق والعبيد وهو ما يحدثنا عنه جوزيف نقلا عن مؤرخ غربي، فيقول((ان السكان الذين يقطنون هولندا الحالية تعودوا على بيع الاسرى ، وان هؤلاء الاسرى يوزعون فيصبحون جنودا او عبيدا وهذه العادة البعيدة عن الانسانية انتشرت في فرنسا والبلاد المجاورة...))(٢).

اما معاملة العرب بصورة عامة للرقيق ولسكان الدول الفاتحة بصورة خاصة فقد حملت انماطا مختلفة ومعنى نقيضاً لما كان يحدث في اوربا فينقل لنا جوزيف حقيقة عن أدب واخلاق المسلمين الفاتحين واخلاقهم عند فتحهم البلدان وحصولهم على الاسرى والرهائن، وعن كيفية معاملتهم فهو يقول ((واما النظام الذي وضعته الشريعة الاسلامية للرقيق فهو يضمن كرامته ويجعل وضع العبد لايختلف عن وضع الاحرار متى ظهرت كفاءته في مجال من مجالات الاعمال كالتجارة ، وان الذين تسعفهم الظروف يصبحون احراراً....))(٣).

ولقد اثرت الشريعة الاسلامية بمضمونها في تعاملها مع الاسرى والرقيق وكان المسلمون بعد كل حملة عسكرية يعمدون الى تنظيم وضعية الاستمرار والاتقان في معاملتهم.

فيورد لنا جوزيف: ((فاما الاطفال والاولاد الذين يؤسرون فانهم يربون على الاسلام وعلى اللغة العربية.

١-المرجع السابق ، ص.٨١

٢-المرجع السابق،ص.٢١٣

٣-المرجع السابق ،ص٢١٣.

وهم لايقدرون على الارتداد عن دين الاسلام ، ونسبة كبيرة منهم يصبحون جنودا ، واما الارقاء الكبار الذين تربوا في احضان المسيحية ، فانهم لايرغمون على اعتناق الاسلام))(١).

وانطلق الاسلام من مبدأ لا اكراه في الدين الامر الذي ابقى على كثير من الاسرى على دينهم حتى وان اختلطوا او دخلوا مع جيش المسلمين ، وقد احتل كثير منهم مناصب قيادية على الرغم من اختلاف الاصول الغير العربية والديانة الاسلامية.

وقد اهتم المستشرق جوزيف باظهار دافع الفتوحات الاسلامية وهو نشر الاسلام ومايسوغ ، هذا الدافع ما تم شرحه وما سيتم شرحه فيما بعد من اثر هذه الفتوحات الايجابية ولا يخفي المستشرق جوزيف ان للمسلمين الفاتحين دوافع اخرى ثانوية ككسب المال وحب المغامرة ، لكن ما يخفى على الكثيرين ان الدولة العربية الاسلامية لم تكن بحاجة الى اموال تجمع من اصقاع الارض ولا لان توجه الجيوش نحو تلك المناطق النائية ، الامر الذي ينهك من قوة الجيش الاسلامي واقتصاد الدولة العربية الاسلامية وماليته واقتصاد الدولة العربية الاسلامية، ثم استقطب الجيش الاسلامي الفاتح بما حمله من مبادئ سامية الناس جميعا.

فقد اظهر جوزيف رينو الكيفية التي دخل بها الجيش الاسلامي فرنسا فهو يقول((ومن المرجح ان يكون المسلمين قد وجهوا نداء الى الفرنسيين لدى دخولهم لاول مرة في فرنسا))(٢).

وهذه الدعوة هي اعتناق الاسلام او دفع الجزية ، قبل اعلان الحرب عليهم وهذه الدعوة تتم طبقا لاحكام القران ، وان كانت هنالك دوافع غير نشر الاسلام عند الفاتحين فهي دوافع شخصية ومحددة لااكثر والا لما طبق المسلمون احكام القران قبل دخولهم البلد وبعده ، وقد نعود مرة اخرى لنتحدث عن اسلامية التعامل مع الاسر والرق الذين وان اختلفت اجناسهم وديانتهم فانهم في سواسية في التعامل والحقوق وخصوصا عندما يتحرر الاسير، فيقول جوزيف ((ومتى تحرر العبد المسيحي اصبح عضوا في المجتمع الاسلامي له ما لجميع المسلمين من حقوق وواجبات وعليه ما عليهم ولكن الصلة تبقى وثيقة بينه وبين معتقه الذي يحمل اسمه ويقال (فلان مولى فلان) ، وهذه الكلمة تتضمن معنى عميقا من العطف والحماية والانتساب))(٣).

١- جوزيف رينو: الفتوحات الاسلامية،ص٢١٦.
٢-المرجع السابق، ص٢١٧ وما بعدها.
٣-المرجع السابق ،ص٢١٧ وما بعدها.

ويمتلك الاسير المسيحي الحظ الوافر عند اسره لدى المسلمين العرب لما يمتلكه من حقوق وامله الوفير في الحرية وهو امر يتناقض مع معاملة الاسرى المسلمين لدى المسيحيين وذلك لان الرق كان معروفا في فرنسا، والاسرى هم عبيد مدى الحياة.

ولا يمكن ان يمتلكوا أي حقوق لان قوانين اوربا تحرم التملك او تكوين جزء من ثروة شخصية ، ولا يحترم المالك عبده فله مطلق الحرية في التعذيب والمحاسبة والضرب دوان ان يؤخذ عليه شيء(١) .

اضافة الى ابقائه مكبلا بالاغلال حتى لايفر ويمنع من ابسط حقوقه كالتزوج من امة وان كانت من ملته واطفالهم يولدون عبيدا وهم يولدون من المعاشرة التي يسمح بها المالك(٢).

يورد المستشرق جوزيف لنا مقتبسات تلقي الضوء على مصير المسلمين الذين وقعوا في ايدي الفرنسيين ولم يفتديهم اخوانهم منهم ((قانون اصدره مجمع الاساقفة في طرقونة سنة ١٢٣٩، وقرار اصدره اسقف بيزيير في سنة ١٣٦٨م ، وهو يحتم على المسلمين ذكورا واناثا زيا خاصا بهم تتميز عن ملابس المسيحيين من حيث اللون والشكل معا ، ولا يغفل الى ان على المسلمين ان يدفعوا الضرائب والعشور الكنيسية مثل المسيحين ويحتم عليهم الاحتفال بالاعياد المسيحية ويعطلون اشغالهم))(٣).

وان هذه الاساليب جعلت من المسلمين يحاصرون داخل بلادهم وهو الامر الذي ساعد الغربيين على اصدار مراهنات خاصة بهم منها زيادة عدد المتنصرين خلاصاً من الاسلام .

وهذا ما يؤكده المستشرق جوزيف ان ((المسلمين المتنصرين قد ازداد عددهم بشكل كبير في فرنسا وهو الامر الذي ليس فيه حب لاعتناق النصرانية بل لاجل الخلاص من الرق وهي خدعة استعملها الكثيرون للخلاص من عبودية الرق لذلك فقد اضيفوا على النصرانية طوعا او كرها)) (٤).

١-جوزيف رينو:الفتوحات الاسلامية، ص.٢١٧

٢-المرجع السابق، ص٢٣٣

٣-المرجع السابق ، ص٢٣٥.

٤-المرجع السابق،ص٢٣٧.

وهذا هو مبدا الاكراه في الدين الذي استعمله خصوم الاسلام والفرق واضح ما بين الدين الاسلامي واي دين اخر وشهادة المستشرق جوزيف واضحة حين يوضح انه لايخفى على الكثيرين ان عدد المسيحين الذين اسلموا دون أي وازع سوى حب الشريعة الاسلامية السمحاء كان عددهم اكبر، وان سياسة المسلمين لدخول تلك البلاد كانت سياسية ثابتة ومحفزة خصوصا للبلاد التي دخلوها واستقروا فيها بشكل ثابت، وانهم وضعوا دستورا ثابتا عند فتحهم لاي بلد، كانوا ينصبون حاكما مسيحيا لحكم البلاد المسيحية وكانوا يطلقون عليه لقب كونت وهو معترف به في اوربا والدولة العربية الاسلامية وهذا شان البلاد كافة التي خضعت لسلطان المسلمين وليس فقط فرنسا(١).

فنجد جوزيف رينو يورد لنا مرسوماً اصدره العامل العربي على (قلمرية) (Coimbre) نستدل به على حكم المسلمين للبرتغال الذي كان يقوم على اسس مماثلة وفيما يلي نص هذا المرسوم((سيولى على المسيحيون في قلمرية كونت خاص ليدير امورهم ويحكم بينهم بالعدل والسداد ، وعلى الطريقة التي تعود المسيحين ان يحكموا بها في الماضي.

ويكون من صلاحيات الكونت فض النزاعات بينهم ، لكنه لا يستطيع ان يصدر حكما على احد بالقتل الا بعد موافقة قاضي المسلمين واذا اصدر مثل هذه الحكم يقدم الجاني امام القاضي ويقرووا عليه نص القانون المسيحي الذي يعالج القضية ، واذا وافق القاضي ينفذ الحكم))(٢).

وكذلك ((كان لكل مدينة صغيرة قاضٍ خاص بها يحكم فيها بالعدل ويعمل لمنع وقوع الخصومات ومتى اعتدى مسيحي على مسلم يحاكم طبقا لاحكام الشريعة الاسلامية ومتى اعتدى مسيحي على شرف مسلمة اضطر الى اعتناق الاسلام والزواج منها ، فاذا رفض قتل، واذا كانت المراة متزوجة حكم على المسيحي بالموت دون رجعة))(٣).

وبهذه الكيفية صنع النظام الاداري داخل البلدان المفتوحة والتي خضعت لسلطان المسلمين.

١-المرجع السابق، ص٢٣٨-٢٣٩.

٢-قد يلاحظ ان احكام الاسلام تطبق على المسيحي وعلى المسلم وهذه حماية الاسلام وفيما يخص مرسوم عامل مدينة قلمرية فقد ظل محفوظا في ((دير لوربان)) ، وقد نشر لاول مرة في الكتاب المعنون ((Manarchia Lusytana, lisbonne, 1609,Part II, P.288-287)) ينظر : جوزيف رينو : الفوحات الاسلامية، ص٢٣٩.

٣-المرجع السابق، ص٢٤٠.

وبخصوص الادارة الدينية فقد وصفها جوزيف بان المسلمين احترموا ديانة البلد المفتوح وتركوا لاهلها كنائسهم لممارسة طقوسهم الدينية بحرية كاملة ، كما تركوا لهم رجال الدين الذين يقومون على حرمتها(١).

اذن كل ما كتب ضد المسلمين الفاتحين فهو ليس من صنعهم أي ان المسلمين الفاتحين عاملوا جميع السكان في البلاد المفتوحة بسواسية وان مسالة انحراف تعامل المسلمين الفاتحين مع الديانات الاخرى قد تبدل عن مساره الاسلامي فهو امر غير مصدق به وخصوصا ما يخص استيلاء المسلمين على الكنائس الكبيرة وقتل الرهبان والقساوسة وتحويل الكنائس الى مساجد والاستيلاء على متحوياتها، فقد اورد لنا جوزيف مقطعا من سيرة لويس لو ديبونير لكاتب مجهول ((انه عندما استولى الفرنسيون على برشلونة واخذوها من المسلمين سنة ٨٠٢م، كان اول ما فعله لويس انه قصد كنيسة الصليب المقدس ليصلي ويشكر الله على النصر وقد كانت هذه الكنيسة كتدرائية))(٢).

وهذا دليل على ان المسلمين حافظوا على كنائس المسيحيين الكبيرة في برشلونة وبالتالي بقساوستها ورهبانها ، فضلا عما يصفه جوزيف عن سماحة المسلمين وبشكل اكبر يقول ((ان عدد الكنائس التي تركت للمسيحيين " تحت حكم المسلمين " قد تجددت عند الفتح ... وكان مسموحا لهم باصلاح الكنائس القديمة وترميمها))(٣).

هذا ما فعله الفتح الاسلامي لكن ما تركه كان اكبر، لقد كان للفتح الاسلامي انجازاته المرضية والتي لم تتوقف بل ازدهرت ومنها الحج والتجارة فقد كان لتامين طرق المواصلات والتجارة الاثر البالغ في ازدهارهما ، فنجد ان الحجاج المسيحيين لم يتوقفوا عن زيارة بيت المقدس .

وكذلك تجار المسيحيون الذين يقصدون بلدان الشرق لغرض التجارة في مصر وسوريا خصوصا وانهم يتجولون في بلدان الشرق بحرية كاملة(٤).

١- جوزيف رينو، الفتوحات الاسلامية، ص.٢٤٠
٢- المرجع السابق، ص.٢٤١
٣-المرجع السابق نفسه، ص٢٤٢.
٤- المرجع السابق،ص٢٤٧.

ولم يقتصر الازدهار على الحج والتجارة وانما كان هناك ازدهار في العلوم والفنون ومما لاشك فيه ان فتح المسلمين للاندلس وبلاد الغرب وصولا الى فرنسا وسويسرا كان فتحاً سجل كصفحة عامرة في تاريخ الغرب ، تقدم فيها العرب بشكل منقطع النظير ومما لاشك فيه ان مسلمي الاندلس وصقلية وافريقيا الشمالية كانوا اكثر تقدما وازدهارا في العلم من سكان فرنسا وسويسرا ، وذلك لكون هذه المناطق عاشت فترات طويلة من الفوضى والتخلف والحكم المتذبذب الذي استمر عهوداً طويلة وقد كان ما حصل يوصف بانه معجزات حققتها الحضارة الاسلامية في الاندلس وانتهاءً بفرنسا ، فنجد عظمة العمارة في كل مكان وضع المسلمون فيه لمساتهم الاصيلة وتركت اثارها(١).

ففي قرطبة من ذا الذي لم يشهد عظمة مسجد قرطبة ، وبخصوص مسجد قرطبة الشهير كان قد شيد بجانب كنيسة (شنت بنجنت) واشترى المسلمون جزءا منها وشيدوا مسجدهم(٢).

ويضيف المستشرق جوزيف ان ما شيده المسلمون من جسور وما شقوه من انهار وقنوات لري الارض شيئ عظيم فضلا عن ابداعهم في العلوم التي تقوم عليها دعائم الحضارة، فقد نقل العرب الفاتحون ذخائر علوم الأولين وكنوزهم للبلاد المفتوحة ونقلوا ما ترجموه من كتب ارسطو وابقراط واضافوا مساهمات ثمينة الى ما اكتشفه الاولون، واستطاع عدد صغير من الفرنسيين الاغتراف من معين الثقافة والعلوم العربية في الاندلس في الوقت التي ظلت الجماهير غارقة في ظلمات الجهالة في فرنسا (٣).

وعرفت فرنسا بفضل الفتح الاسلامي انواع المزروعات فعرفت زراعة القمح الاسود، الذي يسمى قمح السازارين والذي يمثل اهم المنتجات الزراعية في القرن التاسع وادخل كعلف وسماد ، وكذلك وبفضل العرب تم استغلال شجر البلوط الذي عد ثروة اساسية للبلاد ، واهتم العرب باستخراج القطران من اشجار الصنوبر والارز وكانوا يحولونه الى زفت ويستعملونه لصبغ المراكب(٤).

١--المرجع السابق ، ص.٢٥١
٢-ينظر: عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس،(بيروت-١٩٦٢)،ص.٨٩
٣-جوزيف رينو، الفتوحات الاسلامية،ص٢٥١.

٤-المرجع السابق، ص٢٥٥.

وكان للعرب الاثر البالغ في تحسين سلالة الخيول في جنوب فرنسا وازدهار التجارة البحرية لتلك المناطق ، وقد كان للعرب اسطول يرسو في اقصى خليج سانتروبيز ويضمن مواصلاتهم البحرية(١).

ويوضح جوزيف((ان المسلمين لم يحدثوا خرابا او تدميرا اذا ما قورن بالخراب الذي احدثه النورمانديون والهنغاريون ، وان الذي اثر في نفوس الناس ليس هذا الخراب وانما عظمة الفكر الاسلامي وقوة المسلمين واتساع افاق فتوحاتهم، وقد بلغ تقدير المسيحيين انجازات المسلمين بانهم وضعوهم في مستوى عظمة الرومان الى درجة يختلط معها الامتنان في اذهان بعضهم))(٢) .

ويضيف جوزيف ((ان الراي العام يعزو الى العرب كل ما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية ، وان مدينته اورانج (Orange) التي لاتزال خرائب الابنية الرومانية الضخمة قائمة فيها هي من بناء الرومان ، ولكن قصيدة مخطوطة تشيد هذه الاثار وتعزوها الى العرب ، والامر كذلك بالنسبة الى اسوار مدينة فيين في مقاطعة دوفيني))(٣).

ويذكر جوزيف((ان الفتوحات الاسلامية كانت تكتسي طابعا من الجلال والعظمة بحيث لايمكن ان يقرا انسان اخبارها او يسمع رواياتها دون ان تهتز نفسه لها ، وعلى عكس النورمانديين والهنغاريين ، كان المسلمون اجيالا طويلة في طليعة قافلة الحضارة في العالم ، وكانوا يظهرون في حروبهم بسالة واستماتة تزيد من عظمة ذكراهم في نفوس الناس ....وتاثير روايات الفروسية والتي استقت عناصرها الاولى في الاندلس ، والتي لايزال اثرها في النفوس....))(٤).

ويذكر المستشرق جوزيف ان اخلاق المسلمين قد حملت بين طياتها اخلاق المحاربين السامية ودروسا في اللطف والادب والشجاعة، واصبح العرب هم الاوائل بحمل لواء السلوك الحميد والرفيع الى درجة جعلت من الامة المسيحية تحتقر تاريخها الوطني الذي يمكن ان لا يضعهم في طريق البحث عن الحقيقة(٥) .

١- حوزيف رينو، الفتوحات الاسلامية، ص.٢٥٦
٢- المرجع السابق، ص.٢٦٤
٣-المرجع السابق ، ص.٢٦٤

٤- المرجع السابق ،ص٢٦٥.
٥- المرجع السابق، ص٢٦٥.

الفصل الثالث:الاراء الموضوعية في كتابات المستشرقين

المبحث الاول: اراء جوزيف رينو وموريس لومباروزيغريد هونكه وغوستاف لوبون

لقد تاكد لنا من خلال تحليل راي المستشرق جوزيف عن الفتح الاسلامي ان اسباب الفتح الاسلامي واثاره كانت ايجابية وانه مهما قيل عن الفتح الاسلامي انه كان ذا تاثير سلبي ودوافعه غير علمية وانسانية ، فهي مغالطة، فقد تبين ان عملية الفتح العربي الاسلامي كانت جذوة تضيء ولا تنطفيء لما حملته من حضارة عبرت عنها بدين وفنون وعلوم وعمارة وادب ولغة انتشرت في جميع انحاء العالم وكان الاعتراف بجميل صنائعنا من قبل الغرب والامتنان لجمال خلقنا العربي والانبهار بحضارتنا هي اكبر حقيقة نقف عندها .

راي موريس لومبار في الفتوحات الاسلامية:

لقد حرص موريس على القول ((ان الفتوحات هي من صنع عرب الجزيرة العربية البدو الجمالة الذين سيشكلون فيما بعد القوة العسكرية الاولى للاسلام ، لقد كان دور هؤلاء الفاتحين التاريخي عظيما وهو ان يبنوا محيطا سياسيا ودينيا واسعا وان يوحدوا في امبراطورية كبرى اراضي متباعدة وشعوبا مختلفة ثم يتلاشوا وينصهروا في الشعوب القديمة التي خضعت لهم ، بينما تواصلت مجتمعات الشرق التقليدية نشاطها بلا انقطاع في ظل الخلافة والاسلام))(١).

تقدم لنا موريس لومبار بتمهيد جميل فيه الحقيقة العالية وهي ان الفتوحات الاسلامية ، من صنع العرب الذين كانوا يحملون في كل بقعة يفتحونها فضلا كبيرا على شعوب البلدان المفتوحة وكذلك اوربا ، فقد استطاع الفاتحون الامتزاج مع تلك الشعوب والاختلاط بهم اختلاطا يصعب على الشاهد التميز من هو الفاتح من غيره من ابناء الشعب الاصلي.

وهذا رسم واضح على ان السياسة الاسلامية المرسومة لدى الفاتحين قد طبقت دون ادنى شك من عدالة وتسامح اضافة الى قبول الناس الدين الجديد بكل مبادئه دون خوف او وجل.

وهو ما ترجم بتواصل نشاط هذه الشعوب دون انقطاع وممارسة تقاليدها وشعائرها الدينية في ظل الخلافة العربية الاسلامية ، وقد كان للفتح الاسلامي مميزاته التي لم يستطع احد نكرانها من خلال ما تركه من نهضة اقتصادية ونجاح سياسي واجتماعي.

ويضيف موريس ((لقد ترجم الفتح سياسيا ببناء ملك واسع وهو الدولة الاسلامية التي كانت الخلافة رمزا لها ، ومن الناحية الدينية تم غرس الاسلام الدين المستمد من القران الكريم الموحى به الى محمد (ﷺ)، ومن الناحية اللغوية كان من اثره انتشار اللغة العربية ، واخيرا من الناحية الاقتصادية كان قيام اتحاد واسع الرقعة بين مجموع من الاراضي المتباعدة وهو النتيجة الاساسية لهذه الظاهرة التاريخية)) (٢).

١-موريس لومبار: الاسلام في فجر عظمته،ترجمة حسين العودات (دمشق- ١٩٧٩)،ص.٨
٢-المرجع السابق،ص٩.

ولقد كان للعرب الفرص المؤاتية ليستقبلوا كمحررين من قبل السكان القدماء للعالم السامي في سوريا وما بين النهرين ومصر، فضلا عن القرابة العرقية واللغوية التي تربط بعضا من هذه الشعوب بالعرب والتي كانت تخضع منذ زمن طويل لروما ثم بيزنطة في الغرب والى الامبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق، ولقد كانت هذه الشعوب بحالة انتفاضة دائمة ضد الادارة القسطنطينية والمدائن(١).

يحدثنا المستشرق لومبار ان الفتح الاسلامي جاء لهذه الشعوب مخلصا لها من قوة استعبادية تمثلت بالدولة الساسانية والبيزنطنية ، وان هذه الشعوب فتحت اذرعها للمسلمين لتحريرهم من هذه القوى نظرا لما عرف عن عدالة الدين الاسلامي وحضارته فاستطاع وبسهولة نشر الدين الاسلامي بكل مبادئه ساعده بذلك بعض اواصر القربى التي تربط ابناء تلك الشعوب ، فضلا عن حالة الارباك والفوضى التي تعيشها تلك البلدان ، كذلك اختلاف معتقدات السلطات الحاكمة ومذاهبهم الدينية فالنسطورية واليعقوبية تتعارضان مع الارثوذكسية في ظل الدولة البيزنطية، اما الدولة الساسانية فقد تطورت المانوية والمسيحية واليهودية وكلها معتقدات موجهة ضد المزدكية .

لقد حل الدين الاسلامي محل هذه الاديان بميزاته العالية والعالمية من مساواة وعدالة والنظرة التي حملها بانه دين تمدن وحضارة وتسامح بين فئات البشر كافة ، لذلك اندفع الفتح لما حمله بكل تلك العبر نحو السهولة في اجتياحه لكل تلك الاراضي والمدن .

فيقول لورنس ((لقد دفع التطلع الى النظام والسلام الذين - حملهم الاسلام- الى سكان المدن دفعهم الى الانظمام الى الفاتح الذي ينتظرون منه حماية ضد الفوضى والنهب))(٢).

ويضيف موريس((لقد تميزت علاقات الفتح الاسلامي مع سكان البلدان المفتوحة في كل الحالات بتسامح الفاتحين وبعدهم عن التعصب الديني ...... وهكذا فلا اكراه ولا اضطهاد، بل كان مطلبهم الوحيد هو النظام الضريبي فمعاهدة استلام مبرمة حسب الاصول مع السلطات الدينية كانت تضمن مقابل جباية الضريبة على يد الوجهاء في سائر التجمعات حرية العبادة ومتابعة النشاط الاقتصادي))(٣).

١- موريس لومبار: الاسلام في فجر عظمته، ص٩-١٠
٢-المرجع السابق،ص١٠.
٣-المرجع السابق ، ص١٠.

لقد اظهر المستشرق لورنس لومبار رايه المتناقض المتوجه نحو الفتوحات الاسلامية واصفا اياها ان الفتوحات تميزت بسماحة دينية دافعها ليس خالصا لوجه الله او التطميع بذلك الدين ، بل كانت فتوحاتهم هي فتوحات طامعة بجمع الضريبة او الجزية التي تفرضها على سكان البلاد ، وهذا يعني غياب الهدف الأساسي من تلك الفتوحات وهي نشر العقيدة الاسلامية ومبدا التوحد بين سكان البلاد المفتوحة ، ذاكرا فضل الاسلام في حمل مبادئه (لااكراه في الدين) ، واضعا إياها بموضوع الشك والريبة.

اما نظام الجزية او الضريبة فهي اموال كانت تؤخذ مقابل تامين وحماية وسلامة سكان البلاد المفتوحة والدفاع عنها عند الحاجة ، لذلك كان لازما توفير الحاميات والجيش لحماية البلاد المفتوحة وهذا امر يتطلب المال من كل بلد الذي كان يراعي في جمعه كل الظروف ليكون استحصاله بناء على تطبيق مبادئ الاسلام الحنيفة .

و يشير الى ان الفتح الاسلامي كان سببا في بناء الحضارات لكل شعب وتطور مستمر ولم يرافقه اي تغيير سلبي بل ابقى شؤون الدولة دون التعرض لها وطورها بحسب ما تمليه عليه مبادئ الاسلام .

فهو يضيف ((لقد كان الفتح سريعا جدا وتم دون انقطاع او فواصل بل استمرت الحالة السابقة على حالها في كل المجالات : المؤسسات ، آلة الدولة، موظفو الادارة ، اصول التقاضي، المكاتب والضرائب واخيرا العملات))(١).

وهذا الامر يشير الى ان الفتح الاسلامي كان فتحا تحريرياً وليس احتلالاً لانه اسهم في تطوير سكان البلاد المفتوحة من خلال الابقاء على مؤسساتهم ولم يكن حاملا على التخريب والتدمير او تخلف البلاد، فقد اسهم بنمو طردي في اقتصاد البلاد المفتوحة بتطويره شبكة التجارة وتوفير حالات الامن والعدالة القضائية.

ويضيف موريس((لم يترافق مع الفتح أي تخريب مطلقا فلم تحرق المدن ولم تنهب مطلقا ولم يكن هناك اختلال بالنظام))(٢).

١-موريس لومبار: الاسلام، ص١٠.
٢-المرجع السابق، ص١١.

وهذه الاشارة الى ان الفاتحين لم يتجاوزوا على المدن ولم يستبيحوها ، كما وصفهم بعض المستشرقين وان دورهم ومؤسساتهم وكنائسهم لم تعرف النهب مطلقا ، لان المسلمين لم يكونوا بحاجة الى مثل هذه الافعال خصوصا وان مبادئهم واضحة وهذا ما عرفه سكان البلاد المفتوحة حتى قبل ان تطأ اقدام المسلمين تلك الاراضي من خلال دعوات الفاتحين وانذارهم قبل ان يفتحوا تلك البلاد ومعاهدات السلام التي جرت من قبل مع غيرهم من البلدان.

لقد كانت لسياسة العدالة والتسامح التي تميز بها الدين الاسلامي والتي استطاع من خلالها ان يبني اساساً من التعاون مع سكان البلاد المفتوحة الذين أمدوهم بكل لوازم الحضارة المتالقة فيقول((لقد امد سكان البلاد المفتوحة الادارة بكل ملاكاتها العدة الذهنية للشعوب المتمدنة ولعب الذين اعتنقوا الاسلام من المسيحيين واليهود الذين كانوا يسمونهم الموالي لقد لعبوا دورا حاسما في تهيئة هذه الحضارة التوفيقية التي هي الحضارة الاسلامية))(١).

وهذه شهادة على ان تلك الحضارة التي انشئت ، قد شارك غير العرب من ابناء شعوب الشرق القديم المتمرسين بالتقنية الثقافية في تدوين قواعد اللغة العربية وحتى في تدوين النص النهائي للقران، وهذا يبرهن بعد العرب عن العنصرية الدينية وسماحتهم مع الشعوب بحيث انهم لم يفرقوا في تعاملهم ووصول هؤلاء الموالي الى المناصب العالية ساعد على ايضاح الرونق الحقيقي للمعاملة الاسلامية داخل البلدان المفتوحة ، وهذه المعاملة التي اصبحت اساساً وقانوناً يجري بين جميع المدن.

فيقول لومبار((وهكذا تصرف الشرق الاسلامي أي الاراضي الساسانية القديمة (بين النهرين وايران) والبيزنطية (سوريا ومصر) كبوتقة حضارية تركيبة شملت فيما بعد مجموع الملك الاسلامي اضافة الى اسيا الوسطى.

وان القسم الشرقي من هذا العالم أي الاراضي البيزنطية والساسانية القديمة كان لها (أي الفتح الاسلامي) حركة استمرارية لكنها معززة وان شئنا اعتبرناه انطلاقة))(١).

اما الفتح بالنسبة للقسم الغربي شمال افريقيا (تونس وشرق الجزائر) ، اضافة الى المغرب الاقصى وهي بلاد البربر واسبانيا وصقلية.

١-موريس لومبار: الاسلام، ص.١١
٢-موريس لومبار: الاسلام، ص١١.

فيصف لومبار الفتح الاسلامي للقسم الغربي ((بانه تجددا حقيقيا فقد استانف الغرب التماس بالحضارات الشرقية ، وعبرها بالحركات العالمية الكبرى للتجارة والثقافة بفضل الفتح الاسلامي في حين ان الغزوات البربرية الكبرى في القرنين الرابع والخامس ادت الى التقهقر الاقتصادي للغرب الميروفنجي ثم الكارولنجي ، وقد جلب قيام الامبرطورية الاسلامية الجديدة لهذا الغرب نفسه تطورا مدهشا ، واذا كانت الغزوات الجرمانية قد عجلت بانحطاط الغرب ، فان الفتوحات الاسلامية كانت حافزا على انطلاق حضارته، وباختصار فان القضية المطروحة في الغرب والمتعلقة بوصول البرابرة وباستمرار الاقتصاد او تقهقره' يجب ان تحسم ، وفي حالة الفتح العربي وعلى امتداد الملك العربي الاسلامي يجب حسمها بالتاكيد على انه لم يحصل قط انقطاع ، بل ادى الى انطلاقة عظيمة))(١).

واشار موريس بتقدم الفتح الاسلامي باعمال كبرى فلقد قدمت موانئ كبيرة الى العالم الاسلامي، سفنها وترساناتها وسكانها المدربين على اعمال البحر ، وكان هنالك ثلاث مجموعات واسعة للتجارة تهيئت بفضل الفتح ، فكانت الملاحة في الخليج والبحر الاحمر التي فتحها الملاحة العرب باتجاه المحيط الهندي وموانئ الكتلة السورية المصرية، لقد ساعد الفتح الاسلامي على دخول موانئ كبيرة الى العالم الاسلامي كان لها الاثر البالغ برفع الاقتصاد للبلاد المفتوحة التابعة للدولة العربية الاسلامية والدول المحيطة بها.

لذلك اظهر الفتح الاسلامي ثلاث مجموعات تجارية واسعة اصبحت على درجة عالية من الاهمية فموانئ صقلية وجبل طارق اصبح بفضل الاسلام موقعا مفتوحاً على طرق التجارة الكبرى التي ساعدت بدورها على استمرار الفتح الاسلامي ونشر الدعوة الاسلامية(٢).

ولم يكن بالامر السهل او الهين السيطرة على طرق التجارة هذا الامر الذي لم يكن نابعا من طمع الدولة الاسلامية او حب توسع وسيطرة فيقول لومبار ((وهكذا تظهر لنا قيم موقع العالم الاسلامي في مركز العالم القديم ولم يكن الاسلام حضارة مفاجئة سقطت من كوكب اخر ، بل هو جزء متلاحم في تاريخ المناطق المحيطة بمهده،

١- موريس لومبار، الاسلام، ص١٢.
٢- موريس لومبار، الاسلام، ص١٦ وما بعدها.

والتي انتشر فيها الاسلام كثيرا او قليلاً، فبالنسبة الى العالم الاسود من بلاد السود وحتى شاطئ افريقيا الشرقي كان ظهور الاسلام من السمات الكبرى لتاريخ افريقيا الحديث.... وفي اسيا الوسطى خضع العالم التركي والصين بدورهما للتاثير نفسه واصبح هؤلاء اساسا لدخول الاسلام الى الصين التي تضم اليوم ٣٠ مليون مسلم))(١).

لقد استطاع الاسلام ان يترك بصماته بعد الفتح سواء دينيا وهي الدخول في الاسلام وهي الغاية المبتغاة ، ومن الناحية التجارية تشهد النقود المكتشفة في هذه الافاق التي كانت ينبوعا لتيارات التبادل النشيطة ، لقد شهد الفتح الاسلامي اقامة حضارات بفضل ما نقل من حضارة الاسلام والفتح الذي حمل كل ايجابياته معه للتبرير بحكمة وعدالة الرسالة السماوية وعدالتها وانما لانها حملت مفاهيم تحدث انطلاقة وحضارة عند وجودها .

لقد كان للفتوحات الاثر البالغ في انتشار وهجرة اعداد قليلة من الناس وهجرتهم على شكل جماعات دينية في النقاط الستراتيجية للتجارة الكبرى، لقد تكاثرت هذه المجموعات الصغيرة بفضل القادمين الجدد مندفعة الى الامام .

تبحث وتقيم مراكز وراءها بمواقع مضمونة تقيم معها علاقات تتراوح وثوقا ورخاوة تنقطع تارة وتتواصل تارة اخرى بسبب الخلافات الدينية ، وقد ادت هذه الاوضاع الى نشوء الجاليات اليهودية والجماعات النسطورية الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية ، والذين كان لهم اثر في نشر اللغة العربية وتوسيع التجارة وتطويرها.

لقد حقق الفتح الاسلامي اهدافه سواء على صعيد التجارة والسياسة والثقافة وقد كان له نتائج واثار واضحة تجلت بنشر عظمته الى باقي البلدان وتخليده ضمن الحضارات العالمية.

١-موريس لومبار، الاسلام ، ص١٧ وما بعدها.

راي المستشرقة زيغريد هونكه في الفتوحات الاسلامية:

تطرقت المتشرقة الالمانية زيغريد هونكه الى موضوع الفتوحات الاسلامية للمغرب العربي ، أي خلال عصر الدولة الاموية ، فهي تصف هؤلاء الفاتحين بانهم ابناء الصحراء الجرداء قد حولوا باخلاقهم ومبادئهم الكثير من الثوابت وعاصروا الكثير من المتغيرات وطغت حضارتهم التي نقلوها الى البلاد بمبادئهم السامية على الكثير من حضارات الغرب والشرق فهي تقول: ((ان انتصارات العرب وفتوحاتهم التي لا تقارن قد خلقت لهم عالما ثبت اقدامهم ، فخلقوا بذلك اخر موجه قوية للهجرة عبر حدود الصحراء الى البلاد الخصبة المجاورة٠٠٠))(١).

انه الاعتراف بان تلك الموجات القوية كانت فتحا وليس احتلالاً لانها صنعت تاريخاً لتلك المدن والبلدان وان الفتح الاسلامي افاض بالكثير من الفوائد والايجابيات على تلك البلدان وهو ما سنتطرق اليه فيما بعد.

والمستشرقة تضيف ان هذا الفتح الاسلامي كان خلاقاً بمعنى الكلمة فهي تصفه كالشمس التي اشرقت ظلمات الغرب لتفتح باب التاريخ العلمي والثقافي الاسلامي ورفع الظلم عن الشعوب المظلومة(٢).

فهي تصف فتح الاندلس ودخول المسلمين اوربا بقوله : ((في عام ٧١١م، وبينما راية الاسلام ترتفع في بلاد الهندوس هاجم المسلمون امبراطورية القوط الغربيين في اسبانيا.
وبرغم تفوق اعدائهم العددي فقد استبسلوا- أي المسلمين-، في القتال وفتح الحقد على سالب العرش"رودريك" والمقاومة الدائمة للعبودية الماثلة في ايام الرومان على باب اسبانيا الذي فتح على مصراعيه للعرب، وبعد مقاومة بسيطة احتلوا ناربونه عام ٧٢٠م، ونيمية وقرقشون عام ٧٢٥م، وتقدموا باتجاه الرون وبودرو، ولم يقف امام توسعهم في القارة الاوربية الاشارل مارتل الذي هزمهم في تور بواتيه ، بيد انه لم يستطع ان يطردهم نهائيا من الامبراطورية ، فلقد بقي العرب في ولايات الالب الغربية حين بذرو بذور حضارتهم ما يقرب مئة عام .

١-زيكريد هونكه:شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، (بيروت-٩٨٢).ص٣٥٥.
٢-المرجع السابق،ص٣٥٧.

بل انهم تقدموا في منتصف القرن العاشر في انجادين بعد ان استنجد بهم هوجو ملك لومبارديا، وما زالت قنطرة بونترزينا (Pontresina)،هناك اثر بين لهؤلاء القوم المبدعين))(١).

ان فتح المسلمين لتلك البلاد لم يكن احتلالاً لان ما اشارت اليه هونكه ان تلك الشعوب كانت تعاني من نير العبودية في ظل ما يسميه الغرب بالحضارة الرومانية التي لا تحمل أي درجة من الحضارة وان اسس العدالة التي منحها الاسلام احاطت تلك الشعوب بهالة حقيقيةللتهيؤ لاستقبال الحضارة الاسلامية وان اصالة الحضارة الاسلامية استمرت اكثر من مئة سنة في جنوب فرنسا (الارض الكبرى) (٢).

وقد رسم العرب الفاتحين ابداعاتهم واعطوا علومهم وثقافاتهم الاسلامية التي استمرت لحد الان، وتضيف هونكه ((ان الفتح الاسلامي استمر يطرق ولمدة قرنين على ابواب ايطاليا بقوة ونجاح محاولة لسقوط روما " الام المريضة حسب وصف هونكه" ، ودمجها بالتيار الحضاري الاسلامي كما هي اسبانيا ليدخل المسلمون الفاتحون صقلية وظلوا يهددون روما والبندقية وظل المسلمون الفاتحون هم سادة جنوب ايطاليا وجميع الجزائر غربي البحر المتوسط الذي اصبح جزيرة عربية))(٣).

ان هذه الفتوحات لم تكن بقوة السيف والارهاب ولا بالتفوق العددي والتخريب بل كان فتحا منظما ابتدا بتعاليم الاسلام وانتهى ببناء حضارة عربية اسلامية .

وبناءًً على ذلك تقول هونكه: ((ولعل من اهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم وان هؤلاء المنتصرين لاياتون كمخربين ، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ان هو الا مجرد اسطورة من نسج الخيال تكذبها الاف الادلة القاطعة عن تسامحهم وانسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال الا عددا ضئيلا من الشعوب التي عاملت خصومها المخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب .

١-زيكريد هونكه:شمس العرب تسطع على الغرب، ص.٣٥٧
٢-المرجع السابق، ص.٣٥٧
٣-المرجع السابق ، ص٣٥٧.

وقد كان لمسلكهم هذا اطيب الاثر مما اتاح للحضارة العربية ان تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تخط به الحضارة الاغريقية ببريقها الزائف، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض ارادتها بالقوة))(١).

لم يتعامل الفتح الاسلامي مع تلك الشعوب باي نوع من انواع التعصب او التعسف او القهر بل كانت مبادئ الحرية والمسامحة في كل شيء والتي ابتدات من الشعائر الدينية وحرية العبادة والمعتقد وانتهت بالتنظيم الحضاري لتلك الشعوب المتراكمة والمزيج بهيئتها وتكوينها ، وان هذه المبادئ احدى العوامل الاساسية التي تغلغل بها الدين الاسلامي لتلك الشعوب المقهورة تحت لواء الاغريق والرومان(٢).

وتضيف هونكه ان تلك الخصائل العظيمة ذات الميزة العالمية التي حظي بها الغرب من قبل الفاتحين العرب ابقت وهج الحضارة العربية الاسلامية ساطعا حتى وان حدث أي خلل عابر او غير عابر على الدولة الاسلامية وهذا الشيء عائد الى ديانة التوحيد والاخلاص في نشر الدين الاسلامي ومبادئ الدين الحنيف فهي تقول: ((صحيح ان هذه الامبراطورية العربية قد انقسمت بعد مدة وجيزة من الزمن الى دويلات ، لكن ذلك لم يمنع الحضارة العربية ذات المحتوى الخاص والمعالم المميزة من ان تفرض سيطرتها على تلك الشعوب المتباينة في مصر واسبانيا وغيرها، اوليست هذه معجزة تضاف الى المعجزات التي حققها العرب))(٣).

ان الفتح الاسلامي قدم للغرب ما يستحق العرفان ولقرون طويلة للمسلمين ، وان كثيرا من تلك الشعوب تم فتحها عن طريق الاثر العلمي والثقافي العربي ، فقد فتحت هذه المدن ابوابها على مصراعيها مستقبلة الفاتحين لما حملوه معهم من ابداع، وهذا ما يرتسم لنا في اسبانيا واوربا وتصل هونكه الى ان فتح تلك البلدان كان فتحا سلمياً مهما حدثت من معارك من قلائل المقاومة انذاك، لكن يبقى فتحا بعيدا عن السيف والارهاب فقد اتسعت رقعة هؤلاء الفاتحين باخلاقهم وعلومهم ودينهم الذي ايد فكرة (التسامح الديني) وان هدف هؤلاء هو نشر الدين الاسلامي لذلك فان مسالة اجبار هؤلاء الشعوب على الدخول في ذلك الدين فانه امر لم يورد له أي درجة من الصحة(٤).

١-زيكريد هونكه:شمس العرب تسطع على الغرب، ص.٣٥٨
٢-المرجع السابق ،ص.٣٥٨
٣-المرجع السابق، ص٣٥٨.
٤-المرجع السابق،ص٣٥٨.

وتضيف هونكه: ((لقد كانت تلك الشعوب وحضارتها في خريف العمر ولم يكن بالامكان وقف انهيارها...ولو لم يخلق ابناء الصحراء في زمن وجيز من هذه البقعة الباقية من بصيص النور الواهن المشرف على نهايته شعلة وضاءة ، لادركت تلك الحضارات نهايتها الحتمية ولو لم يحدث ذلك للبقية الباقية من حضارات شمالي البحر المتوسط دون ان تكون له مثل النتيجة التي كانت لتدخل العرب ، بل العكس يمكن القول بانه كان من نتيجته حلول الظلام الدامس على تلك الربوع وترعرع الجهالة الحمقاء فيها))(١).

اذن اوربا يجب ان تكون ممتنة من حالة الفتح الاسلامي لها اذ غير صورة العالم بعد اضمحلال وغرق في اساطير الجهالة والظلمات وان ساحات القتال لم تكن الا فرضية خاطئة فرضت على هذا الفتح وتحدثنا هونكه عن فتح هؤلاء المنتصرين الذي اختلف عن منهج أي فاتح اخر فاسلوب التسامح في الدين طغى على تعاملهم وحياتهم في مبدا (لا اكراه في الدين) وهذا ما امر به القران الكريم والرسول الاعظم (ﷺ) ، فهي تقول: ((ذلك لان العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الدين ، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود، الذين لاقوا قبل الاسلام ابشع انواع التعصب الديني وافظعها ، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة الشعائر التي تخص دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم واديرتهم وكهنتهم واحبارهم دون ان يمسوهم بادنى اذى))(٢).

وادت ميزة التسامح والاخلاق السامية الى جعل الناس يفهمون ان هدف هؤلاء الفاتحين ترسيخ العقيدة الاسلامية عن اقتناع داخل الكيان البشري وليس الهدف الدخول السطحي لذلك الدين ، دون الاحاطة باهميته وعظمته لذلك فان هؤلاء الفاتحين جعلوا هذا الدين يمر وبسلاسة الى عقول البشر دون ان يتدخلوا في شؤونهم.

فتقول هونكه عن رسالة كتبها بطريرك بيت المقدس الى اخيه بطريرك القسطنطنية عن العرب في القرن التاسع ((انهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لايستخدمون معنا أي عنف))(٣).

١-المرجع السابق ،ص.٣٥٨
٢-المرجع السابق، ص٣٦٤.
٣-المرجع السابق ، ص٣١٥.

وكذلك ((لقد اعطى العرب لمن يعتنقون الاسلام من شعوب البلدان التي فتحوها حرية الديانة وحريتهم كمواطنين ما داموا يؤدون فقط ضريبة الراس ، ويطيعون حكامهم ... وليس لجعلهم انداداً))(١).

وهذا يؤكد ان أي محاولة تعسفية او اجبارية للدخول في هذا الدين يجعل في الشعوب انداداً وليسوا مناصرين وهو امر رفضه' الدين الاسلامي الحنيف.

ولابد من القاء الضوء على نقطة مهمة، ان حكم المسلمين لتلك البلاد هو لنشر العقيدة الاسلامية ونشر العدل والسلام ومما ساعد على بناء حضارة متالقة عربية في تلك المناطق.

ولم يكن العرب بحاجة الى حكم شعوب كانت محكومة سابقا لانها لاتحتاج الى فرض دينها عن طريق الحكم بالقوة وانما فرضت سيادتها للاهتمام بشؤون الشعوب المغلوبة .

لكن هونكه اثارت قضية مهمة تفتقد الى الكثير من التمحيص الدقيق باسبابها فهي تقول: ((لقد عسر المنتصرون على الشعوب المغلوبة دخول الاسلام حتى لايقلل دخولهم من الضرائب التي كان يدفعها من لم يدخل الاسلام))(٢).

وان المسلمين لم يعسروا دخول الشعوب المغلوبة الى الدين الاسلامي للمحافظة على الضرائب ، وانما كان لضعف دين المسلمين الجدد الذي فتح المجال امام الدولة العربية الاسلامية لفرض قوانين خاصة تحد من تكاثر المسلمين الذين يتخذون الاسلام ذريعة للتهرب من الجزية ، وهذه القوانين لم تكن بقوانين تعسفيةوانما كانت قوانين دينية تجعل من الدولة تطمئن لاسلام هؤلاء الفئة ، ولان المسلمين جاءوا هادين للناس وليس جابين للمال.

وللاسف اننا نجد المستشرقة تحدث ازدواجا في رايها، اذ ان حكم الفاتحين كان واضحاً وليس فيه أي نوع من الابهام اضافة الى ان الدولة العربية الاسلامية كانت ضد مبدا التعسير بدخول الاسلام فمنحت الامان والحماية لمن يدخل الاسلام شرط انه كتابي لذلك مسالة التسامح هي مسالة واضحة ولمستها المستشرقة هونكه في كثير من الاحيان وان الاسلام

منح من يدخل فيه عدة امتيازات صريحة فاين الظلم والجور الذي يعاني منه سكان البلاد المفتوحة وهذا الامر جعل من معتنقي الدين المسيحي يختفون .

١-المرجع السابق ، ص٣٦٥.
٢-المرجع السابق، ص٣٦٥.

وكما تصفهم هونكه((ان الشعوب المغلوبة قد دخلت الاسلام نظرا لما يتمتع به الاسلام من امتيازات مادية واجتماعية جعلت منه محط انظار الجميع وفي ظله يتمتع الداخلين بالطمئانينة والسعادة وتضيف هونكه، ان المسلمين لم يجبروا الشعوب المغلوبة على انتحال الدين الجديد ، واختفى معتنقوا المسيحية كما يختفي الثلج تحت اشعة الشمس بدفئها، ولم تظهر العصبية الدينية على المسلمين اثناء اختلاطهم مع الشعوب المغلوبة))(١).

وهذا اجمل وصف وابهى صورة في وصف الاسلام انه الشعاع الدافئ الذي لطالما اذاب الثلوج لتخرج لنا الحياة ، وتناقشنا هونكه في ان تسامح العرب المسلمين كان له اساس فحلم العرب وشهامتهم حتى مع اعدائهم والمخالفين لهم في العقيدة ليست بجديدة عليهم ، فجذورها تمتد بالفتى العربي الى ما قبل الاسلام ، اضافة الى اخلاق العربي الذي تميز بطيب الخلق وكريم السجايا ويتمتع العربي بانسانية رفيعة الذي اصبح شعار الجماعة المؤمنة بعد الاسلام في معاملتهم للناس في كافة البقاع على السواء(٢).

وكان للفتح الاسلامي اثره الواضح فلقد اثرت الفروسية العربية واخلاقها في الشعوب المفتوحة وبطريقة غير مباشرة ، وكان هذا التاثير كبيرا حتى على الفروسية الجرمانية، ففي تصوير فروسية العرب يسجل التاريخ لنا رجولتهم وشهامتهم ، فالفارس يتنازل عن النصر ويرمي بسيفه ليشد على يد خصمه الشجاع مهنئا مهما كانت جنسيته او ديانته وتقول هونكه: ((هذه الانسانية وهذا التسامح هما اللذان دفعا الشعوب ذات الديانات المختلفة الى ان تعيش في انسجام مدهش في هذا الضوء العربي الهادئ ، وان تبدا نموها وتوسعها وازدهارها))(٣).

وليس هناك مجال للخوض في نقاش ان الفتوحات الاسلامية لم تكن حروباً ارهابية ولم يكن استعماراً هيمن لامتصاص مقدرات هذه الشعوب.
بل كان دين رحمة منح الثقافة والعلم للمسلمين وغير المسلمين ، ولم يحارب الا لاجل تلك المبادئ السامية ولتحقيق عدالة السماء على الارض فتقول هونكه((وان دخول الشعوب

المفتوحة في الدين الاسلامي هو تخلصهم من اضطهاد كنيسة الدولــة كتحرر اصحاب المذاهب المسيحية النساطرة والقائلين بطبيعة واحدة للمسيح (Mono Physiste).

١-هونكه ، شمس العرب، ص.٣٦٦

٢-المرجع السابق، ص.٢٦٦

٣-المرجع السابق، ص٣٦٦.

وكان انعطاف الناس نحو السادة الفاتحين كالزهرة التي تميل الى اشعة الشمس ابتغاء المزيد من الحياة، يقلدونهم في طرق معيشتهم وسلوكهم ويتمثلون باخلاقهم وياخذون عنهم لغتهم ويسمون اولادهم تسميات عربية ، وبمرور الوقت يصير ملبسهم ومعيشتهم وسلوكهم عربيا))(١).

هذا النص يعبر لنا وبصدق ان الاسلام دين فرض نفسه' سلمياً واعطى الحياة والسلام لشعوب الارض ماداموا يتفهمون ان هذا الدين هو لنصرتهم واحياء عظيم حضاراتهم ، فتقليد الشعوب للفاتحين بكل شيء في المعيشة والسلوك والاخلاق لاياتي بالقوة ولا ياتي الا لكون هذا الدين هو عظيم في كل شيء والا لما انتحل هؤلاء اللغة العربية وتعلموها وتسموا باسماء عربية ساعدت على منحهم الثقة الواسعة بانهم كتلة لاتتجزأ عن هذا الدين، وتتكلم المستشرقة هونكه باعجاب وانبهار عن الفتوحات الاسلامية ، فهي تصف الدين الاسلامي بانه دين لايعرف التفرقة وان الاجناس المختلفة من شتى بقاع الارض تجتمع في مكان واحد وشعب واحد لايستطيع احد ان يفرقه.

ولم تكن هنالك اية سلطة بامكانها ان تحدث اكراه او مفرق بين هذا او ذاك وتضيف هونكه مميزات الفتح العربي وما حمله من سمات وايجابيات جعلت المسيحي واليهودي يفتخر ويشعر بالعزة اذا حمل اسما عربيا ما وسعهُ من شعور(١).

لقد استطاع الدين الاسلامي ان ينتشر وهو الهدف المنشود من خلال اخلاق الفاتحين وسلوكهم الديني الصادق وهو ما ساعد على انتشاره وكثرة اتباعه فتقول هونكه ((استطاع العربي المسلم ان يكون من خلال الفتوحات الاسلامية ابلغ سفير وداعية لدينه ، لابالتبشير وايفاد البعثات وانما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد ومبادئ دينه الحنيف ، فاستطاع ان يكسب

لدينه عددا وفيرا من خلال هذه الصفات ، ولم يكن أي دين او دعوة مهما بلغ شأنوها ان يستطع ان يكسب مثله من اتباع))(٢).

١-المرجع السابق ، ص٣٦٧.
٢-المرجع السابق، ص٣٦٦.
٣-المرجع السابق ، ص٣٦٧.

وتميز الفتح الاسلامي بنشر اللغة العربية التي لم تقتصر على طبقة الفاتحين الحاكمة القليلة، ولكن كان لتاثير الفتح الايجابي ولع الناس بهذه اللغة والتي استطاعوا عن طريقها نهل علوم العرب وثقافتهم والتي لم يبخل المسلمون العرب باعطائهم اياها من خلال نقل علمائهم وجعلهم دعاة وعلماء في ان واحد، وارساء القواعد الدينية من خلال القضاء الاسلامي والقضاة المسلمين ، الذين اكسبوا الشعوب المفتوحة تعاليمها وقواعدها، فاصبح هؤلاء يتبعون الطرق التي يسلكها الفاتحون ووصلت هذه الهجرات حتى شمال افريقيا بل وصقلية واسبانيا .

لومباروزيغريد هونكه وغوستاف لوبون ، بعضهم من العمال والفلاحين وذوي الحرف والمتعلمين ، واندمجوا جميعا وامتزجوا بالشعوب فعربوها وطبعوها بطابع الفاتحين المتميزالقوي ، الامر الذي سهل فتح البلدان فيما بعد(١).

وكون هذه اللغة هي لغة الادارة والسياسة والقانون وامتازت ببساطتها وجمال منطقها السليم فخضعت تلك الشعوب لسحر تلك اللغة حينما كان يشكو اساقفة اسبانيا وبمرارة سرعان ما تعلم الناس هذه اللغة وشغفوا بها لتموت اللغة القوطية تماما، وان لغة المسيح تخلت عن مركزها ليحل محلها لغة محمد (ﷺ)، فكانت لغة دخلت قلوب الشعوب التي لم يستهويها الدين الاسلامي من قبل لترحل الى الصدارة مع منابعها لتكون عامل لفتح البلدان الاخرى وسلاح معنويا لاخضاعها دون قوة فكانت هذه اللغة عاملا ونتيجة في ان واحد(٢) .

فتسربت بحيوية ورشاقة كمبادئ الاسلام ، فقد رات الكنيسة انها مجبرة على ان تترجم الانجيل لهؤلاء المسيحيين بعد تحريرهم (٣).

أي بعد سقوط الاندلس بيد المسيحيين عام ١٤٩٢م، وتحلق بنا هونكه بعيدا نحو اثار الفتوح الاسلامية وما تركه المسلمون حتى بعد انسحابهم من هذه البلدان فتشير الى ان المسلمين قدموا اعظم هدية من خلال نقل علومهم فاطلقت على هذه الهدية اسم "الفتوحات العلمية"

لانها اعتبرت العلوم العربية منقذة لاوربا كالدين الاسلامي منقذ الشعوب ، وان كثيرة هي الشعوب التي خضعت للعرب بغية علومهم فضلاً عن دينهم ودماثة حكمهم(٤).

١-هونكه، شمس العرب ، ص.٢٦٥
٢-المرجع السابق، ص٣٦٥.
٣-المرجع السابق، ص٣٦٥.
٤ــــالمرجع السابق، ص٢٦٥.

وتشير الى ان الغرب ارتكب ظلما عظيما بسكوتهم عن افضال العرب ، وان كان العرب هم وسطاء بنقل الحضارة الاغريقية فان هذه الوساطة لاتعيب في شيء على حد قول هونكه ، فاصبح الغرب وريثا للحضارة العربية الاسلامية(١) .

وذلك لان العرب طوروا التراث الاغريقي وابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة، وتشير هونكه الى ان علماء الاغريق كاناغلبهم من اصل شرقي اذا ان منابع المعرفة والعلم لم تكن بعيدة عن حيز العرب وهذه الطرق المبتكرة في البحث العلمي مهدت امام الغرب طريق لمعرفة اسرار الطبيعة وتسلطه على كثير من الامم اليوم(٢).

وتقول هونكه : ((واخيرا ان ما قام به العرب لهو عمل انقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم ، وان حضارة قد هوت وتحطمت وكانت على وشك الفناء امام اعين خالقيها الذين صار لهم الان هدف يسعون اليه ولا يمت لهذا العالم بصلة، فما بقي من هذه الحضارة يجب ان تشكر عليه البشرية اليوم العرب وحبهم للعلم، ولا يعود لبيزنطة فيه الا الفضل القليل ، وعلى أي حال فان ما بقي ليس الا جزءاً من كل ، فأدب القدماء _ كاملا- لا ولن نعرفه....فلقد فقد الكثير منه))(٣).

ولابد من الاشارة الى ان العرب لم يقفوا ولن يقفوا عند هذه الحدود فلقد عبروا بما ملكوه من معنى لاخلاقهم وعلومهم شتى بقاع الارض على الرغم من العوائق والعقبات التي كانت تحف بهم ، فالفتح الإسلامي كان يحمل الهدف والغاية وهو نشر الدين الاسلامي وبناء الحضارة العربية الاسلامية ، عن طريق نقل العلوم العربية الامر الذي يحيط الفتوحات العربية بهالة السلم والامن وانها مصدر امان وحماية لا مصدر حرب وارهاب وان الغرب يجب ان ينحني اجلالاً وتعظيماً للفتح الاسلامي العربي بما اغدقه على اوربا والغرب ، وسنجد ما يؤيد كلام المستشرقين في كتاب الله وسنة نبيه فضلاً عن رد المؤرخين العرب..

١-المرجع السابق، ص٢٦٥.
٢-المرجع السابق نفسه، ص٢٤٠.
٣-المرجع السابق ، ص٣٧٧.

رأي المستشرق غوستاف لوبون :

يشير المستشرق غوستاف لوبون الى ان سر الفتوحات الاسلامية وانتشار الاسلام وقوتهما تكمن في وضوحه فضلاً عما امر به من عدل واحسان وما انطوى عليه من تهذيب للنفوس والتسامح والملاءمة لمناحي العلم واكتشافاته.

ويرد المستشرق لوبون على مزاعم وافتراءات بعض منهم حول انتشار الاسلام تحت اسنة الرماح والسيوف فهو يقول :((ان القوة لم تكن عاملاً في انتشار القران ما ترك العرب المغلوبين احراراً في اديانهم ، فاذا حدث ان اعتنق بعض الاقوام النصرانية الاسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما راوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل))(١).

اذن فحياة الاسلام هي حياة باقية الى يوم الدين لا لكثرة المؤمنين به وانما لعدالة قضيته الى فهمها للشعوب دون قسرية ويؤكد هذا الكلام المستشرق لوبون الذي يقول : ((لم ينتشر القران اذن بالسيف ، بل بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقتهُ الشعوب...))(٢).
لقد تجسدت الحياة الاسلامية بما انشائه الاسلام في نظم وقوانين منحت الشعوب الحقوق والحماية فضلاً عن تعامل الخلفاء والولاة المتمثلين بالفاتحين الذي اصبح تعامل يروق لكل فرد من شعوب البلدان المفتوحة.

فهو يقول : ((ادرك الخلفاء السابقون الذين كانت عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده بين دعاة الديانات الجديدة ، ان النظم والاديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا اهل كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليه سوى جزية زهيدة في الغالب ، اذ ما قيست بما كانوا يدفعوه سابقا مقابل حفظ الامن بينهم، فالحق ان الامم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم))(٣).

لقد اظهر لنا المستشرق لوبون حقيقة الفتح الاسلامي الذي لم تكن له مقاصد اقتصادية طمعاً بغنيمة او جزية تفرض على اهالي اسبانيا.

١-غوستاف لوبون: حضارة الاسلام ، ترجمة عادل زعيتر ،ط٤،(بلا-١٩٦٤)،ص.٨
٢-المرجع السابق ، ص٨.
٣-المرجع السابق، ص٨.

وكانت الحرية الدينية التي رسم الفاتحون العرب خطط العدالة القضائية لها والتي منحت العدالة والمساواة بين فئات الشعب في تعيين قاضي منهم يحكم بينهم تحت حكم الفاتحين فقد اسس هؤلاء الفاتحون محكمتين للنظر في المظالم والمحكمة الثانية هي لتعديل حكم المحكمة الاولى فيقول المستشرق لوبون : ((كان قانون الدولة المدني يستند في نصوصه الى القران الكريم ويتخذ القضاة القران دستوراً في حكمهم وكانت المحاكم على درجتين فتقوم محاكم الدرجة الثانية (الاستئناف) باصلاح ما تصدره' محاكم الدرجة الاولى من احكام))(١).

هذا التنظيم في سير معيشة الشعوب الواقعة تحت ظل الفاتحين كانت سبباً في انتشار هذا الدين اضافة الى رحمتهم وانسانيتهم فيقول لوبون: ((وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الاسباب السريعة في اتساع فتوحاتهم وفي سهولة اعتناق كثير من الامم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة حتى بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم))(٢).

وازاء هذه الاخلاق والسمات الجليلة للفتح الاسلامي فقد ثبت بالدليل القاطع ان الفتح الاسلامي جاء لنشر الدين الاسلامي وهذا ما اثبته' لنا عبد الرحمن الغافقي الذي سار لاميال كبيرة لتحقيق هذه الغاية اذن ما فعله الفاتحون هو من دواعي الجهاد ونشر الدين الحق وهذا ما يؤكده المستشرق لوبون ان نشر الدين الاسلامي بكل مبادئه هي غاية الفاتحين فيقول: ((وبما لايترك للشك مجالاً، ان عبد الرحمن الغافقي لم يهدف في غزوه فرنسا الاستقرار فيها واتخاذها قاعدة للاستيلاء على اوربا))(٣).

ويتـالم المستشرق لوبـون للانتصـار الـذي حققـه شـارل مـارتـل فـي معركـة بواتيـه والتـي استشهد فيها عبد الرحمن الغافقي وان هذا الانتصار لم يحقق لاوربا سوى الـويلات والثبـور لما اتصف به الغرب المسيحي من ظلم وسفاهة وسفك للدماء فضلاً عن الجهالة الحمقاء.

١-غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص.٢٧٦
٢-المرجع السابق، ص٩.
٣-المرجع السابق، ص١٢.

ويشير الى ان نصر الفـاتحين العرب فـي هذه المعركـة كـان سيمنح اوربـا الوجود بعد اللاوجود فهو يقول : ((لنفرض جدلاً ، ان النصـارى عجـزوا عن دحر العرب وان العرب وجدوا في شمال فرنسا جواً غير بارد ولا ماطر كجو اسبانيا فطابت لهم الاقامة الدائمة بـه ، فماذا كان يصيب اوربا؟ كـان يصيب اوربـا النصرانية المتبربـرة مثـل مـا اصاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة راية النبي العربي ، وكان لايحدث في اوربا التي تكون قد هذبت ، ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية وملحمة سان بارتلمي ومظالم محاكم التفتيش وكل مـا لـم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرجت اوربا بالدماء لعدة قرون))(١).

ويتجه لوبون الى ان هنالك عوامل عديدة حفزت العرب لفتح اسبانيا عوامل خاليـة من الطمع او حب السيطرة فهو يقول: ((لم يكن حب التوسع هو الذي حفز العرب، الذين ترامت اطراف دولتهم ، الى فتح اسبانية وانمـا دفعهم ذلك الى الهاء البربـر الـذين كـانوا اشد من حاربهم العرب الاعداء والذين ظلوا مرهوبين لشجاعتهم... فكان من السياسة الرشيدة ارواء غرائزهم الحربية في الاغارة على البلدان الاجنبية..))(٢).

لقد بين لوبون ان هناك عدة عوامل ودوافع حفزت العرب في فتح اسبانيا ومنها محاولة صـنع الاسـتقرار لمنـاطق افريقيـة واسـبانية ومحاولـة الاسـتفادة مـن القـوة القتاليـة للبربـر وتحريكها لتحوير البلدان ونشر الدين الاسلامي بدلاً من ان يكونوا قوة ضد العرب المسلمين انفسهم لاسيما وان الكثير منهم اسلم وكان تواقاً للجهاد في سبيل الله .

ويتطرق لوبون الى فتح اسبانيا وصفات الفاتحين المسلمين فيقول: ((لقد اتم العرب فتح اسبانيا بسرعة مدهشة... واحسن العرب سياسة سكان اسبانيا كما احسنوا سياسة اهل سوريا ومصر ، فقد تركوا لهم اموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاة الى قضاة منهم ، ولم يفرضوا سوى جزية سنوية تبلغ ديناراً عن كل شريف، ونصف دينار عن كل مملوك وخضعوا للعرب من غير مقاومة...))(٣).

١-غوستاف لوبون: حضارة الاسلام، ص.١٢

٢-المرجع السابق، ص٢٦٣.

٣-المرجع السابق، ص٢٦٦.

ولاشك في صحة كلام المستشرق لوبون وذلك لان العرب المسلمين حملوا في اعناقهم امانة نشر الدين الاسلامي بدون عنف وقوة ونشر مبادئ هذا الدين الحنيف فاين حكم العرب المسلمين في اسبانيا وافريقيا من حكم الملك قسطنطين عندما جلس على العرش واذاب كل المذاهب والديانات ولم يبق سوى الديانة النصرانية واستطاع قهرهم بالسيوف والاسنة واصبحت افريقيا نصرانية بعد سيل الدماء العارم، لذلك لاعجب ان تفتح اسبانيا في سنتين والتي لم يستطع النصارى استردادها الا بعد حروب دامت ثمانية قرون.

واوضح لوبون فضل هذه الفتوحات العربية الاسلامية التي انقذت اسبانيا من هلاك الجهل والتي غرقت فيه اوربا في القرون الوسطى لذلك يحمل المستشرق لوبون فضل العرب في ازدهار اسبانيا فهو يقول : ((ويروى مع التوكيد ، ان موسى بن نصير فكر بعد فتح اسبانيا في العودة الى سوريا من بلاد الغول والمانيا وفي الاستيلاء على القسطنطينية ، وفي اخضاع العالم القديم لحكم القران...ولو وفق موسى لجعل اوربا مسلمة ...ولانقذ اوربا على ما يحتمل من دور القرون الوسطى الذي لم تعرفه اسبانيا بفضل العرب))(١).

كذلك يقول : ((يرى المحقق البصير في تاريخ المسلمين باسبانية ان الامامة الثقافية ورسالة التمدن كان يقوم بها العرب ... وان العرب حافظوا على شرفهم الثقافي حتى بعد ان قبض البربر على زمام الحكم))(٢).

ولقد اظهرت الفتوحات الاسلامية في العصر الاموي انها منبع متواصل في كل شيء من العصر الراشدي الا في القليل من القضايا فيقول المستشرق لوبون : ((استطاع العرب ان يحولوا اسبانية مادياً وثقافياً في بضعة قرون وان يجعلوها على راس جميع الممالك الاوربية ... واثر العرب في اخلاق الناس فهم الذين علموا الشعوب النصرانية وان شئت فقل حاولوا ان يعلموها ، التسامح الذي هو اثمن صفات الانسان ، وبلغ حلم عرب اسبانية نحو الاهلين المغلوبين مبلغاً كانوا يسمحون به لاساقفتهم ان يعقدوا مؤتمراتهم الدينية...))(٣).

فاين اوربا بالامس واليوم من الحرية الدينية والتسامح الديني الذي تمثل لنا وبابشع صوره عندما عاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة.

١- المرجع السابق، ص٢٦٧.
٢-المرجع السابق، ص.٢٦٧
٣-المرجع السابق، ص٢٧٦.

لكن في عام ١٤٩٩ حل الاضطهاد والتعذيب الذي دام قروناً والتعميد كرها الذي كان فاتحة ذلك الدور الرحيم بحق العرب ولا سيما عمليات التطهير بالنار فيقول المستشرق لوبون نفسه في وصف حكم المسيحين لاسبانيا : ((ونصح كردينال طليطلى التقي ، الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً...كذلك اشار بضرب رقاب من تنصر من العرب من بقي على دينه منهم وحجتهم في ذلك انه من المستحيل معرفة من تنصر من العرب اذن قتل جميع العرب بحد السيف...))(١).

فاين انتشار الاسلام بالسيف والاكراه واين ملوك اسبانيا المسيح من سماحة الاسلام والمسلمين وها هو شاهد من اهلهم ينوء بحمل التركة المعيبة التي تركها الحكم المسيحي على اسبانيا، فضلاً عن ان محاكم التفتيش كانت تبيد كل نصراني ترى فيه شيئا من النباهة والفضل فيقول غوستاف لوبون عن تلك الحالة : ((فكان من نتائج هذه المظالم المزدوجة ان هبطت اسبانيا الى اسفل دركات الانحطاط بعد ان بلغت قمة المجد وانهار معاً ما كان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والادب والسكان))(٢).

ولم يبق مجال للنقاش او الرد على عدالة القضية الاسلامية ومبادئ وقيم ذلك الدين الحنيف وقيمه وسماحة الفاتحين الذين ردوا على مزاعم المستشرقين وافتراءات اعداء

الاسلام بكل شبر في اسبانيا فيقول لوبون: ((وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها ايام الحكم العربي من الادلــة على احترام العرب لمعتقدات الامم التي خضعت لسلطانهم))(٣).

هذا التسامح الالهي جعل من الاسلام ينتشر كما ينتشر المطر في الصحراء يرويها ويغذيها من قرون عجاف فقد اسلم الكثير من النصارى حباً في ذلك لما راوه من سماحة الفتح والفاتحين الذين اغدقوا عليهم حقوقاً فوق حقوقهم دون خوف او وجل .

فيقول لوبون : ((واسلم كثير من النصارى ، ولكنهم لم يسلموا طمعاً في كبير شيئ ، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد المناصب في الدولة وكانت اسبانيا العربية بلد اوربا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها فصار عددهم فيه كثيراً جداً))(٤).

١- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٢٧١.
٢- المرجع السابق ، ص.٢٧٢
٣-المرجع السابق، ص٢٧٢.
٤-المرجع السابق، ص٢٧٧.

وقد رد المستشرق غوستاف لوبون على افتراءات المستشرقين الذين يدعون ان الفتح الاسلامي هو فتح تم تحت سلطة الارهاب وقوة السيف وان ما حكم هذه الشعوب والامم الدين بكل قيمه ومبادئه وعدالته وسماحته عوامل لم تكن شعب ودولة وامة بدونها ، فضلا عن ان الفاتحين كانوا بناة لحضارة صمدت لقرون عديدة فيقول لوبون: ((حتى ان رئيس الاساقفة الاسباني اكزيمينيس انه باحراقه مؤخراً ما قدر على جمعه من مخطوطات اعداء دينه العرب " أي ثمانين الف كتاب" محا ذكرهم من صفحات التاريخ ، وما درى ان ما تركه العرب من الاثار التي تملا بلاد اسبانيا خلا مؤلفاتهم ، يكفي لتخليد اسمهم الى الابد))(٢).

واخيراً نقول فعلاً حدث نصر عظيم جعل من الصليب يحل محل الهلال في قرطبة لكن الهلال كان يهيمن على اغنى مدن العالم واجملها واكثرها اهلاً، ولنا الفخر بان يشرف ذلك الصليب على بقايا تلك الحضارة العظيمة هناك والتي لم يستطيع الغربيون صناعة مثيل لها ولو بعد قوة وقرون.

١-المرجع السابق، ص٢٧٤.

عالمية الرسالة ودعوتها للسلام :

لكل دين من الاديان او عقيدة من العقائد اهدافها التي تسعى للوصول اليها، وغايات تنشد من اتباعها الوصول اليها، والدين الاسلامي كغيره من الاديان السماوية التي سبقته' يتفق في وحدة الدين ومنبعه' الاول كونها من عند الله سبحانه وتعالى ، وانها ترمي الى سعادة بشرية بكافة طبقاتها وتخليصها من الشوائب الوثنية وطوعا، لذلك فالاسلام ليس ديناً جديداً بمعطياته وانما هو استمرار وتجديد للوحي الذي انزله الله على نوح ومن بعده على بقية الرسل واذا كان الناس يرون امامهم اديانا مختلفة فانما يرجع ذلك الى تحريف اتباع الانبياء لهذه الاديان بعد وفاة هؤلاء الانبياء(١).

واذ كان الاسلام يتفق مع بقية الاديان التي سبقته في وحدة الاديان ومصدرها الالهي ويختلف معها في كونه الدين النهائي الخاتم لجميع الاديان، كما ان نبيه محمد (ﷺ) هو خاتم الانبياء، واذ كان ذلك فان الدين الاسلامي يعد هو الغاية القصوى لكل الاديان التي سبقته ، وقديما قال علماء الاخلاق : ان الغاية تتصور من المبدا وتكون هي الباعث على

السير اليها ، ولذلك اراد ان يؤمن جميع الانبياء بخاتمهم ، وان يكلفوا اتباعهم بالايمان به حثا لسير الجماعة البشرية على الكمال المنشود (٢).

ولم يكن الاسلام خاتما للديانات السابقة حسب ، وانما انفرد بخاصية انه دين عالمي انزله الله على سيدنا محمد (ﷺ) ليقوم بتبليغه الى الناس كافة عربا وعجما بيضا وسودا انساً وجناً ، وتبعا لهذه المهمة فالاسلام هو دين صالح لكل زمان ومكان وانه مساير لكل العصور مهما اختلفت نواحي الحياة منها.

وعن عالمية الاسلام والدعوة الاسلامية فهي ليست من محض الخيال او ادعاء يقصد به خدمة اغراض اخرى ، وان العقيدة التـي يمكن يطلق عليها صفة العلمية هي العقيدة (العامة الشاملة الفطرية الواضحة التي تعنى بسعادة الانسان كفرد والانسان كمجموع)(٣).

١-محمد فريد وجدي:مهمة الدين الاسلامي في العالم، مجلة الازهر، العدد٤،(القاهرة-١٣٥٢هـ).
٢-محمد السيد الشامي: الاسلام وحدة دين الانسانية الراشدة، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد الثاني، (ليبيا-١٩٧٤)، ص٥٩.
٣-فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الاسلام،ص٢١.

وعلى هذا الاساس يجب ان تكون العقيدة عامة وشاملة وواضحة تراعي في الانسان فطرته' وقدرته' وامكاناته' وتسعى الى توجيه حياته نحو الافضل ، فالعقيدة يجب ان توضح فكرة الوجود ، وهي وجود الخالق ووجود المخلوق حتى تلبي حاجات الانسان في معرفة خالقه لذلك وجدت العقيدة الاسلامية ، لذلك وجوب انتشار هذه العقيدة من بين العقائد امر حتمي وضروري ، وان هذه العقيدة رسمت الخطوط العريضة للحضارة العالمية والقائمة لحد الان بفضل الاسلام، ولهذا امر الله ان تكون الرسالة عالمية وعمومية دون التخصص بشعب ما او دولة ما.

وهذا ما يفسر قول الله ﴿ وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾(١)،﴿ قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً﴾(٢).

وان اتهام المستشرقين بان الدين الاسلامي انتشر بالقوة معتمداً على السيف دون تعليل لهذا الاتهام فيجب معرفة ان الحرب طبيعة من الطبائع البشرية وسمة من سمات الحياة ولقد امر الاسلام ضمن مبادئه الخالدة مبدا الاخوة الانسانية فالجميع خلقوا من اب واحد وام

واحدة ﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾(٣).

وبهذه الاشارة فان اصل الخلقة الواحد تقتضي التعايش بسلام وامان تعايشا سليما حث عليه الاسلام ونشره بين اتباعه وحث على ان الاخوة تقتضي التعاون على البر والتقوى والميل الى التسامح والمحبة وهما ابرز ملامح الاخوة ، وفي المقابل ايضا تقتضي الابتعاد عن الحقد والكراهية وجميع اشكال التفرقة والتعصب وان الاخاء الذي اشار اليها القران هو مبدا يحترم ادمية الانسان وتكريمه’ وان العلاقة بين الانسان واخيه الانسان تقوم على الاحترام المتبادل الذي يقوم على التعاون المتبادل ومراعاة مصالح الاخرين المشتركة ويتوجب لذلك الاعتراف بحق جميع الناس في الحياة الكريمة المتساوية .

ولهذا المبدا استطاع الاسلام ان يطفئ لهيب انواع كثيرة من الحروب ويضفي على الانسان المودة والسلام(٤).

١-سورة سبا:اية ٢٨.

٢-سورة الاعراف:اية ١٥٨.

٣-سورة الحجرات: اية ١٣.

٤-محمد ابو زهرة : الوحدة الاسلامية،(بيروت-١٩٧١)، ص١٣وما بعدها،كذلك : مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا،(بيروت-١٩٧٧)، ص٦١ وما بعدها.

وقيل ان الاسلام هو الدخول في السلم ، وهو ان يسلم كل واحد منهما ان يناله الم من صاحبه(١).

وكلما تمعنا في الايات القرانية التي تدور حول هذا المحور نجد ان الله يامر المسلمين بالركون للسلم والابتعاد عن الحرب كلما سنحت لذلك الفرصة فيقول تعالى ﴿فان جنحوا الى السلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾(٢).

وقد ورد ذكر السلام في مائة واربعين اية بينما ذكر الحرب في ست ايات فقط(٣).

ورفض الاسلام كل الاغراض والدوافع التي كانت تدعو الى الحرب واثارة الفتن ، فرفض الحرب التي تقوم على اساس العصبيات الطائفية والعرفية ، وقرر ان الناس كلهم سواسية كاسنان المشط لافضل لاحدهم على الاخر بالرياسة او الزعامة .

ورفض الاسلام الحروب التي تقوم على النزاعات الدينية والتي سببها اختلاف العقيدة او الاكراه في اتباع دين معين فقال تعالى((لااكراه في الدين))(٤).

لذلك لم يكن القران ان يجعل الناس يرضخوا للاسلام بقوة السيف لان المسلمين نفذوا ما امرهم به الله ورسوله عند دخولهم المدن وهو ان لايقطعوا شجرة ولا يقتلوا امراة او شيخ او صبي ، وعليه فان القران اجاز حمل السيف في عدة مواضع سيتم ذكرها لاحقا، هذه المبادئ والاخلاق ابقت الاسلام دينا ساميا فلم يعرف يوما حروبا كان من شانها دمار الشعوب واهلاكهم بتهلكة الحروب وتحت اسم الدين مثلما حدثت الحروب بين الكاثوليك والبروستانت في عام ١٥٢٠م ، اذا احرق بعضهم وغدت اجسادهم رمادا وتم قتل الناس وشنقهم حتى قطعت رؤوس كثيرين ، وان ما حل عام ١٥٣٠م، حتى تم اعدام الفي في احدى القرى(٥).

١-الفيروز ابادي:بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد النجار، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،(القاهرة-١٣٨٧)،ج٣،ص.٢٥٤

٢-سورة الانفال:اية.٦١

٣-محمود النبوي الشال:السلام رسالة السماء،ط١،(دار الفكر العربي-١٩٧٨)،ص.٥٨

٤-سورة البقرة: اية ٢٥٦.

٥-د.نبيل قابياوي،انتشار الاسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء،دار بيادي(مصر-بلات)،ص٣١.

لذلك جاء الرسول بالهدى والسلام الذي آثره في كثير من الاحيان على الحروب متبعا بذلك التعاليم الربانية في القران الكريم الذي وقف بوجه المشركين محاربا ادعاءاتهم وتلفيقهم ، ان القران هو تاويل محمدية وانها لاتعالج أي معضلة تمر بها الامة(١).

وهذا افتراء واضح لان القران الكريم والرسول الاعظم كانا شعارين للدين والسلام وان ما جاء به الرسول الكريم حطم كل شبهات المستشرقين والمنافقين وان ما نجده في معاهدات المسلمين من بعده تدل على حيوية وبعد النظر الذي يميز هذا الدين.

١-صبرة عفاف: المستشرقون ومشكلات الحضارة ،(القاهرة-بلات)،ص٦٤،٦٣.

تشريع الجهاد ومعاملة اهل الذمة:

الجهاد(١)، من فرائض الدين وهو ذروة سنام الاسلام والوسيلة لدرء الشر في مكامنه سواء كان نابعا من النفس ، او وافدا من الغير ، والمتامل لجوانب الاسلام يلاحظ ان للجهاد مفهوما شاملا شمول الاسلام ذاته ، فالعبادة من صلاة وصيام وما سواها ، والاخلاق من صدق وصبر وما عداها والطاعات من توبة واخلاص وغيرها ، كل هذه من صور الجهاد ، أي جهاد النفس.

ودعوة الناس الى الخير ونصحهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، هو كذلك من صور الجهاد ، وبيان محاسن الاسلام وعظم مبادئه الانسانية والدفاع عنه بالحجة والبرهان، امام الطاغين والمخاصمين ، هو ايضا من معاني الجهاد ، كما ان اقامة شرع الله في المجتمع ، وتحرير الاوطان والانسان من الذل والاستعباد ، وعمارة الارض بالخير كل ذلك يعد من مراتب الجهاد ، وهكذا يريد الاسلام ان يستخدم جميع القوى والوسائل واستنفاد جهدها

للوصول الى غاية عظمى وهي عبادة الناس لرب العالمين، مصداقاً لقوله تعالى : ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون))(٢).

والحقيقة ان جميع الاديان السماوية جاءت لتحقيق هذه الغاية ، ولكن رسالاتها جاءت بشكل وقتي أي انتهت بموت النبي الداعي اليها، كما قال تعالى((لقد ارسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم))(٣). وقوله تعالى ايضا: ((وان من امة الا خلا فيها نذير))(٤).

الى ان اذن الله تعالى للبشرية ان تصل الى كامل رشدها ونضجها ، فبعث الله سيدنا محمد (ﷺ) الى الناس اجمعين ، قال تعالى ((وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً))(٥).

وبعثه (ﷺ) الى التوحيد والذي شعاره ((لااله الا الله)) والامة مخاطبة بما خوطب به الرسول(ﷺ) .

١-الجهاد لغة من (الجهد) بفتح الجيم وضمها: الطاقة . وجهد الرجل في كذا أي جهد فيه وبالغ والاجتهاد بذل الوسع ، مختار الصحاح، مادة(جهد)،ص٩٤،ينظر: خليل رجب حمدان الكبيسي، السلام الدولي في الاسلام ،رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الشريعة ،(جامعة بغداد -١٩٨٧)، ص.٨٤

٢-سورة الذاريات، اية ٥٦.

٣-سورة الروم: اية .٤٧

٤-سورة فاطر: اية.٢٤

٥-سورة سبا: اية ٢٨.

ومكلفة بما كلف به الرسول الاعظم في نشر هذه الدعوة في العالم اجمع لذلك اختير العرب لحمل رسالة الاسلام وقيادة العالمين به ، فكانوا امناء على الحق وله يذعنون واليه يدعون ، فبعد ان امنوا بالله ربا وبالإسلام ديناً وسيدنا محمد (ﷺ) نبياً، وجاهدوا أنفسهم في ذات الله حتى خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم، منطلقين من الجزيرة العربية يعلنون نشر الدعوة الاسلامية ويحررون الانسان في ارجاء الارض، انها انطلاقة المبادئ والقيم وليست اندفاعة الثروات والمغنم.

انها انطلاقة جديدة لاعادة الانسان الى وضعه الطبيعي الذي من اجله خلق ، والذي اختصه به الله تعالى ومنها انطلق مبدا ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً))(١).

وكان واجب المسلمين العرب تصحيح الوضع ، تصحيح الفكر اضافة الى تصحيح العقيدة ، فكان لابد لنجاح تلك المهمة التي اجتباها الله لهذه الامة ، واختارها لتلك المهمة الربانية ، ان تكون امة مجاهدة كما قال تعالى ((جاهدوا بالله حق جهاده هو اجتباكم))(٢). ومن ثم فرض عليها القتال والتضحية بالاموال والانفس في سبيل هذه الغاية العظيمة.

هدف الجهاد:

الجهاد كلمة شاملة تشمل جميع انواع السعي وبذل الطاقة ، ولكنه ليس بجهاد لاغاية له ، وانما هو الجهاد في سبيل الله، وهذا الشرط يلزمه ابداً ولا ينفك عنه البتة ((فلا يسمى الجهاد جهاداً حقيقياً الا اذا قصد به وجه الله واريد به اعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ومطاردة الباطل ، وبذل النفس في مرضاة الله ، فاذا اريد به شيء دون ذلك من حظوظ الدنيا ، فانه لايسمى جهاداً))(٣).

فالجهاد عبادة وكل عبادة لاتصح الا بنية خالصة واتباع ، وفي ذلك يقول الرسول(ﷺ) ((انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى))(٤).

١-ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمن بن علي ،(ت-٥٩٧): تاريخ عمر بن الخطاب،ط٢، (بيروت-١٤٠٥/١٩٨٥)، ص٩٤.
٢-سورة الحج: اية ٧٨.
٣-سيد سابق: فقه السنة،ط٣، (بيروت-١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)،ج٢، ص٦٣٤.
٤-البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، ظبط النص محمود محمد نصار ،ط٢،(بيروت-٢٠٠٢)، باب النية في الايمان، حديث ٦٦٨٩، ص١٢١٤.

ولقد ربى الرسول(ﷺ) الصحابة على الاخلاص لله في العمل ، فكانوا ليحذرون ان تشوب نيتهم مطامع او رياء، فتحبط اعمالهم فلا اجر حينئذ ولا نصر خصوصا وانهم في ميدان القتال الذي يتوجب منهم مراقبة الله اكثر من أي مكان او زمان والتطلع الى ما عنده من حسن الثواب قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾(١).

وعند ملاقاة الكفار يوجه القران المجاهدين الى الغاية التي من اجلها يقاتلون فيقول تعالى﴿ ياايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾(٢).

اداب الجهاد:

وطالما كان الجهاد في سبيل الله ، والقتال لاعلاء كلمة الله ، فهو اذن ليس كالحروب التي كانت تسخر لاذلال الانسان واستغلال طاقاته البشرية والاستمتاع بخيرات الشعوب، فليس الجهاد الاسلامي في غايته كهذه الحروب المدمرة التي عانت منها البشرية في الماضي والحاضر ، وليس هو كذلك في وسائله ومداه ، فقد عد الاسلام ((الحرب ضرورة تقدر بقدرها ، وانها كعملية جراحية لايجب ان تتجاوز موضع المرض ، لذلك جعل للقتال اداباً تجب مراعاتها من قبل المجاهدين فلا يقبل الا من يقاتل في المعركة...وحرم قتل النساء والاطفال والمرضى والشيوخ والرهبان ، وحرم المثلة بل حرم قتل الحيوان...الخ))(٣).

ويحدثنا الرسول (ﷺ): ((...ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم فو الله لان يهدي الله بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حمر النعم))(٤).

١-سورة الانفال: اية ٤٧.

٢-سورة الانفال: اية ٥٤.

٣-سيد سابق: فقه السنة، ج٢، ص٦٥٥-٦٥٦.

٤-صحيح البخاري: باب الدعاء للاسلام ، حديث ٢٩٤٢، ص٥٤١.

ويجب ان يبدا المسلمون بالدعوة قبل القتال ، ((فاذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ادعهم الى الاسلام فان اجابوا فذلك خير و ان ابو فان على المسلمين قتال المشركين)).

قال ابو يوسف (ت،١٨٢هـ) ، لم يقاتل رسول الله (ﷺ) قوماً قط –فيما بلغنا- حتى يدعوهم الى الله ورسوله، وعند الماوردي (ت/٤٥٧هـ) ان من لم تبلغهم دعوة الاسلام، يحرم علينا الاقدام على قتالهم غرة وبياتاً وبالقتل والتحريق، ويحرم ان نبداهم بالقتال قبل

اظهار دعوة الاسلام لهم ، واعلامهم من معجزات النبوة ، ومن ساطع الحجة بما يقودهم الى الاجابة(١).

((ويرى الفقهاء ان امير الجيش اذا بدا القتال قبل الانذار بالحجة والدعاء الى احدى الامور الثلاثة، وقتل من الاعداء غرة وبياتاً ضمن ديات نفوسهم))(٢).

وبعد ، فهذا هو الجهاد الاسلامي في غايته ومراتبه واداب ، فاين منه حروب روما وفارس قديماً، او حروب نابليون في التاريخ الحديث ومن بعد افتراء هتلر وموسيلني، او حروب امريكا في – نظامها العالمي الجديد؟! .

وخلاصة القول في موضوع الجهاد الاسلامي ، انه عبادة من افضل العبادات ، ولا يكون كذلك حتى يكون الدافع اليه ابتغاء مرضاة الله، خالصاً لاتشوب شائبة من ذكر او مغنم او عصبية وقوله تعالى ((فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيما))(٣).

وهو ركن الاسلام الشديد الذي تحمى به سائر الاركان ،وتحفظ به العقائد والاوطان من غير ظلم او اساءة او عدوان فالمسلمون لم يحاربوا قط في صدر الدعوة الا مدافعين، او دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان.

١-الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، ابو الحسن(ت،٤٥٧هـ): الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (بيروت-بلا)، ص.٤٦

٢-سيد سابق: فقه السنة، ج٢،ص.٦٤٦

٣-سورة النساء: اية ٧٤.

وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم...وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة الاسلامية حيا او ميتا ، لانه خاطبه داعيا الى الاسلام(١)

لقد قاتل المسلمون فعلاً، وسوف يظلون كذلك ما بقيت الدواعي للقتال قائمة ، سواء كان دفاعاً عن النفس، او رد عدوان ، او منع الفساد في الارض او تحريراً لبني الانسان من قيود العبودية التي وضعتها القوى الغاشمة على حريات الضمائر والعقول، وعندها يضمن الاسلام لبني الانسان حرية القرار في الاختيار.

ومن هنا يتفق الاستعمار وقوى الاستكبار العالمي ومعهم المجندون من المستشرقين في وجه الزحف الاسلامي الذي يسوق الرحمة للعالمين ، ولهذا ايضاً سخرت اقلام المستشرقين للنيل من مبدا الجهاد الاسلامي وتشويه صورته والطعن به فضلاً عن التحذير منه، ولهذا ايضاً احتضن المستعمرون كل الدعوات الباطلة والجماعات الضالة التي تنادي بترك الجهاد واستتسلام البلاد.

ومن ذلك ما فعله الانكليز بالهند باعانتهم وتشجيعهم للقاديانية ومؤسسها احمد خان(٢).

كما حرم الفرنسيون المحتلون للجزائر بتدريس مناهج الجهاد في كتبهم وتعليمهم اياها من الايات القرانية ، او في ابواب الفقه ويعدون ذكره فضلاً عن فعله من اعظم الذنوب(٣).

ومما ينبغي التاكيد له ان الجهاد في الاسلام وقد ذكرنا اهدافه لم يكن في ماضيه وحاضره ومستقبله بقصد اكراه الغير على اعتناق العقيدة الاسلامية ، فالقران يقرر ان ((لااكراه في الدين)) فارغام المكره على الاسلام لايدخله في الاسلام، كما ان اكراه المسلم على الكفر لايخرجه من الاسلام ، وليس العيب في امتلاك القوة واعدادها ، انما المعول عليه في الغاية من استخدامها .

١-عباس العقاد: ما يقال عن الاسلام ، مطبوعات مجلة الهلال ،(مصر-بلا)، ص.١٢٩

٢-ادعى(ميرزا غلام احمد القادياني) (ت ١٩٠٨م)، انه المهدي الذي ينتظره المسلمون ، وقال باسقاط فريضة الجهاد، في الوقت الذي كان الانكليز يحتلون فيه الهند ، كما اظهر الولاء الخالص للحكومة البريطانية التي امنت جانبهم وتركتهم ينشرون مذهبهم ، ينظر: سعد محمد حسن : المهدية في الاسلام ،ط١، (القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ، ص٢٧٠-.٢٧١

٣-نشر الدكتور محمد تقي الهلالي ، في مجلة الفتح عام ١٩٣١، رسالة جاء فيها ((ان هؤلاء الفرنسين المبعدين للاحرار المخربين للديار ، مازالوا يحرمون كلمة الجهاد وبلغ بعضهم ان حرموا على المسلمين تفسير ايات الجهاد ينظر : انور الجندي: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، مقال له في ندوة المحاضرات رابطة العالم الاسلامي،(مكة المكرمة-١٣٩٣-١٣٩٥هـ)، ص٣٩..

وما كان الجهاد يوماً ((الا واسطة لصيانة الحياة ، وتيسير وتحقيق رسالة النبي (ﷺ) ولقد كانت الحرب دائما وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه ، لاغاية في ذات نفسها))(١).

ان الذي يغيض اعداء الحقيقة ، هو ان الاسلام زودته العناية الالهية بتعاليم تجعله صلب المكسر، لايستطيع الباطل ان يجتاحه بسهولة ، ولا ان ينال منه بيسر ، ان الاسلام دين سيف...نعم هو كذلك وما عيب السيف اذا رد المعتدين؟ وما عيب الصلابة في الحق .

وان السؤال الذي يجب ان تحدد الاجابة عنه هو: هل كان الجهاد في الاسلام اساساً لفتنة غير المسلمين عن دينهم ؟ وهل ان السيف هو الذي وسع رقعة الدولة الاسلامية؟

ان النظرة العابرة الى البلاد الاسلامية لتكفي لتقرير وقائع التاريخ في هذه المسالة وخلاصتها: ((ان اكثر البلاد عدد مسلمين ، هي اقل البلاد غزوات اسلامية))(٢).

معاملة اهل الذمة:

اوجد الاسلام حكماً عاماً في التعامل مع اهل الكتاب ، واهل الكتاب الذين يقيمون معا في المجتمع الاسلامي، فلهم منزلة خاصة ويطلق عليهم اهل الذمة(٣).

واهل الذمة تطلق على المواطنين غير المسلمين من الكتابيين ، وذلك لان لهم عهد الله ورسوله' والمؤمنين ،وانهم يعيشون في حماية الاسلام امنين، مطمئنين على وفق عهود ومواثيق مسبقة مع الدولة العربية الاسلامية، وان هذه العقود تضمن اقرارهم على دينهم وتمتعهم بحماية المسلمين ورعايتهم ، بشرط بذلهم الجزية مقابل حماية جيش المسلمين الذين يعيشون في البلاد الاسلامية(٤).

١-لورا فيشيا فاغليري ، دفاع عن الاسلام، ترجمة منير البعلبكي،ط٢،(بيروت-١٩٦٣)، ص.٣١
٢-العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١٢٩ .
٣-اهل الذمة: هم اهل الكتاب الذين يستوطنون بلاد الاسلام بامان مؤبد، فيكون عليهم من الواجبات ما عليهم ولهم من الحقوق ما للمسلمين ، وقد سموا بهذا الاسم لانهم دفعوا الجزية فامنوا على ارواحهم فاصبحوا في ذمة الاسلام والمسلمين الذين اعطوهم ذمة الله ورسوله'، ينظر : علي حسن الخربوطي: الاسلام واهل الذمة،(القاهرة-١٩٦٩)،ص٦٥.
٤-توفيق علي وهبة:الاسلام في مواجهة اعدائه،ط١،(الرياض-١٩٨٣)،،ص٨٤.

والجزية هي اقل قيمة من زكاة المسلم فلو كان هنالك اكراه لكان من الافضل اكراههم على الاسلام وقبوله ، كي تكون الموارد المالية للدولة الاسلامية اكثر مما لو تركوا احرارا ، ان عقد الذمة يضمن لاهلها حقوقاً اوجب على الدولة تامينها واهم هذه الحقوق حق الحماية ، فالدولة الاسلامية كفلت هذا الحق من أي اعتداء داخلي او خارجي(١).

قال رسول الله (ﷺ) :(من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاماً)(٢).

وكان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) يسال الوافدين من الاقاليم عن حال اهل الذمة، خشية ان يكون احد من المسلمين قد افضى اليهم باذى ، فالحماية التي وفرها الاسلام لاهل الذمة تشمل حماية الابدان والدماء والاموال والاعراض، كما تضمن لهم التامين على حياتهم عند العجز او الكبر او الفقر.

فخالد بن الوليد (ﷺ) كتب لاهل الحيرة بالعراق وكانوا نصارى (وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل او اصابته افة من الافات ، او كان غنياً فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)(٣).

كما ضمن الاسلام حرية التدين التي تشمل حرية العبادة والاعتقاد وان لا يجبر على ترك دينه والتحول الى دين الاسلام ، مصداقا لقوله تعالى في سورة البقرة (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)(٤).

وفي وثيقة عهد خالد بن الوليد (ﷺ) لاهل عانات اذ تنص (ولهم ان يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا ، ليل او نهار ، الا في اوقات الصلاة ، وان يخرجوا صلبانهم في ايام عيدهم)(٥).

١-سيد قطب:العدالة الاجتماعية في الاسلام، ط٥،(القاهرة- ١٣٧٧هـ)، ص.١٩٤
٢-صحيح البخاري، باب موادعة اهل الذمة، حديث ٣١٦٦، ص٥٨٢..
٣-ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، (ت،١٨٢هـ): الخراج ، (بيروت-بلا) ، ص.١٤٤
٤-سورة البقرة:اية .٢٥٦
٥-ابو يوسف : الخراج ،ص١٤٦.

وحرية الدين هي نابعة من رحمة وموادعة الاسلام لكافة الاجناس والتزام هؤلاء بالقوانين(١).

هذه بعض الشواهد والحقائق تدل على ماتضمنته الشريعة في التعامل مع غير المسلمين ، ورغم النوايا الحسنة لبعض المستشرقين او ما ظهر منهافاننا نجد الكثير منهم يناصبون العداء للاسلام من خلال اقتران السيف بالاسلام والقران كي يعطوا ادلة على عدائية الاسلام ودمويته واخيرا انهما اعداء للحضارة والحرية ويعني انهما اعداء الانسانية ويمكن الرد على هذه الافتراءات بايضاح الاتي:

اولاً :هو موقف الشريعة الاسلامية من غير المسلمين وكذلك سلوك المسلمين نحوهم وهو ما تبين سابقا وسنكمله لاحقاً.

ثانياً: فهم الاسلام للحضارة وكيف اسس المسلمون حضارة انسانية رائعة.

فمن خلال النصوص القرانية نلاحظ موقف الشريعة الاسلامية في تعاملها مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها﴾(٢).

وقال عز وجل : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾(٣).

وهذه النصوص تدل على حرية الفرد في اختيار معتقداته دون اجبار واكراه وان دور الرسول(ﷺ) هو الانذار والتبشير والبلاغ ، اذ امر عز وجل ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين﴾(٤).

اما بخصوص سلوك المسلمين مع غيرهم من غير المسلمين فلم يرد في التاريخ ان المسلمين اضطهدوا قوما لاجبارهم على اعتناق الاسلام لان من لم يرغب في الاسلام دينا يسلك خيارا اخرا يقي نفسه ويصون ماله الا وهو الجزية، وان اهداف الفتح الاسلامي هو فسح المجال امام الفكر والعقيدة الاسلامية لتصل الى شعوب الارض وعند ذلك يبقى المرء حرا في الاختيار.

قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين﴾(٥).

١-سيد امير علي: روح الاسلام ، ترجمة امين الشريف،(القاهرة-١٩٦١)،ص.١٦٨

٢-سورة الاسراء:اية .١٥

٣-سورة الكهف: اية .٢٩

٤-سورة الشعراء: اية .١٤

٥-سورة البقرة: اية ١٩٣.

وان اعظم وثيقة تاريخية تثبت حرية العبادة لغير المسلمين هي الوثيقة التي تضم العهد الذي اعطاه الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) لاهل القدس في سنة خمس عشرة للهجرة ، وعلى ضوء هذه الوثيقة والتي تسمى العهدة العمرية ، صاغ المسلمون الكثير من العهود والامان مع المدن التي فتحت صلحاً.

اما الامر الثاني : فهو العلاقة مع الحضارة الانسانية:

فالاسلام لم يقاتل الحضارات الكائنة قبله بل تفاعل معها واستفاد منها واثر فيها فالحضارة العربية الاسلامية التي نشات ، تاثرت بمؤثرات ذاتية داخلية كالاسلام واخرى

خارجية مستمدة من حضارات بعض الامم القديمة كالفرس والهنود واليونان والرومان ، فمن هذه المصادر انبثقت حضارة اسلامية تمثلت فيها القيم والمثل العليا وكانت مناراً احتذت به شعوب العالم(١).

فالدارس لطبيعة العلاقة التي نشات بين الاسلام والحضارات يرى ان الاسلام التقى بالتقاليد المختلفة في الاقاليم التي انضوت تحت لواء الاسلام وصارعتها فقضت على ما يخالف الدين الاسلامي منها.

واختلط بالتقاليد الاخرى فعدلها حتى تتماشى مع الفكر الاسلامي ، واعطى الاسلام في تشريعاته هذه الفرصة للوفاق والامتزاج الحضاري ، وكان انشاء الحضارة العربية الاسلامية يسيراً كانتشار الدين نفسه ، اذ لا اكراه بل علموا الناس سلوك الدين ونظمه وهذا يختلف كثيرا عن نشر المسيحية التي كانت تحمل الناس على اعتناقها بمختلف الاساليب ومنها القسرية بينما كفل الاسلام لاصحاب الديانات الاخرى الحرية وساوى بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات(٢).

ويكفينا بالرد على هؤلاء المستشرقين اضافة الى رد مؤرخينا العرب ، الاستشهاد باراء الكثير من المستشرقين(٣).

الذين اوضحوا تسامح الاسلام والمسلمين مع من يخالفهم في الدين ولم يتصف الاسلام او الدعوة بالعنصرية العربية مطلقاً، وانما كان عالمياً في كل شيء ولم يكن الاسلام ديناً للعرب فقط ، وورد عن صحة بعثة الرسول (ﷺ) ، الى الناس كافة احاديث كثيرة .

١-ابراهيم سلمان كروي واخرون : المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢، (الكويت-١٩٨٧)،ص١٧-١٨.

٢- المرجع السابق ، ص.١٩

٣-ينظر جوزيف رينو: الفصل الثالث من نفس الرسالة.

فعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ﷺ) : اعطيت خمسا لم يعطهن احد الانبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة)(١).

ان الدعوة الاسلامية لم تتسم بالتعصب واضطهاد الاخرين فالقران الكريم اعطانا الدلالات على ان الدعوة الاسلامية هي دعوة عالمية جاءت لخير البشر دون تفرقة في الجنس واللون(٢).

قال تعالى : ﴿ وما ارسلناك الا كافة الناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾(٣).

ولنا في السنة النبوية ادلة كثيرة على ان الدعوة الاسلامية عالمية المنشا ولم تخص العرب فقط، وفي حديث اخر قال الرسول (ﷺ) ((اول جيش من امتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم))(٤).

ففي هذه الاحاديث ما يؤكد عالمية الدعوة وانه ارسل الى الناس كافة ، لافرق بين شخص واخر ،فمن سمع بدعوته (ﷺ) ولم يؤمن به مهما كان محبا للدين الذي عليه فمصيره جهنم.

لكن هذا ليس معناه اكراه الناس فقد تمتع اهل الذمة بحقوق عديدة من بينها حرية الدين والحقوق ، وكذلك حرية في القضاء والادارة لكنهم ظلوا تابعين للدولة العربية الاسلامية ، واراد المستشرقون من هذه الفردية، جعل الاسلام مقصورا على العرب فقط وان دافع الفتوحات ونشر الدين الاسلامي هو دافع عنصري قومي بعيد عن الارادة الالهية وعن انسانية الاسلام وعالميته.

لقد كان الغزاة من غير المسلمين يجبرون البلاد التي يغزونها على الخضوع لهم دون السماح بممارسة حرياتهم وحقوقهم وكانوا يدمرون مدناً ويبيدون بشراً ، اما المسلمون فلم يهدموا او يخربوا او يحرقوا زرعا او يقتلوا شيخا او طفلا(٥).

١-صحيح البخاري: باب الصلاة، حديث ١٢٠٣، ص.٩٦

٢-عبد الحميد العبيدي: الجهاد في ماضي الامة وحاضرها، مجلة دراسات اسلامية،(بغداد-٢٠٠٠)،ص.٥٩

٣-سورة سبا: اية .٢٨

٤-صحيح البخاري، باب قتال الروم، حديث٢٩٢٤،ص٥٣٧.

٥--ابن عبد ربه، ابي عمر احمد بن محمد(ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق محمد التونجي،ط١، (بيروت-٢٠٠١)،ج١، ص١٤٣.

بل كانوا يؤمنون دون مقابل ويمنحونهم الحرية الدينية شرط قبول الصلح والجزية ، وحماية حصن قضية انتشار الاسلام بالاكراه ، هو ان معظم البلاد التي انتشر بها الاسلام في اسيا وافريقيا كان ينتشر بقوته الذاتية، ومبادئه القويمة عن طريق التجار المسلمين ، الذين راى فيهم اصحاب تلك البلدان الامانة والتقوى وكانوا يشاهدونهم وهم يقومون بشعائرهم ، فيسالون عن هذا الدين فيشرحونه لهم، ويقنعونهم به فيسلمون على ايدي هؤلاء التجار

لدرجة ان هنالك دولا باكملها اسلمت دون ان يدخلها جيش المسلمين ومنها جزر اندونيسيا وغيرها(١).

لقد تم عرض ومناقشة جملة من اراء المستشرقين المغترضين ومناقشتها وكان هدفهم الطعن بالاسلام وانتشاره ، اذ ركزوا على انه انتشر بالسيف والاكراه بغية الوصول الى جملة من الاهداف منها ، الربط بين انتشار الاسلام والفتوحات الاسلامية ، فمن المهم ان نوضح العلاقة او الرابطة بين الفتوحات الاسلامية وانتشار الاسلام ، فالفتوحات الاسلامية هي الاعمال الحربية الموجهة من المسلمين ضد عدو معين ولعدة اسباب، اهمها رد العدوان او اجهاض استعدادات العدو لشن عدوان .

ولو كانت الفتوحات ترمي الى اكراه اهل البلدان المفتوحة على قبول الاسلام لكان في اسلام اهل الحبشة مثال واضح لنا ، اما فتوحات العراق وبلاد الشام ومصر وفارس فقد ترك المسلمون اهل هذه البلاد احراراً، ولم يجبروهم على اعتناق الاسلام بل ان اكثر مدنهم فتحت صلحاً، وبقي اغلب سكانها على دينهم يمارسون طقوسهم وعياداتهم ، ولم تبن الدولة العربية الاسلامية امبراطوريتها تحت ظلال السيوف وامتزاج الفتوحات الاسلامية بتاريخ الفتح الديني(٢).

ان الربط بين الفتوحات ونشر الدين هو ربط يعتمد على المشاركة والموادعة مع باقي الاديان، ان قبول الاسلام كان بمعزل تام عن الخضوع لسلطات الدولة ولقوتها لانه منذ بداية نشر الدعوة الاسلامية على يد الرسول الكريم محمد (ﷺ) ، ارسل البعوث والوفود دون يسل سيفا ويقاتل عدواً(٣).

١-توفيق علي وهبة: الاسلام، ص٨٧.
٢-وهبة الزحيلي:اثار الحرب في الفقه الاسلامي ،ط٣،(بيروت-١٩٨١)، ص.٦٧
٣-حسين ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي،ج١،(القاهرة-١٩٤٥/١٩٤٨)،ج١، ص١٠٥.

واستمر من بعده الخلفاء والامراء والقادة على النهج نفسه وهو السلم اولاً ثم الحرب اخيراً ، وترك الذين يؤدون الجزية لحرية عقيدتهم والدعوة عن طريق الاكراه مرفوضة في الاسلام وبهذه الحقيقة يظهر الاسلام بمبادئه الصحيحة وان اعتناقه كان ولا يزال دون اكراه.

وان مبعثه الاقتناع بصحة مبادئه ولا يستطيع احد ان يثبت ان الخلفاء او احد ولاتهم قد اتى بشخص وخيره بين الاسلام او القتل ، فلو كان هنالك اشخاصً اكرهوا على الدخول في الاسلام ، لارتدوا بعد زوال سلطة المسلمين عن تلك البلاد، بل يكفي الاسلام فخراً انه لم تؤلف في ظله محاكم تفتيش لاجبار الناس على اعتناقه كتلك التي اقامها المسيحيون في الاندلس(١).

ولقد اظهر التاريخ الاموي المعاملة الحية لاهل الذمة والذين بقوا على دينهم داخل هذه الدولة دون قسرية او اكراه على ترك دينهم، فقد كان طبيب عبد الملك بن مروان ذمياً وجميع من كان يعمل في ديوان بيت المال وبعض مرافق الدولة هم من اهل الذمة فاين الاكراه في عالمية الاسلام ومبادئ الاسلام الذي تجسدت عدالته في كتابات الغربيين والعرب معاً.

١-ابراهيم سليمان الجبهان: معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ،ط٤،(بيروت-بلا)، ص١١٦.

راي فان فلوتن فى الفتح الاسلامى للمشرق:

ابتدا فان فلوتن كلامه باعطاء رونق شفاف عن المسيحية واختلافها عن الاسلام وسبب انتشار الاولى بين الامم ومانع الثانية من الانتشار بالشفافية نفسها فيقول : ((ثمة فارق

كبير بين المسيحية والاسلام فقد انتشرت الاولى في الظل تحت ثقل الاضطهاد والآلام ، منسجمة مع مقولة المسيح " ان مملكتي ليست من هذا العالم" واستطاعت ان تحافظ على طبيعتها العالمية المتطورة ، متسلسلة بهدوء عبر القرون الى امم مختلفة ذات حضارات متقدمة وراقية ، وخلافا لذلك فقد تمتع محمد(ﷺ) بفضل اسلام المدنيين بسلطة روحية وزمنية عظيمة ... وقد اصبح الاسلام دينا نضالياً يعلن عن نفسه بالانذار وقوة السيف))(١).

وكذلك يقول: ((وحتى في شبه الجزيرة العربية لم يكن لاعتقاد الناس في هذا الدين او بالاحرى خضوعهم له نابعا عن موادعة ومسالمة ، فما كان للنبي من قوة وتاثير دفع بالقبائل البدوية الى مبايعته' والاعتراف به ذلك الموقف الذي انقلب بعد موته لان ما اخذته من الاسلام لم يكن عن اقتناع بـ"كتاب الله" ولكن بقوة السيف...))(١).

يهدف فلوتن من كلامه ان الاسلام انتشر بقوة السيف ، وان ايمان الناس بهذا الدين لم يكن نابعا عن اعتقاد الناس بهذا الدين، وانما كان دافع الناس لدخول هذا الدين هو الارهاب والخوف من القتل، وهذا الادعاء ساده الكذب والافتراء فمن اين للرسول(ﷺ) هذه القوة الارهابية وهو واتباعه المعدودين وهو قوة مستضعفة في مكة بين القبائل العربية المحيطة بها فكيف يعمل على نشر دينه عن طريق الارهاب والقتل وهو الذي ينشر فيه طريق التسامح والرحمة، ويعلل هذا الموقف ارتداد الناس عن دينهم بعد وفاة الرسول(ﷺ) ، وان القبائل البدوية هي قبائل متخلفة ان امنت به فهي نتيجة لعدم تحضرها وبقائها على البداوة التي لاتعني شيئا ، وان ايمانها ومبايعتها لمحمد على الاسلام ، واعترافهم به ناتج عن الخوف من سيف محمد ، لكن ما غاب عن المستشرق فلوتن ان من ارتد من هؤلاء ليس كل القبائل وانما جماعة من المنافقين والمرتدين والذي امر الله رسوله بمحاربتهم الامر الذي دفع الجيش العربي الى محاربتهم وارجاعهم الى حيز الدولة العربية .

١-فان فولتن: الدولة الاموية والمعارضة، د.ابراهيم بيضون،ط١،(بيروت-١٩٨٠)،ص.٦٢
٢-المرجع السابق ، ص٦٢.

ويحدثنا فلوتن عن بدايات الفتح الاسلامي وكيف ان العرب ابتدعوا هذه البدايات لدينهم ليصبحوا اسياد هذا العالم وكان دافعهم الطمع وحب السيطرة فيقول : ((لقد ادرك النبي بعد وقت غير قصير بان دينه الموجه اساسا الى ابناء قومه لم يرق لاهل الكتاب من اليهود

والنصارى ، حيث لم يتردد مطلقا بتسميتهم بالكاذبين واتهامهم بتحريف كتبهم معلنا ان دينه وحده هو الدين الحقيقي والارقى درجة بين الاديان وكان من نتائج هذه طرد اليهود من المدينة وشن حملة على الامبراطورية البيزنطنية المسيحية فيما بعد...))(١).

ان توجه فلوتن نحو التقديح بانسانية الرسالة السماوية وعالميتها ودوافع الفتح الاسلامي امر مجهول السبب لكن ما نود ان نشرحه ونرد به على المستشرق فلوتن ان الرسالة الاسلامية هي رسالة سماوية عالمية وان محمد(ﷺ) هو خاتم الرسل وان من واجب هذه الرسالة ان تعم ارجاء الارض وليس فقط الجزيرة العربية ولا فقط العرب ، وان طرد اليهود هي مسالة حيثياتها بعيدة عن كره الرسول لليهود، وسببها خيانة اليهود للرسول بعد عقد معاهدة معه، وان مسالة اختلاق الاكاذيب لشن حرب على الامبراطورية البيزنطية كانت لها دوافعها واسبابها ليس لها علاقة بتحامل الدين الاسلامي على الاديان الاخرى، ولم يحمل الدين الاسلامي طابع انتهازي ليستغل قوته وعالميته ويحطم الاديان السماوية الاخرى ،ولم يكن ما يسميه فلوتن ادعاءات محمد (ﷺ) على وحدانية هذا الدين ورقيه سبباً يجعل الرسول يحارب اليهود والنصارى ويقتلهم ويعاملهم بارهابية .

وانما كانت سماحة الدين ورقيه ووحدانيته واستقلاله بمبادئه جعلت من الشعوب تخضع له بسهولة دون خوف او وجل في اطار التحضر والتطو ر وهي ترافق هذا الدين ، على العكس مما وصفه فلوتن الذي يتهم الاسلام بالبداوة وعدم التحضر وانه جاء كتركة ثقيلة تحملت به اعباء الفاتحين.

فيقول: ((واذ ما عرضنا تلك الحروب المعدة في هذا الاتجاه واثرها على الحالة النفسية لدى القبائل سنجد انها احتملت الاسلام كنير ثقيل حتى في مرحلة الفتوح الاولى ، غير ان هذا الدين من ناحية اخرى اتاح لها الممارسة الحرة في تفجير طاقاتها القتالية))(٢).

١-المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.
٢-المرجع السابق، ص٦٣.

ويصف فولتن الفرق بين الاسلام الذي جاء بهمجية القتل والرعب وبين المسيحية التي كانت قد خلصت العالم من القسوة برفعه وسماحة على الرغم من سيرها ببطء على عكس الاسلام فيقول :((اما المسيحية فلم تنتصر الا بعد قرون من المحن والالالم خلافا للاسلام

الذي لم يكد يمضي على ظهوره اثنا عشر عاما حتى اعتنقه شعب باكمله ، وكان على استعداد ليس للمعاناة فقط وانما للسير قدما في الفتح وفي الوقت الذي وجدت المسيحية انتصارها بين امم اكثر تحضراً ، ولم يكن الشعب العربي قد تجاوز حالة البداوة بكثير...))(١).

ردنا على فلوتن قد سبق وان ذكر وهي ان المسيحية لم تكن تحمل عدالة الاسلام او مبادئه السامية لذلك كان جموع الناس الداخلة للاسلام اكبر وليس له علاقة بمدى تحضر الناس او تخلفهم فقد امن به ملوك في مشارق الارض ومغاربها ، ويشير فولتن الى ان الفتح الاسلامي لم يكن فتحا الغاية منه نشر الدين الاسلامي واخضاع عالم كامل لدين او ديانة واحدة وانما كانت حب الاخضاع عن طريق السيف وابراز معايير القوة واظهار العزة العربية هي ما دفعت تلك القبائل العربية الى خضوع غمار الحروب فيقول: ((من الواضح انها - أي الفتوحات الاسلامية- لم تكن مسالة دين امتد تاثيرها الى سوريا وقسم كبير من المملكة الفارسية القديمة ، ولكنها مسالة جنس غريب وغير مثقف استطاع بقوة السلاح النفاذ الى المقاطعات المسيحية والاقامة بين مناصري ديانة زراد شت))(٢).

لكن هذا الجنس الغريب استطاع ان يندمج بسهولة يصعب معها التمييز على عكس المسيحية التي بقيت تحاول نشر دينها لكن دون جدوى، وان الدين الاسلامي لم يفرض نفسهُ بقوة السلاح لكنه امتد بانسيابية عالية يصعب وصفها وكثيرة هي البلدان التي خضعت للدين الاسلامي عن طريق التماس بالشعوب الاسلامية وليس عن طريق الفتح ناهيك عن دور التجارة الذي اسهم بشكل كبير في نشر الدين الاسلامي دون سيادة مباشرة من قبل الدولة العربية الاسلامية .

١-المرجع السابق ، ص.٦٣

٢- المرجع السابق ، ص٦٣-٦٤.

ويظهر فلوتن انه في حالة المقاومة ورفض الاستسلام للمسلمين الحق في قتل الرجال واستعباد النساء والاطفال ويفضل عادةً ترك الارض لاصحابها واستغلالها لحساب المنتصرين (أي المسلمين الفاتحين) ولاجل ما تم تصريحه من قبل فلوتن فانه اكد

بقولــه((لايصح اعتبار الغزو الاسلامي تلاحماً بين جنس واخر ، او انتصاراً روحيا لدعوة ما ، ولكنه كان يمثل احتلالاً مسلحاً...))(١).

لكن ما غاب عن المستشرق فلوتن هو ان أي حرب تورد خسائر بين الطرفين وفي سبيل نشر عقيدة الاسلام كان يجب تحطيم اية مقاومة ممكن ان تقف بوجه الدين الجديد الامر الذي غالبا ما يسبب خسائر كبيرة للمسلمين.

لذلك كانت شروط الفتح واضحة وهي الجزية او الاسلام ومنح الحقوق في الحرية الدينية والتملك داخل البلاد المفتوحة ولا يوجد داخل الدولة العربية الاسلامية أي نوع من الاستعباد او سلب الحقوق ولجميع فئات المجتمع الحقوق الكاملة داخل الدولة العربية الاسلامية، واما مسالة استغلال الارض فان المسلمين تركوا المنشئات والممتلكات كما هي وان استغلال الارض لم تكن لحساب الفاتحين لان المسلمين الذين يمتلكون الارض ينفقون خراجها للدولة العربية الاسلامية فكان لازماً حصول عدالة بين المسلمين وغير المسلمين فيؤخذ الخراج من كل من قام باستصلاح ارض داخل البلاد الاسلامية.

واكد فلوتن ان حياة المستوطنين العرب تتوافق مع شخصياتهم العسكرية التواقة للقتال والحروب ، وبما انه كان محظوراً على الفاتحين الاستملاك والعيش من العطاء ومن المعونات التي يــدفعها الشعب الخاضع للمحتل - أي للعرب- لذلك كان عليهم البحث عن مصادر لا تنضب وهي الغنائم والتي يمكن الحصول عليها عن طريق الاحتلال الدائم وفتح للبلدان واستغلالها(٢).

ويضيف فلوتن حالة المسلمين عند فتحهم لتلك البلدان واصفا اياهم بانهم قبائل تعيش عبئا على الشعوب المغلوبة حين قال : ((الشعوب المغلوبة تبذر وتحرث والمسلمون يحصدون ويشغلون انفسهم بمهنة شريفة هي الحرب))(٣).

١-المرجع السابق نفسه، ص.٦٤

٢-المرجع السابق، ص.٦٤

٣-المرجع السابق، ص٦٤.

ولايمل فلوتن من تسمية الفتح الاسلامي احتلالاً لايهمه سوى العبث والارتزاق على مقدرات الشعوب المغلوبة او المحتلة كما يدعيها، ولم يذكر ميزات وايجابيات للفتح الاسلامي وانها لم تظهر (أي الفتوحات) لتدعو الى دعوة روحية ذات مبادئ سامية وانما

وجدت للحصول او كسب المغانم من قتل الناس وارهاب الشعوب بعد احتلال البلدان ، وان ما دفعه لهذا الاحتلال هو الفقر والشحة واصفا المسلمين الفاتحين على انهم مرتزقة اينما وجدت الاموال وجدوا، فمنحها الاسلام كل ما يحتاجونه .

وهذا افتراء واضح من فلوتن ، وذلك لان الكثير من البلدان التي فتحت هي التي استنجد اهلها بالمسلمين طامعين بالدين الاسلامي الذي حمل راية العدالة والمساواة وهذا ما نجده في فتح أسبانيا الذي استنجد اهلها للخلاص من حكم القوط.

لكن فلوتن تجاهل هذه الحقيقة ويركز على ان فتوحات الشرق كانت عنوة ودون رحمة ، وتجاهل ان الفتح الاسلامي للمشرق كان لتخليص الشعوب من استبداد الساسانيين واستعبادهم لشعبهم ، فدخل الفاتحون تلك البلاد وباذرع مفتوحة مرحبة من قبل سكان البلاد المفتوحة، لذلك فان الاسلام والفتح الاسلامي لم يفرض نفسه بالقوة وانما احوال تلك الشعوب فرضت نفسها على الاسلام والفتح الاسلامي..

وقد وصف فلوتن الفتح الاسلامي : ((بانه سلطة انتقالية تفتقر الى الترحيب الا اذا احدثت تغيرات من شانها ان تخلق الرضا عند الشعوب المحتلة وان كانت هنالك اصلاحات قد وجدت فانها لم تات بالوقت المناسب))(١).

ويرى فلوتن ((ان الحكام الفاتحين كان همهم الحصول على الاموال وحرصهم على ملكية الارض والسيطرة على اكبر عدد من البلدان والمدن ، ووصفهم بانهم اقطاعيين الذين لايهمهم سوى الحصول على المحصول ، وان الفتح الاسلامي هو عامل تخريب))(٢).

فلماذا لايسال فلوتن نفسه كيف يستطيع حكم او سلطة مهما بلغت درجة تميزها ان تحدث تغيرات وعلى مختلف الطبقات في ليلة وضحاها خصوصا ان البلدان التي فتحها المسلمون هي بلدان مستنزفة اقتصاديا ومنهكة سياسيا من شدة التعسف.

١- فان فلوتن: الدولة الاموية والمعارضة،ص٦٤.
٢ــــالمرجع السابق، ص٦٥.

وان ما فعله محمد بن القاسم عند فتحه للبلاد الشرقية هو تنظيم مالية البلدان وتحسين الجزية التي كان لها احكامها وزراعة الاراضي وبناء قنوات الري وانشاء المساجد ودار

الامارة للنظر في المظالم ، وكان القائد المسلم الذي يفتح مدينة يعين عليها قاضياً للنظر في امورها دون الرجوع الى الخليفة(١).

فنجد سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز التي كانت سياسة بارزة في المشرق اتت ثمارها باقبال الناس على اعتناق الاسلام وانتشاره في اقليم خراسان والاقاليم الاخرى فيما وراء النهر واقليم السند، فقد كانت سياسة هذا الخليفة هي تحقيق العدل والمساواة والحرص على مصالح المسلمين ومحاسبة الولاة وعزل من عرف منهم بسوء سياسته وظلمه للناس ، وعمل على الغاء ضريبة (الراس)، التي كانت تجبى من المسلمين غير العرب ، ومنح الداخلين في الاسلام هبات من المال ، كما اوجد حلا لمسالة المسلمين غير العرب، فراى ان لايؤخذ ممن اسلم بحكم انه جزية في الاصل وانما ابقى على الارض على انها من فيء المسلمين ولم يعد هنالك ارض مملوكة لاصحابها وانما تعود ملكيتها للدولة ، واكد ان الخراج يدفعه من استغل الارض الخراجية سواء كان مسلما او غير مسلم، عربيا او مولى وجعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والعطاء والمعونة سواء، ونظم مسالة دفع الزكاة وخصص جزءاً منها للمؤلفة قلوبهم كما ينص القران الكريم بقصد الترغيب في الاسلام وجعل خمس الغنائم للمسلمين ، وارسل الى ملوك ماوراء النهر يدعوهم للاسلام فاستجابوا لهذه الدعوة وارسلوا يعلنون اسلامهم ، كما اعتنقت جموع كبيرة من الاتراك الوثنيين في تلك النواحي وعرض عمر بن عبد العزيز على ملوك السند يقرهم على ملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين اذا ما اعتنقوا الاسلام ، فاسلم جبيشة بن زاهر وبقية ملوك السند وتسموا باسماء عربية(٢).

فكانت هذه الاعمال ردا على افتراءات فان فلوتن في اهتمام الخلفاء والولاة بمصالحهم الشخصية فاي احتلال ينظم حياة الشعوب كالفتح الاسلامي ؟! ومما يؤكد هذا ما ذهب اليه فلوتن نفسه الذي وصف الفتح الاسلامي .

١- البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٢٤-٤٢٧.
٢- ابن الاثير:الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٤.

بانه قد جاء باصلاحات كبيرة كبناء الطرق وحفر الاقنية وتامين الحماية لاهالي البلاد(١)

.

اذن مسالة الاحتلال التي يدعيها فلوتن هي مناقضة لما قام به الفاتحون العرب من اعمال اصلاحية خدمة لتلك الشعوب المفتوحة وليس المحتلة .

وقد داب الفاتحون على انقاذ الشعوب المقهورة ونشر الديانة السماوية بكل ادب وسماحة وهو امر ناقضه فلوتن حين قال: ((ان الفاتحين العرب وفي طليعتهم الخلفاء انهم تجاهلوا هذه الحقيقة واعطوا الاولوية لمصالحهم الشخصية ، واذا اردنا الدلالة على السيطرة العربية انها لم تخلق اية شروط مرضية مطلقا للشعوب التي اخضعتها فلكي نبين ان هذه السيطرة رفضت في الوقت المناسب أي اصلاح او تغيير كانت البلاد باشد الحاجة اليه))(٢).

ويثير المستشرق فلوتن قضية اخرى او افتراء اخر هو ان ((ان طموح الفاتحين يؤكد اخلاصهم لقضية مشتركة تفوقت على أي اهتمام اخر بالاضافة الى نزعة الاحتلال كان هنالك الجشع والانانية الذي سرعان ما استاثر بقلوب المحتلين الذي افسد نفوسهم اكثر من تهذيبها ، كما ان الحملات العسكرية ضد الكفار كانت تلبية لرغبات القادة اكثر منها في نشر العقيدة الدينية الذي تجلى بصورة خاصة في اقليم خراسان والاقاليم الشرقية الاخرى كطبرستان وطخارستان ،وان عائدات الغنائم كانت سببا في غزوات المسلمين العرب))(٣).

اضافة الى ((ان حروب جرجان وطبرستان التي قام بها يزيد بن المهلب التي لم تكن في الحقيقة سوى حملات من الارهاب وقطع الطرق ضد شعوب لاتبغي سوى السلام))(٤).

لقد بينا سابقا ان الفتح الاسلامي لم ياتي لارهاب الشعوب بل كان مستعدا لخلق شعوب جديدة داخل الدولة العربية الاسلامية وانه منح الشعوب كافة الحريات والعدالة ، ولم تكن الغنائم سببا في احتلال البلدان لان الدولة العربية الاسلامية كانت تعطي المقاتلين حقوقهم فلماذا يفكر هؤلاء في قتل الناس ومحاربتهم.

ويروي فلوتن قصة فتح سمرقند على انهاحملة ارهابية لان فتحها كان نتيجة لاستسلام اهل هذه المدينة على اثر معاهدة مبرمة مع سعيد بن عثمان مقابل دفع سبعمائة الف درهم وتقديم الف من سكانها كرهائن.

١-فلوتن: الدولة الاموية والمعارضة،ص.٦٦

٢-المرجع السابق، ص.٦٦

٣-المرجع السابق، ص٦٨.

٤-المرجع السابق، ص٦٨.

ثم استولى عليها قتيبة بن مسلم وطرد اهلها واحتل جنوده منازلهم واستبيحت المدينة وطبقت عليها شروط الاحتلال العسكري(١).

ويشير فلوتن الى ((ان الفكرة التي خالجت العرب وزعماءهم عن المهمة الموكولة اليهم بالشرق ، هو وضع كل منهم مصلحته الشخصية في المقام الاول، بينما احتل الاسلام المرتبة الثانية من اهتمامهم))(٢).

لكن ما رواه فلوتن عن قصة سمرقند كان معتمدا فيها على حدسه في رواية الاحداث واعتماده على المصادر الاجنبية لذلك جاء وصفها بابشع صورة ، لكن من واجبنا سرد حقيقة هذه الحملة وان قتيبة بن مسلم استولى على سمرقند بعد ان نقض اهلها المعاهدة المبرمة مع سعيد بن عثمان مما دفع الى فتحها عنوة وتطبيق شروط الفتح عليها.

لذلك ادعى فلوتن ان الفتح الاسلامي جاء ليخدم مصالح الخليفة والقائد وان نشر الاسلام بمبادئه السمحة امر مرهون للظروف وياتي بالدرجة الثانية من اهتاماتهم وهذا كلام باطل في راي فلوتن، الذي لم يبرر فلوتن ان فتوحات يزيد بن المهلب هي فتوحات غايتها نشر الاسلام وانما كانت لتلبية المطامع الشخصية فقط، وان دخوله خراسان كان طمعا في الحصول على مكاسب جديدة وان ثروته الشخصية هي حصيلة ما جناه من احتلاله لمدن الشرق.

لكن ما غاب عن نظر فلوتن حرص الخلفاء على اتباع سياسة محاسبة ولاتهم والذين كانوا يعملون بها منذ العهد الراشدي والتي استمرت حتى نهاية العهد الاموي وسياسة المحاسبة كانت تشمل الولاة والقادة والتي لايمكن بها الاستيلاء على الاموال والغنائم(٣).

فضلا عن ان يزيد لم يكن بحاجة الى قتل الناس وسلبهم اموالهم لحاجته اليها اضافة الى ان جرجان وطبرستان حظيت بعناية فاتحها يزيد بن المهلب فعمر المدينة المعروفة باسمها واحاطها بسور فضلا عن ان يزيد بن مهلب عند فتحه لجرجان وطبرستان اللتين كانتا غنيتين بموارهما ، قد امد الله المسلمين من الفئ والغنيمة الشيء العظيم (٤).

١-المرجع السابق، ٦٩.

٢-المرجع السابق، ص٦٩.

٣-للمزيد ينظر : البلاذري: فتوح البلدان، ج.٣

٤-الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة(١٩٦٠-١٦٩٦) ، ج٦ ص٥٤٤.

واختط اربعين مسجدا داخل قصبتها وبعضها في الربض ومن بينها مسجد لنفسه(١).

وهذا دحض لادعاء فلوتن بخصوص ما يشمل فتح جرجان وطبرستان ، ويناقشنا فلوتن بان الامويين لم يكونوا الملامين وان هنالك اسباباً عديدة جعلت منهم سفاحين وطامعين وذلك لانهم اقتبسوا من الجيل الاول الذي كان جيل سيف وان التعطش للقتل هي نزعة سكنة خيال المسلمين العرب منذ بداية الفتح ، وان ما يبرر فتوحاتهم -أي الامويين- هو تاثرهم بالامبراطورية البيزنطينية الذين كانوا يقتبسون منها كل شيء ليطغوا على حالة الجهل والبداوة التي يعانون منها ، وان هذا الطمع جعل من الامويين يختارون عمالهم وموظفيهم ومستخدميهم من بين هؤلاء العرب المترفين، الذين اعتادوا العيش برفاهية والانغماس بالحياة وملذاتها لذلك يصف فتوحاتهم بقوله: ((ان الروح السائدة في العهد الاموي روحا غير دينيةوما تقدم من البرهان دينوية الحملات التي استهدفت الكفار وهو تاكيد قاطع على تجاوز الاربعة ملايين درهم في عهد الوالي عبد الله بن ابي سرح))(٢).

ولم يكن الرسول (ﷺ) حامل راية الاسلام والسلام هو قاتل او منازع عن عرش مملكة ما بل كان راع للغنم.

لذلك اقتبس الخلفاء من بعده هذه الميزة التواضع وحسن الخلق والسماحة وعدم التكلف ولم يتغير مبدا التواضع في عهد الامويين وابسط مثال ما ارخه التاريخ عن عمر بن عبد العزيز ، ذلك الخليفة الاموي الورع الذي تميز بحقن الدماء واثارة السلم على الحرب حتى وان كانت في سبيل الله ، وان ما يتهمه فلوتن من تشبه الامويين بابهة البيزنطيين ، فكانت حالة اضطرها قرب جوار بلاد الشام من الدولة البيزنطية ولم يكن معاوية وهو والي سوريا منذ عهد عمر بن الخطاب غافلا عن هذا الشيء بل اراد اظهار الدولة العربية بابهى مظهر امام عدوها لكي لايستخف بها وخصوصا في فترة الحرب التي طالما ظلت مستعرة بين العرب المسلمين والبيزنطيين دون ركود دائم(٣).

١- السهمي:حمزة بن يوسف بن ابراهيم (ت٤٢٧هـ)، تاريخ جرجان او معرفة علماء اهل جرجان ،(الهند-١٩٥٠)، ص.٩١

٢-فلوتن، الدولة الاموية والمعارضة، ص٧١.

٣- عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية،(بيروت-١٩٧١)،ص٦٠٢.

وقد نبه الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) معاوية بن ابي سفيان حول الظهور بتلك الهيئة فقال معاوية: ((يا امير المؤمنين انا في ثغر اتجاه العدو وبنا على مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة))(١).

وقد اقتنع الخليفة الفاروق باسباب معاوية وخصوصا ما عرف عن (عمر) من حرصه على قطع مظاهر الدنيا او التمسك بها لنسيان الاخرة، و ان شاعت تلك المظاهر ليس معناه ان الروح التي كانت سائدة هي روح غير دينية.

ويؤكد فلوتن ان سر الفتوحات الاموية داخل محور الشرق انما هو الطمع في الخراج الذي كان يفرض وبشكل تعسفي ، وقد كان عهد الامويين هو عهد المزايدة على الضريبة التي تفرض ، لانهم يفرضون ضريبة ثابتة اضافة الى الضريبة القانونية وقد كان هذا النظام سائدا في بلاد فارس(٢) .

لذلك وجب علينا التنبيه على ان ضريبة الخراج هي اقل من ضريبة الزكاة التي تفرض على المسلم والتي كانت الدولة الاموية حريصة على استحصالها ومعاملة الرعية بالسوية داخل البلاد العربية الاسلامية ، وانه لو قرأ المصادر العربية لوجد ان عمال الخراج لم يخامرهم شك في المصير الذي ينتظرهم بعيد عزلهم ، من محاسبة وحبس وتعذيب.

وهذا ما نجده في تشريعات الفاروق عمر (رض الله عنه) فقد استشرع قانوناً لحصر التجاوزات الادارية والمالية ويقوم بتسجيل ممتلكات الولاة وعمال الخراج قبل تعينهم في مناصبهم والزامهم بعد الاعتزال عن وظائفهم بدفع نصف الاموال التي جمعوها على حساب الادارة ، وهذا النظام ظل معمولا به حتى نهاية العصر الاموي وكان هذا النظام يسمى (بنظام المقاسمة) ولم يكن أي والِ او قائد يتجرأ ان يستاثر لنفسه بأي مبلغ من المال(٣).

ووجد نظام يتابع هذا النظام وبدقة وهو نظام التحقيق بالمكتسب من المال ومتابعة الثروات المكتسبة التي كان يتم اخفاؤها عن اصدقاء الولاة او اقاربهم وقد استعمل بنو امية هذا النظام وبصرامة.

١-ابن خلدون:عبد الرحمن ابو زيد، ت٨٠٨هـ،المقدمة،(بيروت-١٩٦٨-١٩٧٢)، ص.٣٦٠

٢-فلوتن: الدولة الاموية،ص.٧١

٣-الطبري : تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص٥٠١-٥٠٢.

وقد كان هذا النظام يؤهل الدولة للاشراف على الجباية ومراقبتها وقد اخضع الجباة وعمال الخراج في عهد عبد الملك بن مروان الى التحقيق الدقيق والتعذيب في بعض الاحيان للاعتراف والادلاء بالحقيقة وقد سمي هـذا النظام (بنظام الاستخراج او التكشيف) ، ويتم التحقيق في اماكن خاصة تسمى (دار الاستخراج)(١).

ولا يمكن لـدولة غير متاهبة لادارة عـالية وتعمل على تحديث انظمتها بصورة دائمة وان تضع عليها من هم ثقاتها ان تكون قد رسمت سياسة استعمارية واستنزافية في ادارة البلاد التي يتم فتحها، وان ما استعرض من حالات شاذة في بعض المصادر لا يمكن الاستناد اليها على اعتبار ان الدولة كانت تشجع مثل هذه السياسة وان ظهور تلك الحالات هي نتيجة افرازات المعارضة للدولة الاموية ، ولا تخلو دولة ما من معارضة لسلطانها مهما كانت على درجة عالية من المساواة والعدالة .

ويصف فلوتن الفتح العربي بانه اصطنع عنصرية حينما فرق بين الموالي والمسلمين، وان تقريب المسلمين لطبقة الموالي ليس بدافع المساواة والعدالة وانما لحاجة الدولة الاموية الى تكوين جيش يستمر بالفتوحات بعيدا ،أي اعتبارهم اداة حربية.

وقد كافأ هؤلاء الولاة والخلفاء تلك الطبقة بجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية فيقول: ((لقد شاع استخدام العرب لكلمة الموالي الكلمة المقترنة بالمعنى الاسترقاقي، اضافة الى انهم كانوا يدعوهم باسمائهم الشخصية كالعبيد، واذ ما اراد احدهم التزوج فعليه التوجه الى سيده الذي كان له الحق في الرفض ، واما في الجيش فقد كانوا يشكلون فرقاً خاصة بتكوينها وقياداتها ومن المرجح انهم كانوا يشاركون في الحروب كمشاة فقط))(٢).

ولم يرض فلوتن بالتوقف عند هذا الحد من السفه عن الفتوحات الاسلامية بل استمر بالتشويه بوصفه ان الموالي هم الحقيقة المشوهة لعدالة الفاتحين المسلمين فضلا عن محاولات التفريق بينهم وبين العرب التي اتخذت اشكالاً متعددة حتى تميزهم بالعبادة فيقول((...وفي الاجتماعات اقتنعوا باحط الامكنة ، دون ان يكونوا مقبولين بمساجد العرب ، حيث كانت لهم مساجدهم الخاصة ، وهذا افضل ما نعبر به اخيرا في وصف حالة الموالي الاجتماعية وما لحقهم من احتقار من اخوانهم في الدين))(٣).

١-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ص٥٠٢، كذلك :ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد ، ج١ص١٧٩، ج٣ص١٣.
٢-فلوتن: الدولة الاموية، ص.٨٢
٣-المرجع السابق، ص٨٢.

ونحن نجد السلبية اضافة الى الطعن التي يطالعنا بها فلوتن وبعده عن الموضوعية خصوصا في موضوع الموالي الذين حققوا اكبر نسبة من العدالة والحرية في ظل الاسلام والفتح الاسلامي ، وان الجيش العربي لم يكن بحاجة الى الموالي في فتوحاته فلقد فتحت بلدان عديدة مثل (جرجان وطبرستان وخراسان).

دون مساعدة الموالي الذين ان دخلوا الى الجيش فهو بدافع الجهاد الذي يمليه عليهم دينهم وليس بدافع الحاق الاذى بهم وابقاء العنصر العربي، ولم تعتير الدولة العربية الموالي هم مواطنين من الدرجة الثانية ، وكيف وقادة الفتوحات الاسلامية في المغرب اغلبهم من الموالي وولاة المشرق والمغرب هم من الموالي ايضا، لذلك فان تشويه فلوتن دون دليل هو بطلان واضح وان مسالة تسمية المولى باسمه فهو تشريع رباني ، فلقد كان الرسول الاعظم (ﷺ) قد تبنى مولاه زيد بن ثابت ودعاه باسمه زيد بن محمد الا ان التشريع الرباني جاء بمناداتهم باسماء ابائهم واسمائهم للحفاظ على الروابط الاجتماعية من التغير والعبث في حال موت الرسول الكريم(ﷺ) ، والتزم من بعده الصحابة والولاة بهذا التشريع ، ولم يكن يوما الموالى ارقاء او عبيداً فلقد حصلوا على ارقى المناصب ابان الفتح الاسلامي ومنهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير قائداً الجيش الفاتح للمغرب وكان يقود جيشاً اغلبه من العرب المسلمين ، وحين عاقب الخليفة سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير الذي كان من العرب ، فانه لم ينزل العقوبة بمولاه طارق بن زياد، بل العكس فانهُ كافأهُ على عظيم صنيعهُ في فتح المغرب، ويبدو ان فلوتن هاوٍ في تشويه الحقيقة مهما كانت على درجة عالية من الحقيقة، فلقد استطرق الى تفريق العرب والموالي في مساجدهم وان هذه العنصرية لم تورد باي مصدر من مصادرنا العربية ولم تحدث باي زمن.

فلقد كان المسجد مكاناً للعبادة والتعلم واجتماع المسلمين فيه دون التمييز بانهم عرب او غير عرب فيقول بعض الباحثين ((ونحن اذا اسلمنا للفوارق العديدة المتعلقة بالزواج والعطاء والجندية ان وجدت هذه الفوراق وبعض الظواهر الاجتماعية الاخرى، فان المسجد يبقى القاسم المشترك لكافة الفئات في المجتمع وليس من خلال دوره' كبيت للصلاة فقط وانما بما يمثله من دور مؤثر في الحياة السياسية اليومية))(١).

١--ابراهيم بيضون:ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري،(بيروت-١٩٧٩)، ص٩٤.

وان اوهام فلوتن تستمر لتعطينا وصفا للفتح الاسلامي في العهد الاموي على انه نظام مقايضة رخيص اتبعه العرب ضد الشعب المغلوب فعقيدته وان كانت وثنية مقابل بضع اراضي، وقد تغطت هذه المقايضة بثوب الرضا الالهي ونشر العقيدة الاسلامية فيقول: ((اراضي الاجنبي وخيراته هي ثمن لحريته في العقيدة الوثنية، وهو الثوب الالهي للمؤمنين العرب هذا لاعتقاده بضرورة سيادة الجنس العربي وتفوقه ...وذلك ان الفاتح العربي الذي كان يبغي اكتمال مهمته مع تحول الشعوب المغلوبة الى الاسلام ، لم يرق له التخلي عن ثمار فتوحاته بمثل هذه السهولة))(١).

هذه الصورة التي رسمها فلوتن تحمل الفتح الاسلامي بانهُ طامع بجميع الاراضي الواقعة تحت سيطرة الشعوب المفتوحة فضلاً عن ان حب الفاتحين المسلمين الى السيطرة جعلهم يستانسون بسيادة الجنس العربي الذي اينما ذهبوا كان هنالك ضرورة زرعه لاظهار تفوقهم .

لكن ما غاب عن ذهن فلوتن ان بلدان المشرق هي بلدان لم يوجد فيها العنصر العربي الاقلية مقارنة بغيرها ،وهذا ما ساعد العباسيين فيما بعد باقامة دولتهم والتي قامت بمساعدة الموالي الفرس واقامة ثورة ضد الامويين ابتدات من خراسان اولى ولايات المشرق، لذلك لم يطمع الفتح الاسلامي بزرع العنصر العربي لتفوقه كما يدعي فلوتن ،وانما كانت ضرورات الفتح تؤمن وجود هؤلاء لنشر الدين الاسلامي وهي غاية الفتح الاولى.

ويضيف فلوتن شاءت الاقدار والصدفة ان يكون اقليم ما وراء النهر مصدر الضوء الذي كشف لنا عن اسباب ونتائج الفتح الاسلامي فيقول: ((من الجائز الافتراض ونحن نرى ممثلين لدين محمد وقد اعفوا من كل عبئ وتقاسموا الغنائم الماخوذة من الكفار، ولم نجد ما يشير الى خلاص الخراسانيين من حمل تلك الضرائب رغم اعتناقهم الاسلام كما حدث لفتح العراق من قبل))(٢).

ويضعنا فلوتن في زاوية جباية الفاتحين للضرائب حتى وان كانوا مسلمين وهذا افتراء واضح لانه جعل غاية الفتح الاسلامي وهو ما يدعوه بالاحتلال العسكري هو حصد المال .

١- فلوتن، الدولة الاموية، ص٨٥.
٢- فلوتن: السيطرة العربية، ص٩٣.

لكن ما تجاهله فلوتن ان جباية الجزية انتهت بعهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز الذي امر الجراح بن عبد الله الحكمي واليهُ على خراسان ان يقطع عن المسلمين الجدد الجزية، وبعودة هذا النظام بعد موت الخليفة عمر(ﷺ) فان الخليفة هشام بن عبد الملك امر بتعيين الاشرس بن عبد الله الملقب بالكامل الذي وضع خطة لانهاء حالات الفوضى(١).

وقام باصلاحات متميزة منها محاولة نشر الاسلام: ((ابغوني رجلاً له ورع وفضل اوجهه الى ما وراء النهر فيدعوهم للاسلام ، فاشاروا اليه بابي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبه ، والذي رفع الجزية عمن اسلم من المسلمين الجدد، وقام ببناء المساجد))(٢).

ولو لم تكن غاية الفتح الاسلامي هو نشر الدين الاسلامي وغرسه في نفوس الناس لما قام الاشرس بن عبد الله بحركات اصلاحية منها وضع الحجج التاديبية الكافية على الذين اسلموا وهي الاختتان واقامة الفرائض وقراءة القران وان كل من يفعل غير ذلك ويدعي الاسلام تفرض عليه الجزية وذلك بعد الرسالة التي اوردها الاشرس بن عبد الله الى عامل الخراج ((ان في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني ان اهل السغد واشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا الاسلام تعوذاً من الجزية ، فانظر من اختتن واقام الفرائض وحسن اسلامه وقرا سورة من القران فارفع عنه' خراجه))(٣).

١-الطبري: تاريخ الرسل،ج٢،ص.١٥٠٧
٢-المصدر السابق،ج٢،ص.١٥٠٧
٣-المصدر السابق،ج٢،ص١٥٠٧.

راي المستشرق يوليوس ولهاوزن:

يشير فلهاوزن الى ان حروب الامويين هي حروب غايتها اقتصادية ومادية وليست بدافع نشر الدعوة الاسلامية فهو يقول : ((ان عمر بن عبد العزيز لم يكن ذا ميل الى الفتح والاستيلاء فقد كان يعرف جيدا انها لم تتخذ لله بل للغنيمة))(١).

ويضيف فلهاوزن ان الاسلام كان املهم الوحيد في الحصول على الغنائم الكثيرة في جهادهم في سبيل الله والدين الجديد، الا ان هذا الراي غير صحيح فلم يعرف يوما العربي الا طريق الجهاد لتحقيق الاهداف النبيلة للاسلام ونشر الدين الاسلامي وهو الدافع الوحيد الذي ممكن لاجله رجل يترك وطنه واولاده وماله دون ان يفكر ان كان هنالك في الامر رجعة .

لكن فلهاوزن يشير الى انه حتى في عهد عمر بن عبد العزيز كانت الحروب التي تجري تحت هدف الجهاد هي كانت لجلب المال والغنيمة وليست لنشر الدين الاسلامي لاسيما وانه كان يؤثر السلم على الحرب فهو يقول : ((والاتجاه الذي اتخذه ـ أي عمر ـ انه يجب انذار الكفار بقبول الاسلام وبالخضوع لله قبل بدء الحرب معهم ، حتى اذا اذعنوا للانذار فدخلوا في حكم الله بكل مزاياه سقطت عنهم الجزية وهذا ما شرعه الاسلام لكن احداً لم يحقق هنا هذا الامر تحقيقا حدياً، فقد اصبح الهدف من الجهاد يوماً جلب المال والغنيمة ، لانشر العقيدة والايمان))(٢).

ويوضح فلهاوزن ان الخلفاء المسلمين والفاتحين لم يحاولوا اصلاح اية حالة او حادثة ممكن ان تحصل وانهم لايذعنون الى ما امرهم به الدين الاسلامي وهذا ما يصفه فلهاوزن عن عمر بن عبد العزيز الذي يقول عنه : ((ان عمر بن عبد العزيز لم يعد للسغد عاصمتهم سمرقند، مع اعترافه ان العرب لم يستولوا على تلك المدينة الا خلافاً لما يامر به الدين فهو لم يعمد الى اصلاح ما حدث قبل عصره))(٣).

وهي النقطة نفسها التي رددها فلوتن وليس بوسعنا الاجابة اكثر مما اجبنا سابقيه .

١-يوليوس فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة ، يوسف العش،(دمشق-١٩٥٦)، ص.٢١٨

٢-المرجع السابق، ص٢٣٦-.٢٣٧

٣- المرجع السابق، ص٢٣٧.

وينقلنا فلهاوزن الى نقطة اخرى وهو طمع الولاة وانهم اسياد سلب ونهب فهو يصف يزيد بن المهلب عندما تولى خرسان فيقول عنه : ((وان عنده من الظروف المواتية للسلب والنهب اكثر ، ففرض المال لحاجته الثمينة أي للجواري الجميلات ، وعرض نفائسه))(١).

وان كان ما يصفه فلهاوزن صحيحاً وهو امر لم تؤيده أي من المصادر العربية فهي حالة فريدة ونادرة ولايمكن ان يقاس عليها تاريخ الفاتحين خلال العصر الاموي ، غير ان فلهاوزن لايلبث ان يعبث بالنقطة نفسها لنسج سطور عن بشاعة الفاتحين فهو يصف يزيد بن المهلب كقاتل وليس فاتح فهو يقول عن فتحه لجرجان :((وسار يزيد بجيش عرمرم ...ويقال انه قتل ١٤ الف اسير ، وكسب غنائم لاتحصى))(٢).

ويصف انتقامه من اهل جرجان لثورتهم عليه فيقول: ((اجرى الماء في الوادي على دم " الاسرى المعدومين" وعليه ارحاء ليطحن بدمائهم فطحن واختبز واكل))(٣).

ولا نعلم من اين لفلهاوزن هذا الافتراء العظيم وهل ان الفاتحين الامويين كانوا قد حملوا هذه البشاعة بحيث انهم اعدموا الاسرى الذين اوصى بهم الدين الاسلامي، وكيف لمجاهد وناشر لدين الاسلام ان يرتكب ما يفتريه فلهاوزن.

ويثير فلهاوزن نقطة اخرى في معاملة الموالي الذي يصف عهدهم تحت حكم الامويين بالاضطهاد وعدم المساواة والاستبداد الامر الذي دفعهم الى دخول الاسلام في محاولة لاحداث حالة من المساواة مع العرب في الحقوق ولرفع الخراج ولكتابة اسمائهم في سجل العطاء فيقول: ((وسعى الموالي، وهم الرعية التي اعتنقت الاسلام ......للفوز بحقوق سياسية معادلة لحقوق الاعيان الحاكمين أي العرب وللتحرر من الخراج ولكتابة اسمهم في سجل العطاء الذي كان حتى ذلك الحين سجل العرب الاعيان))(٤).

وسعى الامويون الى الاجحاف بحقوق الموالي فلم ترفع عمن اسلم الخراج وذلك لمحاولة الحفاظ على قيمة الدخل الحكومي من الانخفاض فيقول : ((ان الحجاج كان قد فرض الخراج على الموالي ذوي العدد الكبير الذين اعتنقوا الاسلام ليحول دون خفض قيمة الدخل الحكومي))(٥).

١-المرجع السابق، ص.٣٥٤
٢-المرجع السابق، ص٣٥٥
٣-المرجع السابق، ص.٣٥٦
٤-المرجع السابق، ص.١٩٨
٥-المرجع السابق، ص١٩٨.

ويشير ولهاوزن الى ان الموالي لم يتمتعوا بحقوق مثلما تمتع بها العرب فقط ظهروا على انهم تابعون لاسيادهم العرب وليسوا على درجة واحدة من الحقوق فيصفهم بقوله: ((لكنهم ظهروا ـ أي الموالي- كتابعين لاسيادهم العرب ...وان يدعوهم يقاتلون راجلين الى جانبهم ، وهم على خيولهم ـ أي العرب- ، ويشابه هذا ما كان يعمله الفرسان مع الخدم في القرون الوسطى... فقد كان اهل الشام العمود الفقري للعروبة غير ان الموالي ما فتئوا بمركز ثانوي))(١).

وقد سبق ان تشابه راي المستشرق فلهاوزن مع راي المستشرق فلوتن في ان الامويين اساؤا معاملة الموالي وتم سلب حرياتهم في ذلك العصر ولكننا نسأل اذا لم يكن الموالي قد حققوا نصيبهم في العدالة والمساواة تحت ظل الدولة العربية الاسلامية اذن فمتى تحققت لهم العدالة هل كانت في ظل الدولة الساسانية ؟ وان كانوا يتمتعون بالحقوق ، فان الاسلام والدولة الاموية على الاخص قد خلصوا تلك الشعوب من مبدا الرق المعمول به هناك وهو في اقل تقدير انصاف من جانب الدولة العربية اما مسالة تجاوز الجزية وفرض الضرائب فهو مجال يطول فيه الشرح والايضاح وسنبين الرد في المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل، وان ما يدقق فيه فلهاوزن الذي يشير الى معاملة الحجاج للموالي بحجة اجراءات منع الهجرة وزيادة مردود بيت المال ولكنها في الاصل اجراءات موجهة ضد الموالي لانهم موالي فيقول : ((ان الحجاج اعاد الموالي الى بلادهم وقراهم، وقال : انتم علوج وعجم وقراكم اولى بكم ففرقهم وفض جمعهم كيفما احب وسيرهم كما شاء ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه اليها))(٢).

ويشير فلهاوزن الى ان اعفاء الداخلين في الاسلام عن الجزية كان سببا في دخول هؤلاء الى الدين الاسلامي وليس للاعتقاد والايمان به فهو يقول : ((واصدر ـ أي عمر ـ امراً عاماً بان تسقط الجزية عن كل من يقر بالاسلام ، وعند ذلك اسرع السغد الى الانتماء الى الامة الحاكمة))(٣).

١-فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص.١٩٨

٢--فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ص٢٣٠.

٣-المرجع السابق، ص٢٣٧.

ويشير فلهاوزن ان حال الشعوب ازداد سوءاً فالحكام الامويون لايبالون بكيفية جمع المال والضرائب وانما كان همهم ان يقدموا اكبر المبالغ من المال لذلك كانت سياستهم تستند الى رفع الضرائب في كل بلد يفتحونه فهو يقول : ((وفي عهد هشام بن عبد الملك كان على ولاته ان يقدموا اعظم مبلغ من المال ممكن لايبالي باي اسلوب جبروتي اتخذوه لجمعه، ورفع هشام مقدار الخراج في قبرص وضاعفه في الاسكندرية ودفع الرعية فيما وراء النهر وافريقية والاندلس الى اليأس))(١).

ويضيف الى ان الولاة العرب ابقوا كياناتهم العربية هي الحاكمة وصاحبة المقام الاول ومادون ذلك فهم تابعين فهو يقول((مافتيءالعمال العرب نهم يعاملونهم _اي البربر_ معاملة التابعين الخاضعين للضرائب....))(٢).

واخيرا فان نظرة هذا المستشرق هي ليست عمومية ولا هي بالراي الذي تحدهُ المصادر العربية والموضوعية فاتهامه للخلفاء والولاة الفاتحين بالتقصير واساليب بعيدة عن الشريعة الاسلامية بكل مبادئه فهو امر نستطيع الرد عليه باذن الله في الصفحات القادمة ان شاء الله.

١-المرجع السابق، ص.٢٧٩
٢-المرجع السابق، ص٢٧٤.

اراء المتشرق هنري بيرين :

يقول هنري بيرين((ان اوربا كانت تعيش في بحبوحة وثراء لان طرق التجارة الموصلة الى شواطئ بلجيكا وفرنسا واسبانيا من شواطئ سوريا البيزنطية، كانت مفتوحة لتوصيل الذهب والحرير والقراطيس وانواع التوابل الشرقية ، فكان الذهب يضرب نقودا بيزنطنية ليدفع ثمنا لمواد الترف الاسيوية كالتوابل في اندونيسيا والقراطيس من مصر، والحرير من الصين ، وقد أنقطع هذا الترف في بداية القرن السابع (الاول للهجرة)- فانقطع سيل الذهب واختفت النقود الذهبية من العملات الاوربية ومعها اختفت البضائع الاسيوية، وسبب هذا كله يمكن تلخيصها بكلمة واحدة هي (محمد) ، الذي اخضع الجزيرة العربية لدينه ومن بعده تولى خلفاءه' اخضاع سوريا ومصر وشمال افريقيا واسبانيا ، حيث تم على ايديهم قطع شريان الحياة نهائيا عن اوربا(١).

يرى هذا المؤرخ البلجيكي ان القرن السابع الذي شهد فيه ظهور الاسلام المفاجئ في البحر المتوسط ، وقد عبر عنها بظهور الفتوحات الاسلامية في هذه المنطقة (البحر المتوسط) والمناطق الاخرى(سوريا ومصر ، شمال افريقيا واسبانيا).

كانت نقطة تحول وانفصال في الوقت نفسه فاظهر ان الاسلام حطم ثنائية العالم البيزنطي والغرب اللاتيني الذين كانا مسيطران على العالم فجاء الاسلام الذي اظهر انقساما نهائيا بين الشرق والغرب ونسف العرب سلامة المواصلات في هذا البحر، الامر الذي جعل الغرب ينطوي على نفسه بعد ان عاش في ازدهار اقتصادي منقطع النظير جاء الاسلام وبسبب تلك الفتوحات اصبحت تعيش في فقر مدقع بسبب انقطاع طرق المواصلات التي سيطر عليها العرب المسلمون فهو يقول: ((اصبح الاقتصاد الاوربي فقيرا وبربريا وذلك بفضل لصوص الصحراء القدماء الذين تحولوا الان الى قراصنة ولصوص بحر في البحر المتوسط))(٢).

لذلك اعلن بيرين انه((بمحمد لاشارلمان)) ويؤكد بيرين ان الاقتصاد الاوربي لم يعاود ازدهاره الا بعد تقهقر المسلمين في الحروب الصليبية.

١- هنري بيرين:محمد وشارلمان، نقلا عن قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ط١، (الرياض-١٩٨٣)، ص٣٢ وما بعده.

٢-المرجع السابق، ص٣٣.

وانه عاود مرة اخرى الى التاخر ، كما استطاع الفاتحون السيطرة على تلك الطرق وان كان بعد فترة طويلة عن طريق جعلها بحيرة عثمانية بعد سقوط المدينة الام القسطنطنيةفهو يقول ((ان هذا الشريان لم يتدفق بالحياة الا في بداية القرن الثاني عشر، الا ان هذا الشريان انقطع مرة اخرى بعد ان اصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة عثمانية بسقوط القسطنطينية))(١).

الا ان ما فات المستشرق هنري ان رايه ونظريته قد اصابها الرفض وعدم القبول عند الشرقيين والغربيين معاً، فلم يستطع هنري اثبات ان الفتح الاسلامي قد ادى الى قطع طرق المواصلات ولا ينكر احد ان الفتح الاسلامي قد تسبب في جعل طرق المواصلات في بعض المناطق اصعب واندر ولكن ان يكون الفتح الاسلامي قد ادى الى شلل التجارة البحرية فهو تعميم خاطئ ، وان المسلمين العرب لم يستطيعوا ان يحققوا سيطرة مطلقة على البحار.

فالتنافس بقي مستمرا مع بيزنطة ولم يسبب في قطع العلاقات الاقتصادية بين الامبراطوريتين حتى ايام الحروب، فخلال هذا الصراع الطويل بين الاسلام والمسيحية ، نجد ان العلاقات الاقتصادية والثقافية استمرت في الانتشار على الرغم من هذا الصراع وانها استمرت على هذا النحو بصورة مطردة ومن دون انقطاع مدة طويلة فالمبادلات بين اسبانيا العربية والشرق ، وليس الشرق المسلم حسب بل والبيزنطيني ايضا تؤيدها وثائق عديدة ، وتكفي قصص الحج الغربي الى الاراضي المقدسة قبل الحروب الصليبية ومعظمها عن طريق البحر لتبرهن ان الخيوط بين شواطئ البحر لم تنقطع ابداً وكلياً ، لكنها قد تعقدت واصيبت بالوهن من جراء جهاد المسلمين وقرصنة البيزنطيين .

ويكفينا شهادة الجغرافي (ابن خرداذبة) في القرن التاسع فهو يتحدث عن تجارة اليهود الرادانية الذين اتو من جنوب فرنسا الى مصر عبر البحر.

ثم تابعوا رحلتهم الى الشرق عن طريق البر واكد(ابن خرداذبه) ان التجارة بين جزئي البحر المتوسط عبر مضيق ايطاليا ـ صقلية لم تنقطع ابداً لمدة طويلة وبقيت مستمرة وناهضة(٢).

١-هنري بيرين:محمد وشارلمان.

٢--ينظر: ابن خرداذبة ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ) : المسالك والممالك، (بغداد-بلا)..

وهذا اكبر دليل داحض لراي بيرين صاحب نظرية تدهور الاقتصاد العالمي في ظل الاسلام ، انها نظرية خاطئة وان تعميمها هو اسوا من الخطا لانه للاسف ان هذا المستشرق عاش فترة الحرب العالمية الاولى وعانى منها ، فاصدر حكمه المجاني وبدون سابق معرفة او علم على ان هذه الفترات هي فترات خمود وتدهور فاصبح رايه خاليا من الموضوعية والعلمية الصادقة ، فقد كان الفتح الاسلامي لتلك البلدان فترات نهضة وانتعاش تمت فيه المبادلات الاقتصادية ورحلات الحج الامنة الى الارض المقدسة كذلك ارسال البعثات ما بين الطرفين ، امر جعل من فتوح المسلمين منفذاً سمح بتسرب علوم العرب وفنونهم فضلاً عن انتشار دينهم ولغتهم وهما قبل كل شيء غاية الفاتحين الذين لم يأتو ليكونوا اداة تعسفية وتخريبية بل كانت اعظم فترة مزدهرة وبشتى انواع العلم والمعرفة وهو الامر الذي يجب ان يدفع المستشرق بيرين الى عدم نكران فضل المسلمين العرب الذي تخلد بعلومهم ولغتهم وفنونهم التي انعشت اوربا المظلمة في سبات الجهل المسيحي المزعوم وسنقوم بالرد على هؤلاء المستشرقين في الصفحات القادمة.

انتشار الاسلام بحد السيف واسباب القتال:

لقد أثبتت الدلائل الكثيرة بطلان تهمة انتشار الاسلام بحد السيف واظهار المسلمين بمظهر انهم سفاكي دماء وقتلة ، ولم يكره الاسلام الشعوب على الدخول فيه وقد ، وقد ثبت في القران الكريم اول هذه الدلائل قال تعالى: ﴿ لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾(١) ، ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر﴾(٢).

وقال ابن تيمية في اية لااكراه في الدين (لانكره احداً على الدين والقتال لمن حاربنا فان اسلم عصم ماله ودمه، واذا لم يكن من اهل القتال لانقتله ، ولا يقدر احد ان ينقل ان رسول الله(ﷺ) اكره احد على الاسلام لاممتنعا ولا مقدورا عليه ولا فائدة في اسلام مثل هذا، لكن من اسلم قبل منه ظاهر الاسلام)(٣).

ويتضح لنا من القران الكريم وتفسير المفسرين ان الاكراه في الاسلام هو شيء مرفوض واعتناق الدين الاسلامي تحت وطاة الخوف والقتل شيء رفضته الشريعة الاسلامية ، اذ ان العقيدة محلها القلب ولا تستطيع أي قوى او أي مؤثران تغير ما استقر في القلوب وعلق في الاذهان لذلك فان مهمة الرسول (ﷺ) تنحصر في الموعظة والرفق واللين والمجادلة بالحجة والبرهان فقال تعالى ﴿ ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(٤).

وقد ثبت في القران وفي السنة مبدا حرية العقيدة ورفض أي تسلط او فرض يسلط على عقائد الناس حتى وان كان من النبي نفسه'، لذلك وضح القران وفي كثير من موضع للنبي محمد (ﷺ) ، ان يبلغ رسالته فقط وليس عليه ان يكترث او يهتم بمن دخل في الايمان او لم يدخل ، لان ذلك مسالة شخصية يتحمل وزرها صاحبها، يقول الحق تبارك وتعالى﴿ قل ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل﴾(٥).

١-سورة البقرة: اية ٢٥٦.
٢-سورة الكهف: اية ٢٩.
٣-ابن تيمية : رسالة القتال من مجموعة رسائل، ص١٢٣-١٢٥، ينظر: وهبة الزحيلي: اثار الحروب في الفقه الاسلامي،ص٨٢.
٤-سورة النحل: اية ١٢٥.
٥-سورة يونس: اية ١٠٨.

ولقد اكدت الشريعة الاسلامية ان ايمان الشخص يجب ان تكون عن قناعة ، لانه ايمان حقيقي يفيد به الاسلام والمسلمين من بعد وحرية العقيدة هي من ابرز الاشياء التي اوجبها الاسلام، فمن هنا كانت الفتوحات الاسلامية تهدف الى تحطيم سلطة الحكومة التي كانت تقف عائقاً بوجه الشعوب وتمنعهم من اعتناق أي عقيدة الا تلك التي يدين بها الملك او الرئيس ، فاذا ما تحقق انتصار المسلمين على تلك الحكومة المتسلطة ترك الامر بعدها للشعب ان يختار اعتناق الدين الاسلامي او البقاء على دينه ولم تكن حالة الاكراه حالة مطروحة او مدروسة فقد كان الرسول (ﷺ) ، هو الرجل الاول في الجزيرة والمسلمون هم القوة الوحيدة في ذلك المكان، لكنه كان يعقد المعاهدات والمواثيق مع اليهود ومن الذي يمنعه من اكراه اليهود للدخول في الدين الاسلامي،لقد جاء في عهده لليهود حين قدم للمدينة : ((وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وانفسهم الا من ظلم او اثم فانه لايوتغ الا نفسه' واهل بيته))(١).

وان الانتشار الباهر والواسع الذي حققه لم يكن ليحصل لولا القوة والاكراه ، ان ذلك كله بهتان وكذب عظيم وتكذبه الايات القرانية وتبطله الوقائع التاريخية، فلم يستطع السيف ان يجبر اوائل المسلمين وحملهم على نبذ الاصنام واتباع ما اتى به الرسول (ﷺ) ، واين السيف الذي اجبر المهاجرين على ترك الاهل والمال والوطن انه فقط سيف الكفر ، ثم ان كان هنالك سيف ينشر الاسلام ويكره الناس على اعتناقه فلماذا لم يتجه هذا السيف الى الحبشة رغم قربها من المسلمين، فكتب التاريخ تحدثنا بانه لم تقم حروب بين المسلمين وبين الاحباش وبقي الاسلام يسير بسرعة وعمق دون اية حواجز مانحاً نفسه الحماية والدوام على مر القرون لانه سيبقى مخلداً بكتاب الله.

واسباب القتال كثيرة وهي :

الموضع الاول- وقد جاء في سورة الحج اول ما انزل في امر القتال:﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير۞ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ۞ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ۞ الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور﴾(٢).

١-يوتغ: بمعنى يهلك،ابن هشام::السيرة النبوية،تحق مصطفى السقا واخرون،ط٢،(القاهرة-١٩٥٥)،ص٥٠٣، كذلك ينظر:عبد الحكيم العيلي: الحريات العامة،(بيروت-١٩٧٤)، ص.٣٨٣

٢-سورة الحج: اية ٣٩-٤١.

بينت هذه الاية سماح القتال للمسلمين ، ثم اتجه الى بيان السبب وهو انهم ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق الا قولهم ربنا الله يعني انهم لم يظلموا من اهل مكة الا بسبب عقيدتهم ، ثم بين انه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت اماكن العبادة على اختلاف اشكالها ونسبها فلا يكون في الارض ذكر، ثم وصف المسلمين الذين اذن لهم بالقتال باوصاف هي بالحقيقة تنبيه لهم الى ما يجب ان يفعلوه اذا هم انتصروا على من ظلموهم وذلك انهم يقيموں الصلاة ويؤتون الزكاة ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر(١).

الموضع الثاني- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ۝ واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم ۝ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله ۝ فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين﴾(٢).

بينت هذه الايات سبب القتال حيث وصفت من امر المسلمين بقتالهم ، هم الذين يقاتلونكم واخرجوكم من دياركم وفتنوكم في دينكم بما فعلوامن الاذى والظلم وجعلت لهذا القتال غاية وهي الا تكون فتنة ويكون الدين لله بان يكون الانسان حراً في دينه لايدين به الا الله لاخوفاً ولا طمعاً وقد بين القران ان الفتنة اشد من القتل لانها اعتداء على العقيدة والوجدان وذلك ما يكون من بني الانسان ونهت الايات عن الاعتداء واعلنت ان الله يبغض المعتدين ، وهم الذين يبداون بالعدوان وبينت ان الجزاء عند الاعتداء لاينبغي ان يتجاوز ما فعله البادئ بالعدوان ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله﴾.

الموضع الثالث- قوله تعالى في سورة النساء:﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾(٣).

١-عبد الحميد بخيت: ظهور الاسلام وسيادة مبادئه،ط٣،(مصر-١٩٧٧)، ص.٢٨٧

٢-سورة البقرة: اية ١٩٠-.١٩٤

بينت هذه الاية سببين للحث على القتال وهما الاول- في سبيل الله وهو مبين في سورة البقرة سابقا وهي الغاية التي يسعى اليها الدين ان لاتكون فتنة ويكون الدين لله .

ثانيا-في سبيل المستضعفين الذين كانوا مسلمين في مكة وحيل بينهم وبين الهجرة فعذبتهم قريش وفتنتهم حتى تضرعوا الى الله طالبين الخلاص ، فهؤلاء لابد لهم من حماية ترفع عنهم اذى الظالمين وتنيلهم الحرية فيما يدينون ويعتقدون(١).

الموضع الرابع- فاعتزلوا الفتن جانبا ﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ (٢).

على شرط ان يكون ميلهم للسلم حقيقياً لاتردد فيه عندهم فان كانوا كذلك فقد شرح حالهم بقوله﴿ ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا﴾ (٣).

بينت هذه الاية ان لاسبيل للمؤمنين على من اعتزل الفتنة وترك القتال والقى اليهم السلم .

الموضع الخامس- قال في سورة الانفال: ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير﴾(٤).

وهو تاكيد لما حضت عليه الايات التي وردت في سورة البقرة في مضمونها.

الموضع السادس- قال تعالى في سورة الانفال: ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۝ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين﴾(٥).

بينت هذه الايات ان الاسلام مامور بالجنوح للسلم متى جنح اعداؤهُ لها لان الغرض هو تامين الدعوة وان لاتكون فتنة ، والسلام كفيل بهما حتى وان كان الجانحون للسلم يريدون الخداع(٦).

١-عبد الحميد بخيت: ظهور الاسلام ،ص.٢٨٩
٢-سورة النساء:اية .٩٠
٣-سورة النساء:اية.٩١
٤-سورة الانفال:اية .٣٩
٥-سورة الانفال: الايات من ٦١-.٦٣

الموضع السابع- قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لاايمان لهم لعلهم ينتهون۞ الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين﴾(١).

بينت هذه الاية نكث العهد والعودة الى الطعن في الدين بالفتنة وذكرت المخاطبين بانهم بدأوا القتال اول مرة فهم معتدون اولاً وناكثون لعهدهم مع المسلمين وقد ابيح مجازاة من اعتدى عليكم ، ولما كان اليهود قد مالوا لقريشاً والمنافقين واخافوا المسلمين في غزوة الاحزاب حتى زلزلوا زلزالا شديدا بعد ان كانت بينهم وبين الرسول (ﷺ) عهود مكتوبة فنقضوها واخلوا بما يقضي به تلك العهود ، فامر المسلمين بقتالهم كما جاء في سورة التوبة: ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن عن يد وهم صاغرون﴾(٢).

وان تشريع القتال كان تشريعا للدفاع عن النفس وتاميناً للدعوات من ان تقف الفتنة في طريقها ، واعلن لم يجيئ معتديا ينهيه عن الاعتداء وان يجنح للسلم من سالمه ، ومما يؤيد تلك الروح السلمية ويوضحها ما جاء في سورة الممتحنة: ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين۞ ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين۞ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم...﴾(٣).

فالحرب الاسلامية سواء كانت دفاعية ام هجومية فليس القصد منها ارغام الناس على الاسلام بل حماية الدعوة الاسلامية.

بالنسبة الى القتال مع المشركين كان البادئ به دائماً هم المشركون(٤).

لذلك اكد الاسلام على عدم الاعتداء، فقال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين﴾(٥).

١-سورة التوبة:اية ١١-١٣.
٢-سورة التوبة:اية ٢٩.
٣-سورة الممتحنة: من اية ٧-٩.

٤-توفيق علي وهبة:الاسلام في مواجهة اعدائه، ص.٨٣
٥-سورة البقرة:اية ١٩٠.

ولم يقتل المسلمون من يلقون السلاح والذين يتعاهدون معهم ولم يجبروا احدا منهم على اعتناق الاسلام وكان دخول الاسلام بالاختيار عن اقناع واقتناع(١).

وما كانت الفتوحات الاسلامية توسعا او محاولة لتكوين ملك العرب كما يدعي بعض المستشرقين ، وانما كانت لتامين حرية الدعوة الاسلامية، ودعوتهم بالحسنى لمن يدخل قلبه بالايمان ، واما الذين طمس الله على قلوبهم واعمالهم ، ولم يؤمنوا فقد تركوا وما يعتقدون ماداموا لايحاولون قتال المسلمين.

وقد وضحنا طبيعة المجتمع الاسلامي في ضوء العقيدة الاسلامية ، ان تقوم عقيدته على مبدا سام ينبثق منه نظام واحكام ، فالمجتمع الاسلامي العربي اتخذ الاسلام مصدرا لشريعته ومنهجا لحياته في توعية الامة، وليس معناه ان المجتمع الاسلامي يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش في داخله والتي لاتتخذ الاسلام دينا، فالعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين مبنية على اساس التسامح والعدل والمساواة واحترام الاخرين التي لم تعرفها البشرية قبل الاسلام.

وان اساس هذه العلاقة هي قوله تعالى: ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ۝ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ﴾(٢).

فالاسلام امر بالبر والقسط مع الذي لم يبدا بالعدوان ، ولاهل الكتاب المكانة الخاصة في التشريع والمعاملة ، والمراد باهل الكتاب من قام دينه على كتاب سماوي كاليهود والنصارى ، قال تعالى: ﴿ ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾(٣).

فالاسلام نهى عن مجادلتهم الا بالحسنى ، فما بال الذين يقولون ان قتلهم ومحاربتهم واجب ديني.

١-توفيق علي وهبه ، الاسلام في مواجهة اعدائه، ص٨٥.
٢-سورة الممتحنة: اية ٧-٩.

٣--سورة العنكبوت: اية ٤٦.

ولكي يكونوا جزءا حيويا في الامة الاسلامية الجديدة ، اجاز الاسلام الزواج منهم ومصاهرتهم واكل ذبائحهم ، قال تعالى: ﴿ ... وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان...﴾(١).

١-سورة المائدة: اية ٥.

موقع الغنائم من الحروب الاسلامية:

كثير من المستشرقين يحولون قضية الفتوحات الاسلامية الى انها قضية سلب ونهب الغنائم وجعلوا الفتوحات الاسلامية ليس القصد منها نشر الدعوة الاسلامية وانما هي جباية الاموال تحت شعار الغنيمة والجزية ، فاذا كان الاسلام قد جعل الغنائم غاية في حروبه لفاجأ اعداءه الفقهاء يقولون بضرورة الدعوة قبل القتال(١).

وهذا ما يقصد به في الحروب الحديثة باعلان الحرب، وهو اخطار تبلغ فيه الدولة دولة اخرى بانتهاء العلاقات السلمية بينهما، وقد كان هدف الفتوحات هو نشر الدعوة الاسلامية وليس الغنائم أي ان المغانم ليست غاية القتال وقد الزم المجاهد في سبيل الله الا يقصد بجهاده الاستفادة من الغنائم فيصير من المتكسبين وليس من المجاهدين.

وقد كانت قوانين الدول كلها تبيح اخذ كل ما يحصل اليهم ايديهم من اموال المحاربين ، لايصدهم عن ذلك اسلام ولا دين ، فان الاسلام قد رغب ابناءه عن ابتغاء عرض الحياة الدين، بالقتال ليكون محض رفع البغي والعدوان ، قال تعالى: ﴿ياايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾(٢).

ولما كان هدف الفتح الاسلامي هو اعلاء كلمة الله فيقول الطبري((ان كان اصل المقصد في القران هو اعلاء كلمة الله وان مسالة اخذ الغنائم هي من باب اغاظة الكفار والانتفاع به على الطاعة(٣).

أي استخدام الغنيمة لمنفعة الاسلام والمسلمين وبناء الدولة وحماية الدين ، وليس القصد منها حب المال والغنيمة ، وان اخذ الغنيمة ليست غاية القتال ولكنه خطة لاضعاف العدو والاضرار به(٤).

١-عبد اللطيف عامر:احكام الاسرى والسبايا في الحروب الاسلامية،ط١،(بيروت-١٩٨٦)،ص٦٤.
٢-سورة النساء:اية٩٤.
٣-الطبري: جامع البيان في تفسير القران ،ص٢٢١-٢٢٧.

٤-عبد اللطيف عامر:احكام الاسرى والسبايا،ص٦٧.

وقد بين الرسول لاصحابه ان الغنائم التي ياخذونها في الحرب تعد اجرا دنيويا على جهادهم وهي تقلل من اجرهم في الاخرة حتى لايكثر تعلقهم بها وتسابقهم عليها ،ويكفينا ان حث الرسول (ﷺ) ، على ان القتال اولا واخيرا هو لاعلاء كلمة الله فعن ابي موسى الاشعري انه قال : قال اعرابي للنبي (ﷺ): الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ...فمن في سبيل الله ؟ قال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))(١).

وعلى المسلمين عدم التخلي عن الغنيمة لكي لاياخذها العدو وينتفع بها فتزيده قوة وباساً ويعود ليحارب بها المسلمين مرة اخرى(٢).

وقد كان المحاربون المسلمون يرزقون من هذه الغنيمة لانهم يجهزون بها انفسهم ويتحملون مؤونة اعداد العدة الحربية من خيل وسلاح فكانت الغنيمة بمثابة المقابل المادي لهم في الدنيا الى جانب ما اعده الله لهم في الاخرة، ولا يجب ان ننسى ان الدولة الاسلامية قد خصصت الرواتب للمجاهدين والغازين في سبيل الله ،اذن الغنيمة هي شيء ثانوي وغير اساسي في تحريك المسلم نحو فتح تلك البلدان اضافة الى ما يخسره الجيش والدولة الاسلامية من فتح تلك البلدان من خسائر مادية ومعنوية وبشرية التي لايمكن للغنيمة تعويضها او جزية تفي بحقها ، لهذا لولا مبدا الجهاد الاساسي في حقيقة المسلم لما تصرف المسلم تحت ارادة الله بهذا الشكل ويفيدنا ان نستذكر وصية الرسول (ﷺ) لاصحابه وهم يقدمون احدى الغزوات لينظم لهم العلاقة بين الدعوة التي يحاربون في ظلها وبين الغنائم التي هي نتيجة من نتائج الحروب فعن الرسول (ﷺ) قال: ((اوصيكم بذمة الله ، فانه ذمة نبيكم ، ورزق عيالكم))(٣).

واصبحت هذه الوصية قانوناً يسري على جميع الغزوات وجميع المسلمين المحاربين في تعاملهم مع شعوب البلدان المفتوحة .ولا نحجب دور الدولة العربية الاسلامية باصدارها الانظمة والقوانين التي انطوت تحتها شعوب البلدان المفتوحة وهي الحفاظ على عقيدة المسلم وعدم تحريك اهدافه لتكون دنيوية بحتة وانما هي اخروية بكل ماتعنيه الكلمة من معنى.

١-صحيح البخاري، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، حديث ٢٨١٠، ص.٥١٨

٢-عبد الباسط اولوي:القتال في الاسلام، رسالة ماجستير، كلية العلوم،(بغداد-١٩٥٩)،ص.٧٤
٣-صحيح البخاري،باب المواعدة مع اهل الذمة في الحرب،حديث ٣١٦٢،ص٥٨١.

فقد شرعت الدولة الاسلامية ومنذ عهد عمر بن الخطاب نظام صرف الاجور للمسلم والغازي في سبيل الله له ولعائلته التي تلحق به في كل مكان، وعلى الرغم من اهمية المال الا ان القران الكريم خصص ابواب الانفاق وحرم القران جمع المال وكنزه من غير ان يؤدي حق الفقراء والمساكين ومن غير ان يكون عاملا مساعدا في اجتياز عقباتهم الحياتية ويساعد صاحبه في تكوين رصيد من الحسنات عن طريق انفاقها في الزكاة وجعل المال فريضة للفقراء بمقدار معلوم ومساعدة طبقات المجتمع من فقراء ومساكين وانفاقها على شكل صدقات ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(١).

وحث المسلمين على بذل اموالهم في الجهاد تماما كما حثهم على بذل ارواحهم ﴿ والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون ﴾(٢).

هذه هي نظرة الاسلام للمال وشهوات الدنيا تلقاها الرسول (ﷺ) عن ربه وبلغها الى قومه في صورة ايات منزلة وفي صورة سلوك نبوي زاهد في الحياة الدنيا، وتلقاها اصحابه وحولوها الى سلوك عملي ساروا عليه في حياتهم وحين اتصلوا بالامم والشعوب الاخرى كانت اول سمة ظاهرة عليهم هي انهم قوم حرصوا على الموت في سبيل الله(٣).

وخير ما نرد به على تهم المستشرقين وافتراءاتهم هو ما حصل عام ستة وتسعين عندما غزا قتيبة بن مسلم الباهلي حيث طلب ملك الصين ان ياتيه وفد من المسلمين يعرف منهم مطلبهم ويعرض عليهم ما يرضيهم من متاع الدنيا لعلهم بذلك يكفون شر القتال ومرارة الهزيمة ، فارسل اليه قتيبة وفداً برئاسة هبيرة بن مشمرج ، وحين قدم على الملك قال له الملك ((انصرفوا الى صاحبكم فقولوا له: ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه))(٤).

١-سورة التوبة، اية ٦٠.
٢-سورة التوبة: اية ٣٠.

٣-فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الاسلام ،ص٢٣٦-٢٣٨.
٤-الطبري:تاريخ الطبري،ج٦،ص٥٠٢.

وهنا يبرز الموقف واضحاً فيما اذا كان المسلمون ان قصدوا جمع المال والثروات عند الممالك التي فتحوها ، فقد يكفيهم ما جمعوه ، لكن هبيرة رد بوضوح على تهمة ملك الصين حيث قال ((كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله في بلادكم واخرها في منابت الزيتون ! وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك! واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا اجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه))(١).

وتفنيد هذه التهم ليس بالامر الصعب ما دام التاريخ يحمل بين طياته حقيقة الفاتحين المسلمين وادبهم واخلاقهم ودينهم وهاهم رسل المقوقس الى عمرو بن العاص يسالهم عن صفات المسلمين الذين قدموا لفتح مصر، فيجيبونه ((راينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب اليه من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا تهمة وانما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم))(٢).

هؤلاء هم المسلمون الذين وصفهم المستشرقون لاهثين وراء الثراء والغنيمة ، ووصفهم المصريون بصدق الذين كانوا على غير دينهم وكما شاهدوهم في حقيقة امرهم ، وبقي المسلمون يعرضون عروض السلام والفتح قبيل فتحهم لاي بلد ، ذلك لانهم دعاة قبل ان يكونوا فرساناً فاتحين ، وهذا الشيء تغمد به السيوف وتعود به الجيوش الى مواقعها وتترك امور البلاد بيد اهلها ، وذلك لان الهدف صريح وواضح وامر الله ليس له مرد في تبيلغ رسالة الاسلام لكل الشعوب والبلدان.

لذلك اصبح للقتال مشروعية في الاسلام ولم يوجد بشكل اعتباطي فقد اذن الله للمؤمنين بالقتال ويرجع ذلك الى امرين، الاول الدفاع عن النفس ، والثاني الدفاع عن الدعوة اذا وقف احد في سبيلها بفتنة ، او بصد من اراد الدخول في الاسلام او بمنع الداعي من تبليغ دعوته(٣).

١-المصدر السابق ،ص٥٠٢.

٢-ابن عبد الحكم ابـو القاسم ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارهـا ، تحقيق عبد المنعم عامـر ،(القاهرة-بلا)، ص.٩٧
٣-عثمان جمعة ضميرية: منهج الاسلام في الحرب والسلام ، (الكويت-بلا)،ص١٢٩.

الموالى:

مشكلة الموالى:

مشكلة الموالي التي خلق منها فئة من المستشرقين معضلة كبيرة وذلك ان الفرضية التي راودت بعض المستشرقين(١) والتي سعى الكثير منهم لنشرها ثم رددها بعض الكتاب والمؤرخين العرب في اواخر القرن الماضي والقرن الحالي حين شاعت في العديد من الكتابات التاريخية ان الدولة العربية الاسلامية وخاصة في العصر الاموي تبنت سياسة التمايز الاجتماعي والاقتصادي والسياسي اتجاه الموالي، وان المجتمع نظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، وان هذا التمايز عانى منه الموالي ولسنوات طويلة والتي كانت سببا في العديد من الحركات المناهضة للدولة الاموية.

ان الناظر في روايات التاريخ واحداثه خلال تلك الفترة بموضوعية تامة لايجد صعوبة في كشف المغالاة وعدم الموضوعية الذي وقع فيه هؤلاء المستشرقون ومن تبعهم من المؤرخين العرب المحدثين ، ولا بد ان نشير بدءاً الى انهم استندوا في رايهم هذا الى روايات مستقاة من كتب غير تاريخية مثل كتاب الاغاني والعقد الفريد.

وهي روايات في غالبيتها متاخرة لاتوازي روايات مؤرخينا الرواد مثل الطبري ، وابن خلدون ، وابن الخياط ، والبلاذري .

لا من حيث اسانيدها ولا من حيث متنها ثم هذه الاخبار ان صحت فهي تسجل حالات فردية لايمكن ان تستنبط كقاعدة عامة وتمثيلها على انها سياسة دولة او موقف مجتمع باسره ، والذي يثير الانتباه في تلك الروايات او مصادرها هي اتصالها بباعث قبلي ومفاهيم بدوية ، ولا تنظر الى حرف الموالي نظرة تقدير، وهذا دون شك امر طبيعي في تلك الفترة التاريخية من صدر الاسلام ثم تبدلت النظرة الى الحرف والصناعات والزراعة تدريجياً وبمرور الزمن(٢).

١-فان فلوتن، الدولة الاموية والمعارضة.

٢-فاروق عمر فوزي: دور الموالي ومركزهم في المجتمع الاسلامي، مجلـة الاستشراق، العدد الخامس،(بغداد- ١٩٩١)، ص٧٧.

لقد جمع اصحاب الراي العنصري والنظرة غير العلمية والمؤيدون لفرضية التمييز الاجتماعي والاقتصادي والاداري كل الروايات الشاذة والتي تدل على حالات فردية وكل الروايات الموضوعة من قبل الشعوبية لاسناد وجهات نظرهم زاعمين ان الموالي لم يحتلوا مناصب مهمة في الدولة العربية الاسلامية وفي المجتمع الاسلامي وان الذين احتلوا هذه المناصب لاقوا معارضة قوية من قبل العرب(١).

ومن واجبنا ان نبين ان الاسلام ظهر في الحجاز في قلب الوطن العربي فتحمل العرب مادة الاسلام ومسؤولية نشره ، فاتسعت دولته وشملت اقاليم جديدة تسكنها شعوب غير عربية دخل بعضها الاسلام واطلق عليهم ((الموالي)).

الا ان دور هؤلاء الموالي لايمكن ان يظهر فجأة بل ينمو بصورة تدريجية في كافة المجالات ، فالعرب اصحاب السلطة والدولة وهم الذين بادروا ولدوافع شتى بعملية دمج الموالي وجعلهم تركيبة اجتماعية واحدة مع السكان المسلمين العرب داخل الدولة العربية الاسلامية(٢).

والعرب هم الذين نظموا الموالي وشجعوهم على التفاعل والاندماج لضرورات اقتصادية وسياسية وطبقا لتعاليم الاسلام التي نقلت الى البشر وتحث على التفاعل والاندماج والاختلاط وهذه من اهم العوامل التي ادت الى انتشار الاسلام واللغة العربية في المجتمعات الجديدة، واذ كان اصحاب فرضية التمايز يستندون الى الاراء الشاذة والروايات الضعيفة فاننا سنورد لهم شواهد من الروايات الموضوعية نستطيع بها دحض افكارهم واراءهم التي شوهت تاريخنا السياسي والاجتماعي على حد سواء(٣).

وان الدولة العربية والمجتمع الاسلامي نظر الى ظاهرة المشاركة نظرة موضوعية خالية من العنصرية وحاولت الاستعانة بكل الفئات والعناصر كل حسب كفاءتها واخلاصها وهذا بطبيعة الحال لايعني عدم وجود حالات شاذة او استثنائية لكنها تبقى معدودة وغير دائمة.

١-فان فلوتن: الدولة الاموية والمعارضة.
٢-فاروق عمر فوزي: دور الموالي،ص.٨١
٣-المرجع السابق ، ص٨١.

اما في فترة الفتوحات العربية الاسلامية، فان المسلمين لم ينظروا الى سكان البلاد المفتوحة على انهم رقيق بل انهم اطلقوا سراح نسبة كبيرة ممن وقع في الاسر من الاعاجم ، فلم يسترقوا الا المحاربين الاعاجم من المدن التي قاومت الاسلام مقاومة عنيفة او انها استسلمت ثم تمردت ثانية وثالثة او نكثت بعهدها مع المسلمين وفي العادة يعد هؤلاء الاسرى الرقيق غنيمة تاخذ الدولة حصتها وهم (رقيق الخمس) ، وتوزع الباقي على المقاتلة ، وكانت الدولة تعتق هؤلاء الرقيق او يتم استبدالهم في الحروب دون ان يبقى ولاءهم مرتبطا باحد وهو ما يسمى (عتاق السائبة) ، ومع ان هذا المولى يصبح حرا بعد عتقه الا انه يظل يحمل اسم العشيرة مرفقة بكلمة مولى للدلالة على ان ارتباطه بالعشيرة هو ارتباط اجتماعي وليس نسباً او دماً(١).

وللمولى الحق بامتهان ما يرغب من الحرف ويعمل في التجارة ويستغل ارباحها ، وله الحق ان يتزوج من يشاء ، وكان الموالي يحاربون مع اسيادهم ، فقد كان عباد بن الحصين مولى العتاقة على قدم المساواة مع الحر في العشيرة ومهما يكن فان المولى يتمتع بحماية السيد وعشيرتهُ و تحافظ العشيرة على كيانه وشخصيته وحقوقه(٢).

والنوع الاخر من الموالي يشمل الاعاجم الاحرار وليس الرقيق ويسمى هذا النوع (موالي الموالاة) ، فالاعجمي الحر اذا اسلم وضع نفسه تحت حماية سيد متنفذ او عشيرة قوية ويسمى (الحليف) وقد اقر الرسول هذا الولاء و استقر هذا النوع من الموالي في الامصار التي فتحت وتاسيس البصرة والكوفة والفسطاط وهذا النوع من الموالي يختلف عن موالي العتاقة لان للثاني ان يترك ولاءه للعشيرة اذ لم تدفع له الدية (٣).

وكان نصيبهم في ادارة الدواوين والادارة المالية كبير ، ورداً على ناطقين لفكرة التمايز في العصر الاموي ففي رواية : كان معاوية قد فرض للموالي خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين ثم قام هشام فاتم للابناء فهم ثلاثين(٤).

١- فاروق عمر فوزي: دور الموالي، ص.٨٢
٢-المرجع السابق ، ص.٨٢

٣- المرجع السابق، ص٨٣.
٤-ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٤،ص٤٠٠.

فاذا كان العطاء لايعطى الا للمقاتلة المسجلين في الديوان فهذا يعني ان الامويين ادخلوا الموالي في الجيش منذ وقت مبكر من العصر الاموي وان عطاءهم كان في زيادة مطردة.

وان اتخاذ الدولة الاموية لبعض المواقف اتجاه الموالي له ما يسوغه فلقد اشترك بعضهم مع الحركات المناهضة للدولة الاموية مثل حركة مختار الثقفي وعبد الرحمن الاشعث،والتي تكون غالباً حركات سرية ومتطرفة تحاول هدم المجتمع وقيمه العليا.

ومما يلغي ويفند وبشدة نظرية التميز العنصري هو ما سنجده في تولي الموالي للمناصب القضائية ولكي تلغي الراي المتداول لايلي القضاء الاعربي فاين نحن من الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عين سعيد بن جبير (المولى) قضاء الكوفة(١).

ولم تكن الدولة الاسلامية ذات مسار واحد في ابعاد الموالي عن دائرة القضاء فلقد بقي شريح القاضي (من مولى كندة) قاضيا على الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب(ﷺ) ، وحتى خلافة عبد الملك بن مروان(٢).

وهنالك العديد ممن تولوا منصب القضاء وهم من الموالي ، امثال عامر الشعبي الذي كان على قضاء الكوفة والحسن البصري كان على البصرة وكان ابو حنيفة من مخضرمي الدولة الاموية والعباسية وصاحب مدرسة الراي العراقية في الفقه وقد طلب للقضاء فاعتذر(٣).

وتقول الروايات ان الامير العباسي عيسى بن موسى الذي تصفه بانه متعصب للعرب سأل الفقيه ابن ابي ليلى:

من كان فقيه البصرة ؟ قلت الحسن البصري، قال ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين قال فما هما؟ قلت موليان قال فمن كان في مكة قلت عطاء بن ابي رباح ومجاهد بن جبير وسليمان بن يسار ، قال فمن هؤلاء ؟ قلت : موالي ثم قال من افقه اهل قباء؟ قلت ربيعة الراي وابن ابي الزناد ، قال فما هؤلاء ؟ قلت موالي فاربد وجهه، ثم قال من فقيه اليمن؟ قلت طاووس وابنه وابن المنبه ، قال فمن هؤلاء ؟ قلت موالي.

فانتفخت اوداجه وانتصب قاعدا، ثم قال من فقيه خراسان قلت، عطاء بن عبد الله، قال فمن عطاء هذا، قلت مولى ، فازداد وجهه تربدا حتى خفته ...ثم قال من فقيه الكوفة ، قلت فو الله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتبه وعمار بن ابي سليمان ، ولكن رايت فيه الشر فقلت ابراهيم النخعي ، قال فما كانا؟ قلت عرباً ، قال الله اكبر وسكن جاشه(١).

ولا نجد مجالاً للنقاش في ان تميز هؤلاء الموالي هو نابع من الحرية والمساواة والعدالة التي تعاملوا بها معهم فبرزوا ونبغوا في العلم وفي الفقه وكانوا كذلك بفضل المجتمع الاسلامي وقابليته على تبني سياسة التمازج والمشاركة والوفاق بين كافة الفئات.

اما في مجال الادارة والسياسة فلا توجد رواية وحادثة تاريخية تدل على عدم اشراك الموالي في الحياة السياسية ومن موظفي الدواوين كانوا موالي فنجد عبد الله بن دراج مولى معاوية بن ابي سفيان على خراج العراق وكان وردان مولى معاوية على خراج مصر ، ويورد لنا تاريخ خليفة بن خياط قائمة كبيرة منهم نقتطف منها الاتي:

ابو الزعيزعة-ديوان الرسائل- عهد عبد الملك بن مروان. وعمرو بن الحارث-ديوان الخاتم- في عهد الوليد بن عبد الملك ، وليث بن رقية-ديوان الرسائل- في عهد سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز وسالم مولى سعيد -ديوان الرسائل- في عهد هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب-ديوان الرسائل- في عهد مروان بن محمد ، وابو المهاجر دينار-والي افريقية-في عهد معاوية بن ابي سفيان ، وطارق بن زياد -والي طنجة- في عهد الوليد بن عبد الملك وغيرهم كثير وبقي العهد الاموي عهداً زاخراً بالنشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي لم يخلوا من اندماج كل من الموالي والعرب الذين سعيا في ازدهار الدولة العربية الاسلامية(٢).

اما ظاهرة فرض الجزية على الموالي والتي استغلها بعض المستشرقين في التعرض للحكم الاسلامي وتشويه صورة التاريخ العربي الاسلامي، فلابد من التأكيد ان هذه الظاهرة لم تكن سياسة دائمة للدولة بل كانت ظاهرة وقتية سببتها ظروف مالية وازمة سياسية صعبة .

١-ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٢،ص٦٤.
٢-فاروق عمر فوزي:دور الموالي ومركزهم، ص٩٢.

لقد كانت الدولة تمر بازمة مالية وزادت الحركات المناهضة للدولة والتي شارك فيها الموالي الطين بلة ولم تكن الدولة تستطيع ان تلبي كافة متطلبات المقاتلة في الديوان ولا ان تسد كافة نفقات الخدمات العامة وهي تنفق بسخاء للقضاء على الحركات المعادية لها والتي انبثقت في اقاليم عديدة(١).

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان اخذ الجزية ممن اسلم لم تحصل خلال العصر الاموي الذي دام اكثر من تسعين سنة الامرتين الاولى على عهد الحجاج يوسف الثقفي سنة ٨٢هـ، أي بعد اربعين سنة من بداية العصر الاموي والثانية في عهد اشرس السلمي في خراسان سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، وقد الغيت المحاولتان الاولى في زمن عمر بن عبد العزيز والثانية على يد نصر بن سيار والي خراسان الجديد، ولا بد من الاشارة الى ان المحاولتين كانتا باقتراح من عمال الخراج والدهاقين من الموالي ولم تكن مبادرة من الخليفة الاموي(٢).

ان السياسة المعتدلة التي اتبعتها الدولة الاموية مع سكان الاقاليم كان لها الفضل الكبير في استقرار الحياة الاجتماعية ،وهنا امر شهده الموالي الفرس انفسهم، ولكن هذه السياسة وما نتج عنها من اختلاط بين العرب والموالي وازدياد نشر الاسلام واللغة العربية في تلك الربوع هو امر ضد مصالح الدهاقين الفرس الذين عملوا ما في وسعهم لاتساع الفجوة وازدياد حالة التذمر.

كما ان هذه الحالة لم تكن من مصلحة بعض الولاة والقادة العرب لان سياسة كهذه تعمل باستقرار العرب وبامتهانهم الزراعة والتجارة وتركهم الجيش في وقت كانت الدولة بامس الحاجة اليهم كمقاتلة ، وقد ساعد موقف الدهاقين الفرس الى ازدياد الحالة سوءاً ومعهم البيروقراطية المدنية في الكتاب الفرس (الموالي) العاملين في الرقوق ضد تعريب الدواوين ، رغم ان الدولة لم تقض الموالي من الدواوين لاقبل التعريب ولا بعده(٣).

ولقد كان الامراء المحليون والدهاقين مسؤولين ـ وحسب معاهدات الصلح- عن جباية الضرائب وتسليم المقدار المتفق عليه فاذا ما انتشر الاسلام بين الاعاجم قل بطبيعه الحال دافعو الجزية، فالسبب المالي كان احد الاسباب التي جعلت من الدهاقين يقفون ضد انتشار الاسلام وزيادة عدد الموالي.

١-فاروق عمر فوزي: دور الموالي في المجتمع، ص.٩١
٢-المرجع السابق ، ص٩١.
٣-فاروق عمر فوزي: دورالموالي في المجتمع، ص٩٢.

اما السبب الثاني فهو خوف الدهاقين على نفوذهم من الاضمحلال والتقلص ذلك ان الفرس عندما يصبحون موالي يرتبطون بالعرب برباط الولاء او ان الدولة تغدو مسؤولة عن حمايتهم وهي صاحبة السلطة وبهذا يتضاءل نفوذ الدهاقين والامراء الفرس ولا ننسى السبب الثالث النزعة العنصرية المتعالية لدى فئة من هؤلاء الدهاقين والامراء ومن تبعهم من الكتاب والموظفين والتي ظهرت بوادرها في اواخر العصر الاموي باسم (الشعوبية)(١).

ان رواية الطبري واضحة وصريحة تبين الدور الذي لعبه هؤلاء الدهاقين من استحصال الجزية من الضعفاء والفرس وفلاحيهم واعفاء النبلاء والمستنفذين والاستقراطية الفارسية منها سواء في ذلك اسلموا ام بقوا على ديانتهم ، ان رواية الطبري التي تقول ((واخذوا الدهاقين ضريبة الراس ممن اسلم من الضعفاء))(٢).

تعني بقاء الحال على ما كان عليه ايام الساسانيين ولهذا حين حاول نصر بن سيار اصلاح الوضع المالي بتطبيق مبادئ الاسلام وجد ان ثمانين الفاً من الفرس المجوس لا يدفعون الجزية وثلاثين الفاً من الفرس المسلمين (الموالي) يدفعونها على الرغم من اسلامهم ، كل ذلك بتدبير الدهاقين الحاقدين.

لقد كان هنالك تركيز ومبالغة حول مشكلة الموالي، فالعرب ايضا وخلال فترات الازمة التي مرت بها الدولة الاموية قد لاقوا الحيف وعانوا من سياسة التقشف والعجز المالي ، فعرب خراسان فضلوا حياة الاستقرار والعمل في الزراعة والتجارة والحرف على الحياة العسكرية وحرموا من العطاءات ومن الامتيازات الاخرى التي تمنحها الدولة للمقاتلة لحاجتها الماسة اليهم، واذ كان الحجاج الثقفي قد منع الهجرة من الريف الى المدينة واعاد سكان القرى (الموالي) الى قراهم فقد كان اجراء لاعادة انعاش الاقتصاد بالزراعة واستصلاح الاراضي وشق الانهر ،وكان اجراء لابد منه وصحيحا، كذلك انه اجبر فئة من الموالي على ترك الحجاز والعودة لوطنهم(٣).

ان ما اشرنا اليه لم يكن سياسة مرسومة او مقصودة لاستنزاف الموالي حول موضوع السياسة الضرائبية ، فان هذه السياسة لم يكن القصد منها اضعاف الموالي دون العرب او اضعاف اقتصاد الاقاليم المفتوحة ، بل ان ما فرض من ضرائب اضافية كان بسبب العجز المالي ولفترة استثنائية محدودة.

١- فاروق عمر فوزي: دور الموالي، ص٩٣.
٢-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج٧،ص٥٦.
٣-فاروق عمر فوزي: دور الموالي، ص٩٣.

الشريعة الاسلامية بين الاسترقاق والرق:

لهج الكثير من المستشرقين ومن قبلهم المبشرون من اصحاب الاغراض الاستعمارية والصليبية بمسالة الرق في الاسلام ، واتخذوا منها مثلبة يسبون بها هذا الدين الحنيف ، وان الغاية من الفتوحات الاسلامية هي جمع الاسرى والرقيق، وان الاسلام هو اول من ولد فكرة الرق في العالم على الارض الوحشية التي تمثلت بالفاتحين الذين عبروا عنها بكثرة السبايا والرقيق والاسرى، وان حاجة هؤلاء الفاتحين الى الرقيق حاجة تمس الخلفاء الامويين الذين طالما تشبهوا بالدولة البيزنطية ، وكثرة الحشم والخدم في قصورهم ، الامر الذي ولد فكرة الغزو ورق الشعوب تحت اسم الفتح والتحرير ، هذه ادعاءات المستشرقين ، لكن حاجتنا الملحة الان لتفنيد هذه الادعاءات وبيان اصل الرق وكيفية معاملة الرقيق في ظل رحمة الاسلام ، ولو دقق هؤلاء البحث في الشريعة المحمدية ، وألموا بنصوص القران ونظروا الى هذه المسالة بنظرة سليمة خالية من الهوى، لانصفوا انفسهم وانصفوا الاسلام، وعرفوا ان فضله على الارقاء عظيم لقد شرع الاسلام العتق ولم يشرع الرق ، اذ كان الرق مشروعا قبل الاسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع انواعه: رق الاسر في الحرب، ورق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء، ورق الاستدانة او الوفاء بالديون (١).

ولم يظهر الرق بظهور الاسلام بل قبل ذلك بكثير ، فقد قال بعض الباحثين ان الاسترقاق ظهر في الدنيا منذ ان كان الاجتماع البشري والحقيقة ان الاسترقاق مظهر من مظاهر القوة، والرق مظهر من مظاهر الضعف، ثم جاءت الحروب وكثرة المطامع فانبث الاسترقاق في جميع انحاء العالم وعند كثير من الامم صار الناس لايقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لديهم....(٢).

ومن اطلع على التاريخ يجد انه لايخلو عصر من العصور من وجود الرقيق بين اهله ، فقد عرف الاسترقاق في مصر عند قدماء المصريين اداة من ادوات العمل.

١-زكريا هاشم زكريا:المستشرقون والاسلام ، مطبوعـات المجلس الاعلـى للشؤون الاسلامية ،(بلا-١٩٦٥)،ص٣٥١.
٢-المرجع السابق،ص٣٥١.

وعلاقة من علاقات العظمة وعدوه نوعاً من انواع الزينة لقصور الملوك، اضافة الى امة الرومان التي ظهر الاسترقاق بينهم منذ نشاتهم الاولى من غير تفريق بين روماني او اجنبي ، اما عند الديانات الاخرى فنجد عند اليهودية نوعين من الاسترقاق احدهما استرقاق بعض افراد منهم لارتكابه خطيئة من الخطايا المحظورة شرعاً، ويتم تحريره بعد استنفاذ سنوات ست في خدمة من هو مالكه' ، والنوع الاخر ، استرقاق غير اليهود نتيجة الحروب التي يقوم بها اليهود دون أي مسوغ سوى الشره على السيادة ، فكانوا يباعون كما تباع الاقنعة ويعاملون معاملة الحيوان(١).

اما الديانة المسيحية فلم تتمكن من الغاء الاسترقاق او تخفيف شدته' ، ولم يات الانجيل بنص صريح ضد الاسترقاق بل ورد ان الناس كلهم اخوان ويجب عليهم ان يحب بعضهم بعض ، لكن هذه لاتمحي العبودية ، واوصى (بولس) الارقاء في رسالته الى سكان مدينة (افس) القديمة في اسيا الصغرى بقوله'((ايها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعد، في بساطة قلوبكم كما المسيح ، لابخدمة العين كمن يرضي الناس...))(٢).

بل ذهب الكثير من القديسين الى ان الرق في المسيحية فكرة يتدين بها الرقيق ، ويتقرب بها الى الله ، وقال بعض القساوسة مخاطباً احد الارقاء: ((اني لانصحك بالبقاء في الرق حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك فانك بذلك تحاسب حسابا يسيرا لانك تكون في خدمة مولاك في السماء ومولاك الذي في الارض))(٣).

من هذه الفقرات التي نقلناها من الكتب المقدسة نستدل على ان دخول الدين المسيحي الى البلاد المتمدنة لم يقلل من الاسترقاق واصبح الرق من الامور الطبيعية ، ففرضوا عليهم القوانين المجحفة فمثلاً منعوا زواج الارقاء من الاحرار وفيما بينهم، فقضت على الحرة المتزوجة بالقتل اذا تزوجت من عبد وعلى الزوج ان يحرق حيا، واتخذت الكنائس الارقاء واباحت لغيرها اتخاذهم ، وكان الناس يذهبون بالاستحسان واعتباره من احسن الوسائل لمنع التسول وقطع دابر السارقين(٤).

١-المرجع السابق، ص٣٥٢-٣٥٣
٢-زكريا هاشم: المستشرقون، ص.٣٥٤
٣-المرجع السابق ، ص٣٥٤.
٤-المرجع السابق، ص٣٥٥-٣٥٧.

واوصى الرسول بطرس بمثل هذه الوصية واوجبها اباء الكنيسة لان الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبد لما استحقوه من غضب السيد الاعظم ، وبالمختصر يمكن الحكم على الدين النصراني انه لم يات بما يقطع دابر الاسترقاق او ينافيه ، كما ان الامم المسيحية على اختلاف مشاربها، كانت لاتبالي ان تسترق من تشاء وان تستخدم الرقيق كيفما شاءت وتعامله كما شاءت(١).

اما الشريعة الاسلامية فقد شرعت تشريعات قبل اربعة عشر قرنا في بضع كلمات ، انه حرم الرق جميعا ولم يبح منه الا ما هو مباح منه الى الان، وفحوى ذلك انه قد صنع خيراً ما يطلب منه ان يصنع وان الامم الانسانية لم يات بجدية في هذه المسالة بعد الذي تقدم به الاسلام قبل الف ونيف وثلاثمائة عام، وان الذي اباحه الاسلام من الرق ما زال مباحاً الى اليوم في امم وحضارات تعاهدت على صنع الرقيق منذ القرن الثامن عشر الى الان(٢).

لقد جاء الاسلام والعالم يومها يعج بفوضى عارمة في العقائد والنظم والسلوك واوشكت البشرية الرجوع الى عهد الانحطاط والهمجية ، ((كانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها الى العالم كله واقفة تترنح وقد تسرب اليها العطب حتى اللباب))(٣).

وان هذه الفوضى جاءت لابتداع الناس والامم ديانات تخدم مصالحها الدينية والسياسية ، فالمجوس يعبدون النار وكان الروم نصارى لكن حرفوا تعاليم نبيهم عيسى (عليه السلام) ، لذلك لم تكن هاتان القوتان المتمثلة بالدولة الفارسية والبيزنطية بقادرة على تسيير البشرية نحو العدالة والخير والفضيلة(٤).

وقد منح الاسلام المشركين حقوقا مساوية لحقوق المسلمين مادام بينهم وبين المسلمين ميثاق ، قال تعالى ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة او دية مسلمة ﴾ ، لقد كانت هذه المعاملة وثبة للانسانية لم يعرف التاريخ لها نظيرا الا في مجال العقيدة و في مجال التشريع الاسلامي وقال تعالى ﴿ فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ (٥).

١-زكريا هاشم: المستشرقون،ص٣٥٥-٣٥٧

٢-المرجع السابق ، ص.٣٥٧
٣-دينسون ، العواطف اساس الحضارة Emotions as the Basic of civilisation ينظر سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص١٤٩.
٤-اكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة ،ط١، (المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص.٣٠٣
٥-سورة النساء: اية ٩٢.

ونجد ان الشريعة الاسلامية قد حثت على العتق وعدته اكرم الاعمال التي يتقرب بها المسلم الى ربه، فالرق (الموت) او كالموت والعتق هو الحياة او كالحياة في نظر الاسلام، وذكر ابن حزم ((ان ام الحارث بن ابي ربيعة ماتت وهي نصرانية فشيعها اصحاب الرسول(ﷺ)))(١).

وهذا معناه واضح وصريح ان غير المسلمين تمتعوا بالحقوق نفسها التي تمتع بها المسلمون وهذا يبين ان الاسلام دين التسامح والعطف والرحمة ، اضافة الى عدالة الشريعة وحقوق الافراد ، وللاسف فان كثير ممن هدموا هذه المبادئ بكثرة الاحاديث الكاذبة والتشدقات المؤذية التي كانت الغاية منها النيل من هذا الدين الحنيف، والرق كان اعمق في كيان المجتمع والافراد لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية ويكفي الاسلام على أي حال ان يكون هو الذي بدا حركة التحرير في العالم، قبل ان تفيء اليها البلاد التي لم تعتنق الاسلام بسبعة قرون(٢).

وكان من الممكن الغاء الاسترقاق اصلا لولا ان منبعا يفيض بالرق ظل قائماً في كل مكان وهو رق الحرب، وكان الغاؤه من جانب واحد يعد عبثا ، لان الاعداء سيرفضون التقيد بهذا الالغاء ثم ينشا من ذلك ان اسرى المسلمين لدى العدو يستعبدون واسرى المشركين يحررون ، لذلك اضطر الاسلام الى السير على قاعدة المعاملة بالمثل(٣).

وفي هذا ان الاسلام لو اقر هذا القانون فانه تقوية للعدو باطلاق اسراه واضعاف للمسلمين لاسترقاق العدو لاسرى المسلمين ، ثم ان هنالك جانبا نفسيا مهما لو اقدم الاسلام من جانبه فقط على تحرير واطلاق الاسرى التابعين لمعسكر العدو واطلاقهم، فان المسلم المجاهد سوف يدخل المعركة مهزوزاً لاحتمال اسره ومن ثم استرقاقه في حين لايلقى اسرى العدو المصير ذاته(٤).

١-ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد(ت/٤٥٦هـ): المحلى، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، ج٥، (بيروت/ بلا)، باب الجنائز، ص.١١٧
٢-محمد قطب : شبهات حول الاسلام ،ط٥، (مصر-١٩٦٢)، ص٣٩-.٤١
٣-محمد الغزالي: حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة ، ط١، (القاهرة-١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ص١١٣.
٤-ابو ادم سلطان : الموازنة في التشريع الاسلامي بين المرونة والحزم، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صدام للعلوم الاسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٣٠.

وقد مضى الاسلام في طريقه يحرر النفوس من مساوئ الطبائع ، وينقذ المستضعفين من قيود الذلة ، ويوكد وحدة الجنس البشري في التصور ، ويقرر العدل والمساواة في التشريع ويدعو الى الاحسان في كل شيء ، ومن ذلك ما قرر في التعامل مع الرقيق فقد سن لهم من القوانين ما لم تصل اليه البشرية حتى العصر الحاضر ومن ذلك :

اولاً : كفل للمملوك غذاء وكساء ، كغذاء اوليائهم وكسائهم، فعن المعرور بن سويد قال: دخلنا على ابي ذر بالربذة فاذا عليه برد ، وعلى غلامه مثله فقلنا: يا اباذر ، لو اخذت برد غلامك الى بردك فكانت حلة ، وكسوته ثوباً غيره ؟ قال : سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: هم اخوانكم جعلهم الله بين ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليكسه مما يكتسي ولا يكلفه ما يغلبه ، فان كلفه ما يغلبه فليعنه'(١).

وكان عبد الرحمن بن عوف (ﷺ) اذا مشى بين عبيده' ، لايميز احد منهم ، لايتقدمهم ، ولا يلبس الا من لباسهم(٢).

ويقول الامام النووي(٦٧٦هـ): ((يجب على السيد نفقه المملوك وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والاشخاص...حتى لو قتر على نفسه تقتيرا خارجا عن امثاله ، فلا يحل له التقتير على المملوك والزامه بموافقته الا برضاه))(٣).

ثانياً:حفظ الاسلام للرقيق بكرامتهم الادمية ، فلا يجوز خدشها بقول او فعل ، قال (ﷺ) ((من قذف مملوك بريئا مما قال ، اقيم عليه الحد يوم القيامة ، الا ان يكون كما قال))(٤).

فلطمه من غير تاديب ، يعد مسوغاً قانونيا لعتقه وتحريره وزيادة في رعاية مشاعر الرقيق نهى الرسول (ﷺ) ان يقول الشخص هذا عبدي وانما حبذ ان ينادوا باسمائهم فقال: ((لايقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي))(٥).

وفيما يخص الاعتداء الجسدي سواء كان على المالك او المملوك ، فان العقوبة الصريحة هي المعاملة بالمثل.

١-صحيح البخاري، باب العتق، حديث ٢٥٤٥ ، ص.٤٦١
٢-محمد الغزالي، حقوق الانسان، ص.١٢٠
٣-محمد فريد وجدي ،(ت/١٩٥٤م)، دائرة معارف القرن العشرين، ط٣،(بيروت-١٩٧١)، ج٤،ص٢٨٠-.٢٨١
٤-صحيح البخاري ، باب الحدود، حديث ١٢١٨،ص.٦٨١
٥-المرجع السابق، ص٤٦٢..

ثالثاً:وفي التطبيق الواقعي ، كان الرسول(ﷺ) ، يلاحظ وضع الارقاء ويعهد اليهم بمسؤوليات شتى لاعادة الثقة بانفسهم وابعادهم عن الانزواء والسلبية في المجتمع فقد اخى بين بعض الموالي وبعض الاحرار من العرب : بين بلال الحبشي وخالد بن رويحة الاخشمعي، وبين مولاه زيد وعمه الحمزة بن عبد المطلب، وبين خارجة بن زيد وابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وزوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد (رضي الله عنه) وارسل زيدا على راس جيش فيه الانصار والمهاجرون(١).

وولى من بعد زيد ابنه اسامة (رضي الله عنه) قيادة جيش فيه ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) ووصل في ذلك الى ان يقول ((اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ، واقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى))(٢).

١-صبحي الصالح: النظم الاسلامية،ط٣،(بيروت_١٩٧٦)،ص.٤٦٩
٢-صحيح البخاري، باب الاحكام، حديث ٧١٤٢، ص١٢٩٤.

النظرة الغربية للرق :

ظل الاسترقاق قائما في الغرب يقرهُ القانون ويحميه حتى اواخر القرن التاسع عشر، وقد كان القانون الذي شرع لتفصيل احوال الارقاء يدعى في كل امة من الامم المعاصرة بالقانون الاسود والقانون الاول الذي صدر بهذا الخصوص هو قانون (بترونيا) الروماني ، ومما جاء فيه انه ((يحرم على السادة الزام العبيد مقاتلة الوحوش الا باذن القاضي)) ، وكان من مقتضي القانون الاسود الفرنسي الذي صدر عام (١٦٨٥)، وفيه ان الزنجي اذا اعتدى على احد الامراء وارتكب جريمة سرقة ، عوقب بالقتل او بعقاب بدني اخر ، اما اذا ابق فقد نص القانون: ان الابق في المرة الاولى والثانية يتحمل عقوبة صلم الاذنين والكي بالحديد المحمى ، فاذا ابق الثالثة قتل وكان غير مسموح لذوي الالوان ان يحضروا الى فرنسا لطلب العلم والاستفادة ، وقد استمر الحال في فرنسا حتى قيام ثورة ١٨٤٨م(١).

ونرى كثرة الفلاسفة امثال منتسكيو ، الذين شجعوا على استعباد الزنوج وعدوهم جزءاً من حقوقهم في اتخاذهم خدما وعبيدا ، وان الامة الامريكية لم تكن تفني الهنود الحمر وتترك الشعوب الافريقية التي تحتاجها في استغلال الاقطار الفسيحة ، وان عناصر هذه الشعوب السوداء الحالكة السواد لايمكن ان تملك روحا طيبة(٢).

ولم يكن الانكليز اكثر رافة بالملونين ولا اكثر انسانية من الفرنسيين ، فقد كانوا يعدمون من يبقى اكثر من ستة اشهر ، وحرمت عليهم وظائف البيض او التزوج منهم(٣).

وكان يقتضي القانون الامريكي في الولايات الجنوبية تحديداً ، اذا تزوج حر من امة اصبح غير جدير بان يشغل منصباً في المستعمرات ، وان للسيد حقاً على عبده الاستحياء والاماتة ، ويجوز للمالك رهن عبده واجارته والمقامرة عليه ، ولايحق للمملوك الاسود الطواف في الشوارع الا بتصريح قانوني ، لكن لو اجتمع سبعة ارقاء في شارع فعلى الابيض القاء القبض عليهم وجلدهم حتى وان كانوا يحملون تصريحاً قانونياً باعتباره لايملك روحاًولا عقلاً وان حياتهم محصورة في ذراعهم(٤).

١-محمد فريد وجدي، دائرة المعارف ،٤/، ٢٧٧.
٢-مونتسكيو،(ت-١٧٥٥)، روح القوانين ، ترجمة عادل زعيتر،ج١،(القاهرة-١٩٥٣)، ص٣٥٤.
٣--محمد الغزالي، حقوق الانسان،ص.١٢٨
٤-محمد فريد وجدي، دائرة المعارف،ج٤،ص٢٧٧-٢٧٨.

وقد منح الزنوج فرصة وان كانت غير كافية او دائمية واصبحت هذه الاساليب قانوناً بموجبها صارت الولايات الجنوبية بيد الزنوج والفقراء البيض واستطاع الزنوج لمدة من الزمن السيطرة على عدة مجالس تشريعية والاستيلاء على وظائف الدنيا، لكن هذه الحرية لم تكن تخضع لمنابع دينية او قانونية ، واثبتت قضية تحرير الزنوج ان العرف يختلف عن القانون ، فالمساواة المطلقة بين البيض والسود لاوجود لها في الواقع والزنوج في مركزهم الاقتصادي يسيرون في المؤخرة ، والترابط الاجتماعي بين الجنسين يكاد يكون مفقودا.

وتظهر هذه الامور واضحة في الجنوب حيثما حرم على الجنوب ركوب القطارات وسيارات النقل والامكنة العمومية جانب البيض ، فأحياء سكناهم واسواقهم ومعابدهم ومؤسساتهم كانت منفصلة عن مساكن البيض واحيائهم ، واذا اضفنا الى ذلك النصوص القانونية التي تقر هذا التمايز الظالم ، وتعترف به حتى في عصرنا الحاضر ، والتي تبين لنا مدى ظلم الانسان لاخيه الانسان ، ومدى الجور التي تقوم عليه مدنية النظام (العالمي) الغربي(١).

ومن تلك النصوص ((ان النكاح بين شخص ابيض وآخر زنجي ، يعدنكاحاً باطلاً))، وان كانوا يحملون الجنسية الامريكية ، ومنها ايضاً ((ان كل من يطبع او ينشر او يوزع ما فيه دعوة او حث للجمهور على اقرار المساواة الاجتماعية والزواج بين البيض والسود او تقديم حجج للجمهور او مجرد اقتراح في هذا السبيل ، يعد عمله هذا جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لاتتجاوز خمسمائة دولار او بالسجن مدة لاتتجاوز ستة اشهر او العقوبتين معاً))(٢).

ويظهر مما سبق ان اقوال المستشرقين في ان الاسلام هو اساس بناء نظام الرقيق وانه احتفظ بنظام الرقيق الذي ورد في التوراة هو كلام بعيد عن الحقيقة وافتراء صريح وواضح ، وما هو الا تضليل سافر للنيل من الشريعة الاسلامية.

١-فاضل محمد: عواد الكبيسي، الاستشراق في مؤلفات فيليب حتى عصر النبوة والخلافة الراشدة ، رسالة دكتوراه معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠١م، ص.١٨٤
٢-ينظر: زيدان عبد الكريم ، اصول الدعوة ،ط٢، (بيروت- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٤٨-٤٩.



في ختام رسالتي الموسومة بـ ((آراء المستشرقين في الفتوحات الإسلامية خلال العصر الاموي))، لابد من ذكر ما خلصت اليه من نتائج وتوصيات خلال اعداد هذه الرسالة بعد دراسة كتابات الاستشراق والمستشرقين وجدت ان هذه الكتابات قد كانت مختلفة في طبيعة ارائها ومصادر توجهاتها ومدى اتباعها لمنهج البحث العلمي لذلك فقد اتسمت بعض الاراء بالعدائية الشديدة والمبالغة في نسب التهم البذيئة للفتوحات الاسلامية خلال العصر الاموي ولا شك ان هذه الاراء كانت مدفوعة ومدعومة من الكنيسة المسيحية لتشويه الدين الاسلامي بشكل عام والاهداف النبيلة للفتوحات الاسلامية بشكل خاص، وقد ظهر ان هذه الاراء مدفوعة بعدة دوافع كالدافع السياسي الاستعماري والدافع الديني والدافع الاقتصادي، وقد اظهر ان الكثير من الاراء الاستشراقية الفت بناءً على تصورات الخيال بالنسبة للمستشرقين الذين اعتمدوا على الروايات الشفوية التي وصلت اوربا انذاك وهي عن طريقين: الطريق الاول : هو كل ما نقله الجنود الصليبيون من قصص وروايات عن الشرق الاسلامي.

اما الطريق الثاني :فكان من مصادر بيزنطية حاقدة على الاسلام ، بينما اعتمد بعض المستشرقين وبدرجات متفاوتة على المصادر العربية الاولى للسيرة ، ولاسيما ان العمل بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها كان قد بدا

بفترة لاباس بها وهو مستمر لحد الان، مما ادى الى شيوع مصادر السيرة العربية بين المستشرقين واطلاعهم عليها وبالتالي رفضهم لمعظم الاساطير والقصص الخيالية السابقة.

وخلاصة القول انه تم تفنيد مزاعم كل من نظر الى الفتوحات الاسلامية بنظرة تخلو من الموضوعية والايجابية واشاد وايد اراء بعض منهم الذي نظر الى الفتوحات الاسلامية نظرة صائبة وعلمية وقد خرجت كل من الفصل الثالث والرابع لتوضيح هذه الافكار.

اما التوصيات التي ارجو ان تكون ذات فائدة:

اولاً :لقد انحصر الموقف الاستشراقي الحديث بنقاط معينة ، لذلك فمن الضروري التركيز في الرد على المستشرقين ومناقشة مزاعمهم الحالية في الفتوحات الاسلامية وفي التاريخ العربي الاسلامي وبذل الجهد والوقت لتقليص الفجوات الاستشراقية.

ثانياً :حرصاً على نقل الحقائق سواء في التاريخ العربي الاسلامي او في سيرة الرسول (ﷺ)، فانه من واجبنا ايضاح تلك الصورة المبهرة وترجمة المؤلفات العربية الى اللغات الاوربية ولاسيما اللغة الانكليزية باعتبارها اللغة الحية والشائعة لتكون هذه المؤلفات حقيقة عالمنا الإسلامي.

ثالثاً :ان تغذية الشعوب الاسلامية بحقيقة تراثنا الاسلامي العظيم هو اول واجباتنا والتي تتم عن طريق ربط هذا التراث بالاستشراق والمزاعم الاستشراقية وتدريسه في مرحلة البكالوريوس والسنة التحضرية في مرحلتي

الماجستير والدكتوراه ،ولاسيما ان كثيراً من طلبتنا ليس لديهم اطلاع او معلومات عنه.

وبعد .... فإنني اختتم هذا العمل المتواضع سائلة الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا لخير الإسلام وخدمة المسلمين ....

والله الموفق

الباحثة

أولاً:المصادر

القران الكريم
ابن منظور ـ جمال الدين محمود بن مكرم الأنصاري، ت٧١١هـ
١- لسان العرب ، ج١،(بيروت-بلا).
ابن واصل ، جمال الدين سالم
٢- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، (القاهرة-١٩٥٧).
ابن شداد القاضي، بهاء الدين بن شداد
٣- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، (القاهرة- ١٩٦٢).
المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد (ت٨٤٥/١٤٤٢)
٤- السلوك في معرفة دول الملوك ، نشره وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى الزيادة ،(القاهرة- ١٩٥٨)،ج١.
ابن الأثير : عز الدين الحسن علي بن محمد أبي الكرم الشيباني(ت٦٣٠)،
٥-الكامل في التاريخ،(بيروت-١٩٦٥).
البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت-٢٧٩)
٦- فتوح البلدان، (بيروت-١٩٧٨).
اليعقوبي ، احمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤)
٧- تاريخ اليعقوبي ،(بيروت-١٩٠٦)، ج٢.
الناصري السلاوي: احمد بن خالد بن محمد (ت١٣١٥هـ)
٨- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،(الدار البيضاء-١٩٤٥/١٩٥٦)، ج١.
ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن(ت٢٥٧)
٩- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، (القاهرة- بلا).
ابن عذارى : محمد أبو عبد الله (ت٦٩٥هـ)
١٠- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفسال ، (ليدن ـ١٩٤٨/١٩٥١)، ج١.
البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)
١١- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والغرب ، ط٢، (بلا-١٩١٣).
المقري: احمد بن محمد المقري التلمساني
١٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج١.
الفيروز ابادي
١٣- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد النجار ،(القاهرة-١٣٨٧)، ج٣.
ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧)
١٤- تاريخ عمر بن الخطاب، ط٢،(بيروت-١٩٨٥).

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ)
١٥- صحيح البخاري ، ضبط النص محمود محمد نصار، ط٢،(بيروت-٢٠٠٢).
الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن (ت٤٥٧هـ)
١٦- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت- بلات).
أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ)
١٧- الخراج،(بيروت-بلات).
ابن عبد ربه: أبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
١٨- العقد الفريد ، تحقيق محمد التونجي ، ط١، ج١،(بيروت-٢٠٠١.
السهمي: حمزة بن يوسف بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ)
١٩- تاريخ جرجان ،(الهند-١٩٥٠).
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠)
٢٠- تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،(القاهرة- ١٩٦٩)، ج٦.
ابن خراداذبه: أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠)
٢١- المالك والمماليك ،(بغداد- بلات).
ابن هشام
٢٢- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا واخرون ، ط٢،(القاهرة ـ ١٩٥٥).
ابن حزم : علي بن محمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)
٢٣- المحلى، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ،(بيروت- بلات)، ج٥.
خليفة بن خياط بن خليفة الليثي العصفري
٢٤- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق اكرم العمري،ط١،(النجف الاشرف-١٩٦٧).
محي الدين أبى الفياض السيد محمد مرتضى الحسيني الحنفي (ت٤٥٨)
٢٥- تاج العروس من جواهر القاموس،(مصر- ١٣٠٧).
ياقوت الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦)
٢٦- معجم البلدان ،ط١،(مصر ـ ١٩٠٦).

ثانيا: المراجع

ابراهيم عبد الكريم
٢٧-الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل ، (فلسطين- ١٩٩٣).
اسحق موسى الحسني
٢٨-الاستشراق ، (بيروت- ١٩٦٧).
ارنست باركر
٢٩-الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ،(بيروت- ١٩٦٧).
أدور سعيد
٣٠-الاستشراق (المعرفة _ السطلة _ الإنشاء) ،ط١(بيروت-١٩٨١).
اكرم ضياء العمري
٣١-مواقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية ،(الرياض- ١٩٩٨)،
٣٢-عصر الخلافة الراشدة، ط١،(الرياض-١٩٩٤).
أنور الجندي
٣٣-سموم الاستشراق والمستشرقين،(بيروت- ١٩٦٧)
٣٤- الإسلام وحركة التاريخ ،(القاهرة-١٩٦٨).
الباز العريني واخرون.
٣٥-المجتمع العربي،(بيروت- ١٩٦٩).
احمد مختار العبادي
٣٦-دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية _١٩٦٨).
إبراهيم سلمان كروي واخرون
٣٧-المرجع في الحضارة العربية، ط٢،(الكويت- -١٩٨٧).
إبراهيم بيضون
٣٨-ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ،(بيروت- ١٩٧٩).
إبراهيم سلمان الجبهان :
٣٩-معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ،ط٤،(بيروت- بلات).
توفيق علي وهبة
٤٠-الإسلام في مواجهة أعدائه، ط١،(الرياض _ ١٩٨٣).
ثابت إسماعيل الراوي
٤١-تاريخ الدولة العربية ،(بغداد- ١٩٧٠).
جواد علي
٤٢-تاريخ العرب في الإسلام،(بغداد-١٩٨٣).
جوزيف رينو
٤٣-الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا في القرن الثامن والتاسع ، تعريب د.إسماعيل العربي ، ط١،(بيروت- ١٩٨٤).
حسين مؤنس
٤٤-فتح العرب للمغرب،(القاهرة- ١٩٤٧).

حسين إبراهيم حسن:
٤٥-تاريخ الإسلام السياسي،(القاهرة- ١٩٤٨)، ج١.
ستيفن رينسمان:
٤٦- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني ،(بيروت- ١٩٦٧).
سعيد عبد الفتاح عاشور :
٤٧-الحركة الصليبية ،(القاهرة- ١٩٦٣).
سعيد زغلول عبد الحميد
٤٨-تاريخ المغرب العربي ،(الإسكندرية- ١٩٨٠).
سيد سابق
٤٩-فقه السنة ، ط٣،(بيروت-١٩٧٧)،ج٢.
سعد محمد حسن:
٥٠-المهدية في الإسلام ،ط١،(القاهرة- ١٩٥٣).
سيد قطب
٥١-العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط٥، (القاهرة- ١٣٧٧).
سيد أمير علي
٥٢-روح الإسلام ، ترجمة أمين الشريف،(القاهرة- ١٩٦١).
شكري فيصل
٥٣-حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ،ط٥،(بيروت- ١٩٨٠).
شوقي إبراهيم علي عبد الله:
٥٤-في الغزو الفكري والتيارات المعادية ، ط٣،(بغداد- ١٩٨٨).
رودي بارت:
٥٥-الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر،(القاهرة- ١٩٦٧).
رشيد العبيدي :
٥٦-الحركة الاستشراقية ومراميها وأغراضها ،(بغداد- ٢٠٠٣).
رشيد عبد الله الجميلي:
٥٧-تاريخ الدولة العربية الإسلامية ،ط٢،(بغداد-١٩٨٦).
٥٨- العرب والتحدي الصليبي،(بغداد-١٩٩١).
زيدان عبد الكريم:
٥٩-أصول الدعوة،ط٢،(بيروت- ١٩٨٧).
زكريا هاشم زكريا :
٦٠- المستشرقون والإسلام،(بلا- ١٩٦٥).
زيغريد هونكه :
٦١-شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ،(بيروت- ١٩٨٢).

زكي الصراف :
٦٢-الأدب الفارسي المعاصر،(بغداد- ١٩٧٨).
محسن جمال الدين:
٦٣-المستشرقون والأماكن المقدسة ، ط٢،(بغداد- ١٩٦٧).
مونتغيري وات :
٦٤-تأثير الإسلام على أوربا الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ،(الموصل- ١٩٨٢).
مصطفى السباعي:
٦٥-من روائع حضارتنا،(بيروت- ١٩٧٧).
٦٦- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم،(الكويت/١٩٦٨).
محمد صالح البنداق:
٦٧-المستشرقون وترجمة القران ،(بيروت- ١٩٨٠).
محمد البهي:
٦٨-الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، ط٦،(بيروت-١٩٧٣).
محمد غلاب:
٦٩-نظرات استشراقية في الإسلام ،(مصر- لات).
محمد اركون واخرون :
٧٠- الإسلام بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هاشم صالح ،(لندن- ١٩٩٤).
محمد النبوي الشال:
٧١- رسالة السماء،ط١،(بيروت-١٩٧٨).
محمد قطب:
٧٢-شبهات حول الإسلام ، ط٥،(مصر- ١٩٦٢).
محمد الغزالي:
٧٣-حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام والأمم المتحدة ،ط١،(القاهرة-١٩٦٣).
محمد فريد وجدي :
٧٤-دائرة معارف القرن العشرين ، ط٣،(بيروت- ١٩٧١).
صبحي الصالح:
٧٥-النظم الإسلامية ، ط٣،(بيروت- ١٩٧٦).
صبرة عفاف:
٧٦-المستشرقون ومشكلات الحضارة ،(القاهرة- بلات).
محمد فتح الله الزيادي:
٧٧-ظاهرة انتشار الإسلام، ط١،(طرابلس- ١٩٨٣).
مونتسيكو :
٧٨-روح القوانين ، ترجمة عادل زعيتر ،(القاهرة _ ١٩٥٣).
عماد الدين خليل:
٧٩-في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ،ط٢،(العراق- ١٩٨٥).

عبد القهار العاني:
٨٠- الاستشراق والدراسات الإسلامية،ط١،(الأردن- ٢٠٠١).
عبد الجبار ناجي :
٨١-تطـور الاستشراق فـي دراسة التراث العربـي ،(بغداد- ١٩٨١).
عمر فروخ ومصطفى الخالدي:
٨٢-التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
علي حسن الخربوطلي:
٨٣-المستشرقون والتاريخ الإسلامي،(مصر- ١٩٨٨).
٨٤- الإسلام واهل الذمة،(القاهرة- ١٩٦٩).
عبد المنعم النمر:
٨٥-الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء ،ط١،(مصر-١٩٨٧).
عائشة عبد الرحمن :
٨٦-تراثنا بين ماضي وحاضر،(مصر- ١٩٦٨).
عبد الفتاح العريان:
٨٧-أضواء على الاستشراق،(مصر- ١٩٨٠).
عبد الفتاح مقلد الغنيمي :
٨٨-تاريخ الدولة العربية،(بيروت- ١٩٧١).
٨٩- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،(بيروت- ١٩٦٢).
عباس العقاد:
٩٠-ما يقال عن الإسلام،(مصر-بلات).
عبد الأمير دكـسن:
٩١-الخـلافـة الأموية(٦٥-٨٦هـ) ، ط١، (بيروت- ١٩٧٣).
علي إبراهيم حسن:
٩٢-التاريخ الإسلامي العام،(مصر- بلات).
عبد الحكيم العلي :
٩٣-الحريات العامة ،(بيروت- ١٩٧٤).
عبد الحميد بخيت:
٩٤- ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ط٣،(مصر -١٩٧٧).
عبد اللطيف عـامر :
٩٥-أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الاسلامية، ط١،(بيروت- ١٩٨٦).
عثمان جمعة ضميرية:
٩٦-منهج الإسلام في الحرب والسلام ،(الكويت- بلا).
غوستاف لـوبـون:
٩٧-حضارة الإسلام ، تـرجمة عادل زعيتر، ط٤،(بلا- ١٩٦٤).
فان فلوتن:
٩٨-الدولـــة الأمـويـــة والمعارضـــة ، د. إبـراهيـــم بيضـون، ط١،(بيـروت- ١٩٨٠).
لورا فيشيا فاغليري:
٩٩-دفـاع عـن الإسلام ، تـرجمة منير البعلبكي، ط٢،(بيروت- ١٩٦٣).

ناجي معروف:
١٠٠-أصالة الحضارة العربية،(بغداد-١٩٦٩).
نزار الحديثي:
١٠١- محاضرات في التاريخ العربي،(بغداد-١٩٧٩).
نبيل قابياوي:
١٠٢-الإسلام بحد السيف بين الافتراء والحقيقة،(مصر- بلات).
نافع توفيق العبود:
١٠٣- المهلب بن أبي الصفر ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط١،(بغداد- ١٩٧٩).
وهبة الزحيلي:
١٠٤- الحرب في الفقه الإسلامي ، ط٣،(بيروت- ١٩٨١).
يوليوس فلهلوزن:
١٠٥-الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش،(دمشق- ١٩٦٥).

ثالثاً: المجلات

١٠٦. مجلة الأزهر...............(القاهرة).
١٠٧. مجلة الاستشراق..............(بغداد.
١٠٨. مجلة آفاق عربية..............(بغداد).
١٠٩. مجلة المستقبل العربي.............(بغداد).
١١٠. مجلة روز اليوسف..............(القاهرة).
١١١. مجلة أخر ساعة.............(القاهرة).
١١٢. مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي.........(بغداد).
١١٣. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية...........(الكويت).
١١٤. مجلة العربي............(الكويت).
١١٥. مجلة المجال............(الرياض).
١١٦. مجلة كلية الآداب..............(الرياض).
١١٧. مجلة الفكر العربي..............(الرياض).
١١٨. مجلة كلية اللغة العربية...........(ليبيا).
١١٩. مجلة دراسات إسلامية............(بغداد).

رابعاً: الرسائل

١٢٠-عبد الباسط عبد الصمد الشاوي: الغزو الأوربي للفكر الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد-١٩٨٧.

١٢١-مشتاق الغزالي: تطور الاستشراق في دراسة السيرة النبوية الشريفة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (بغداد- ٢٠٠١).
١٢٢-خليل رجب حمدان الكبيسي: السلام الدولي في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الشريعة،(جامعة بغداد-١٩٨٧).
١٢٣-عبد الباسط اولوي: القتال في الإسلام ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم ،(بغداد-١٩٥٩).
١٢٤-أبو أدم سلطان: الموازنة في التشريع الإسلامي بين المرونة والحزم ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(جامعة العلوم الإسلامية- ٢٠٠٠).

خامساً: الكتب باللغة الإنكليزية:

125-The Compact Edition Of the Oxford English Dictionary (New Yourk- 1971).
126-The American Peoples Encyclopedia , (New Yourk- 1962).

Abstract

Thanks to Ailah The bod of all creations, and May Prayers and peace beup on our prophet Mohaned (Pbuh) and upon his kind and Modest Companions.

Since The rise of orientalists , in the European Middle ages, and till now , the Islamic invasions has been representing awide field to the writings of orientalists for that the west has achieved Plenty of writtings that dealt with the Islamic invasions .The goal was not to show that the west was intersted in spreading the Islamic religion in every region in the word on the contrary , it was adesire to find gops and trips that possiably through ther, they coud deformat ar stap the noble goals of the Islamic religion ; By creating the falsehoodand relating it to Islam.

The Christian Chrch felt in danger from the Islamic religion on their future As aresult , the oricntulists were pushed to study the Idealogy , Culture, and Civilication of Islam Then, they started to write about the rellgion and everything that belungs to it, including the Islamic invasions , and putting it in aform So for from it's heavenly reality and devine source Naturally , the Islamic invasions was one of the Islamic Subjects that the orientalists Made up By creating Bad and deformalted images , they hide it's pure reality . A lot of Arabic writtings, on the other hand , was Directed to onswer back the assumptions, and the fobricated lies of the orientalists against the islamic invasions , especials, During and in that came our force to choose the subject of the thesis Indenting By that to reach two goals:
First: Presenting aclear image of the opinity of the orientalists and the fabricated lies of Many of them . And the view of orientalism to that noble goal aconclasion and afew clearfying atlachements.

The first chapter was to Define the orientalism in general .It was on three themes : The first dealt with the lingusticand

idiomic Definision of orientalism and the geographical understanding of the Middle – east with Describing it as the field of orientalisms' studies .The selond theme or the other hand , dealt with The positives and regatives of orientalism .

The third theme , dealt with the and of orientalism to western histories and to the west .

The second Chapter was deosted to proput the Islamic invasions During that amawy age . It was Divided into two thenes the first theme dealt with liberty war (the wevs that were tought to librate the people), and the Islamic invajidns ; It's goals and results . The second theme dealt with apredentation of invasions that occvred in the east and west During The amawy age.

Second- To Bring up answers of historians and discass the fabricated lies of the orien talists and to reach the goal and aim of these invasions .

And for that reason the thesis is titled "Opinion of orientalists about the Islamic invasions During the amawy age ". As it's the Case in every scientific research , This paper had it's hardships and difficulties . One of the Most important of these difficulties was to find enough information to one of the important aspects of this thesis .And that is the opinion of the orientalists about the Islamic invasions , Daring the amawy's age . None the less , that these informations are limited even in the foreign Sources.

The Nature of this thesis required it to be divided into an introduction and 4 chapters with the third Chapter was specialized to Bring up opinions of the oricntulists about the west invasions as afirst there ,And the Arab historians Answers back to some of them as asecond theme Finally, the fourth and last chapter was olso Divided the first theme was the opinion of

the orientalists about the invasions of the east and the second theme was arab historians answers back to the claims and fabricated lies of the oricntalists.

And this paper ended with abrief Presentation to the most important findings according to the results , along with some suggested recommendations . I hope that it will be of use to those oho are intersted in studying orientalism , and about orientalists in the future . As acomplete advantage , we added to the paper some clearfying attachements, the Nost obvious is the table with the names and life stories of the oricntalists that were intersted in studing the Islamic invasion; and it’s civilized effectson the Europeans and the world in general .

2005AD. Baghdad 1426AM.